

الجزء السادس عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

«فى كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين * وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

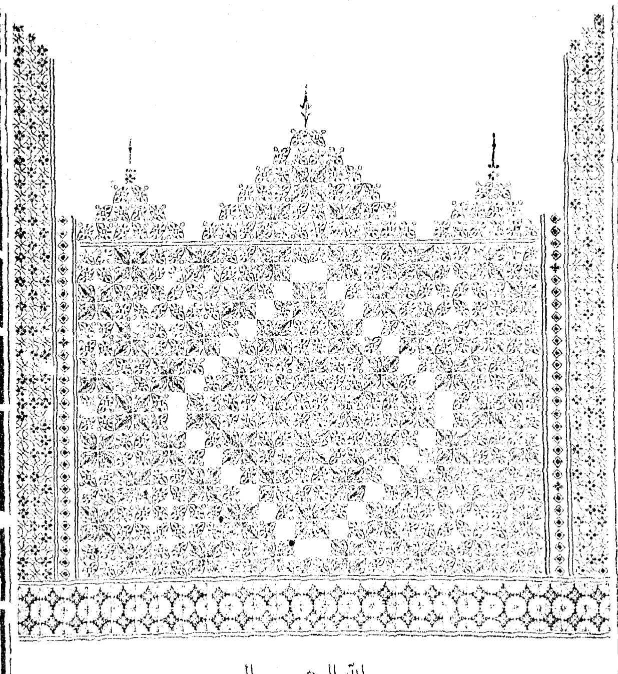
طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٢٨ هجريه



بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى ((أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)) يقول أما فعلي مافعلت بالسفينة فلأنها كانت لقوم مساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها بالخرق الذي خرقتها كما حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل فأردت أن أعيبها قال أخرقها حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان أمامهم وقدامهم ملك كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكان وراءهم ملك قال قتادة أمامهم ألا ترى أنه يقول من ورائهم جهنم وهي بين أيديهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان في القراءة وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا وقد ذكر عن ابن عيينة عن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأ ذلك وكان أمامهم ملك «قال أبو جعفر» وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب وراء من حروف الاضداد وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي * وقومي تميم والفلاة ورائيا

((وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴾ ۞ القراآت أنسانيه بضم الهاء حفص والمفضل وقرأ علي بالامالة مع كسر الهاء نبغي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق (٣) أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلي في الوصل الباقون بحذف الياء في الحالين اتباعا لخط المصحف رشدا بفتحتين أبو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معي بفتح الياء حفص ستجدني إن بفتح الياء أبو جعفر ونافع فلا تسألني بنون التأكيد الثقيلة واثبات الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والأحسن اثباتها لانه شاذ عن أهل الشام الآخرون بنون الوقاية وحذف الياء ليغرق أهلها بياء الغيبة وفتحها مع فتح الراء ورفع الاهل حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاغراق ونصب الاهل زاكية على فاعلة أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الآخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان أبو جعفر ونافع غير اسمعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد فلا تصحبني من الصحبة روح وزيد الآخرون من المصاحبة من لدني خففا أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد والمفضل يضيفوهما من الاضافة المفضل لتخذت من التخذ مدغما أبو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ ابن كثير بالاظهار الباقون لاتخذت من الاتخاذ وقرأ حفص والمفضل والأعشى والبرجمي مظهرا يبدلهما من التبديل وكذلك في سورة التحريم ونون والقلم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو الآخرون من الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب الباقون بسكون الحاء ۞ الوقوف حقبا ٥ سربا ٥ غداءنا ز لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نصبا ٥ الحوت ز لتمام استفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو حالا أن أذكره ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال في البحر وقفة قيل عليه تم كلام يوشع ثم ابتدأ موسى فقال عجبا أي أعجب لذلك عجبا والوصل أجوز أي سبيلا عجبا أو اتخاذا عجبا ٥ نبغ ق ـ

يعني أمامي وقد أغفل وجه الصواب في ذلك وانما قيل لما بين يديه هو ورائي لأنك من ورائه فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك فصار اذ كان ملاقيك كأنه من ورائك وأنت أمامه وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك هو ورائي ولا اذا كان وراءك أن يقال هو أمامي ويقول انما يجوز ذلك في المواقيت من الايام والازمنة كقول القائل وراءك برد شديد وبين يديك حر شديد لانك أنت وراءه فجاز لانه شيء يأتي فكأنه اذا لحقك صار من ورائك وكأنك اذا بلغته صار بين يديك قال فلذلك جاز الوجهان وقوله يأخذ كل سفينة غصبا فيقول القائل فما أغنى خرق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها اذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها معيبها وغير معيبها وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا قيل ان معنى ذلك أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ويدع منها كل معيبة لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها فان قال وما الدليل على أن ذلك كذلك قيل قوله فأردت أن أعيبها فأبان بذلك أنه انما عابها لان المعيبة منها لا يعرض لها فاكتفى بذلك من أن يقال وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا على أن ذلك في بعض القراءة كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال هي في حرف ابن مسعود وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني الحسن بن دينار عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في قراءة أبي وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وانما عبتها لأرده عنها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فاذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها قال ابن جريج أخبرني وهب بن سليمن عن شعيب الجبائي أن اسم الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا هدد بن بدد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما﴾ يقول تعالى ذكره وأما الغلام فانه كان كافرا وكان أبواه مؤمنين فعلمنا أنه يرهقهما يقول يغشيهما طغيانا وهو الاستكبار على الله وكفرا به ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد ذكر ذلك في بعض الحروف وأما الغلام فكان كافرا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأما الغلام فكان كافرا في حرف أبي وكان أبواه مؤمنين فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وكان كافرا في بعض القراءة قوله فخشينا وهي في مصحف عبد الله فخاف ربك أن يرهقهما طغيانا وكفرا حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا عبد الجبار بن عباس الهمداني عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغلام

قدقيل لتمام قول أحدهما وابتداء فعلهما والوجه الوصل لعطف اللفظ وسرعة الرجوع على الفور قصصا ○ لا لاتصال النظم واتحاد
الذى آتيناه علما ○ رشدا ○ صبرا ○ خبرا ○ صبرا ○ أمرا ○ ذكرا ○ فانطلقا وقفة لأن حتى اذا للابتداء خرقها ط أهلها ج لانقطاع
النظم واتحاد المقاتل إمرا ○ صبرا ○ عسرا ○ فانطلقا وقفة لتمام فقتله لا لأن قال جواب اذا بغير نفس ط للفصل بين الاستخبار
والاخبار نكرا ○ صبرا ○ فلا تصاحبنى (٤) ج لاختلاف الجملتين عذرا ○ فانطلقا وقفة فأقامه ط أجرا ○ وبينك
ج صبرا ○ غصبا ○ وكفرا ○
ج للعطف مع الآية رحما ○ صالحا
ج لما قلنا من ربك ج عن أمرى
ط صبرا ○ لانقطاع القصة
﴿التفسير﴾ هذه قصة أوردها الله
تعالى لتعين على المقاصد السابقة
مع كونها مستقلة فى الافادة أما
نفعها فى قصة أصحاب الكهف فهو
أن اليهود قالوا ان أخبركم محمد عنها
فهو نبى والا فلا فذكر الله تعالى قصة
موسى والخضر تنبيها على أن النبى
لا يلزم أن يكون عالما بجميع القصص
والأخبار وأما نفعها فى الرد على
كفار قريش حين افتخروا على فقراء
المسلمين بكثرة الأموال والانصار
فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة
علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات
الشرف التام فى حقه ذهب الى
الخضر وتواضع له لاجل طلب العلم
فدل ذلك على أن التواضع خير من
التكبر وأكثر العلماء على أن موسى
المذكور فى الآية هو موسى بن
عمران صاحب التوراة والمعجزات
وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن
عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم
أن الخضر ليس بصاحب موسى بن
عمران وانما هو صاحب موسى بن
ميشا بن يعقوب وهو قد كان نبيا
قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس
كذب عدو الله واحتج الأكثرون
على صحة قولهم بأن موسى حيث
أطلق فى القرآن أريد به موسى بن عمران فلو كان المراد ههنا شخصا آخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور وأقرب
حجة الأقلين والمذهب جمهور اليهود أن موسى بن عمران بعد أن خصه الله تعالى بالمعجزات الظاهرة التى لم يتفق لمن قبله مثلها يبعد أن يؤمر
بالتعلم والاستفادة وأجيب بأن العالم الكامل فى أكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج فى تعلمها الى من يختص بعلمها أما فتى موسى
فالأكثر على أنه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو
أخو يوشع وكان مصاحبا لموسى فى السفر وعن الحسن انه أراد عبده ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ليقل أحدكم فتاى وفتاتى

الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا والخشية والخوف توجههما العرب الى معنى الظن وتوجه
هذه الحروف الى معنى العلم بالشئ الذى يدرك من غير جهة الحس والعيان وقد بينا ذلك بشواهده
فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى
قوله خشينا فى هذا الموضع كرهنا لان الله لا يخشى وقال فى بعض القراآت فخاف ربك قال
وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرههما لهما وقوله فأردنا
أن يبدلهما ربهما اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين
والبصريين فأردنا أن يبدّلهما ربهما وكان بعضهم يعتل لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشددا فى عامة
القرآن كقول الله عز وجل فبدل الذين ظلموا وقوله واذا بدلنا آية مكان آية فألحق قوله فأردنا
أن يبدلهما به وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فأردنا أن يبدلهما بتخفيف الدال وكان بعض من قرأ
ذلك كذلك من أهل العربية يقول أبدل يبدل بالتخفيف وبدل يبدل بالتشديد بمعنى واحد
﴿ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة
منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقيل ان الله عز وجل أبدل أبوى الغلام
الذى قتله صاحب موسى منه بجارية ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا هاشم
ابن القاسم قال ثنا المبارك بن سعيد قال ثنا عمرو بن قيس فى قوله فأردنا أن يبدلهما
ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال بلغنى أنها جارية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى سليمن بن أمية أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول أبدلا
مكان الغلام جارية ﴿ قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن عثمان بن خثيم أنه سمع سعيد بن جبير يقول
أبدلا مكان الغلام جارية ﴿ وقال آخرون أبدلهما ربهما بغلام مسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا**
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة
وأقرب رحما قال كانت أمه حبلى يومئذ بغلام مسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا
أبو سفيان عن معمر عن قتادة أنه ذكر الغلام الذى قتله الخضر فقال قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا
عليه حين قتل ولو بقى كان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير
له من قضائه فيما يحب وقوله خيرا منه زكاة يقول خيرا من الغلام الذى قتله صلاحا ودينا كما **حدثنا**
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه
زكاة قال الاسلام وقوله وأقرب رحما اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك
وأقرب رحمة بوالديه وأبر بهما من المقتول ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأقرب رحما أبر بوالديه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة وأقرب رحما أى أقرب خيرا ﴿ وقال آخرون بل معنى ذلك وأقرب أن يرحمه أبواه
منهما المقتول ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

ولا يمل عبدي وأمتي قال أهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله فقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله حين لم يرد العلم الى الله فأوحى الله اليه بل أعلم منك عبد لي بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر عليه السلام في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى أيام موسى ويروى أن موسى سأل ربه أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه السلام فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي أصلا * ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله (لا أبرح) بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله (حتى أبلغ) غاية مضروبة فلا بد لها من ذي غاية فالمعنى لا أزال أسير الى أن أبلغ ويجوز أن يكون المعنى لا يبرح سيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر حذف المضاف وهو السير وأقيم المضاف اليه وهو ياء المتكلم مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم ويجوز أيضا أن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول من برح المكان والمعنى لا أبرح عما أنا عليه أي لا أترك المسير والطلب حتى أبلغ (مجمع البحرين) يعني ملتقى بحري فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقيل أراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير أن البحرين موسى والخضر

وأقرب رحما أرحم به منهما بالذي قتل الخضر وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك وأقرب أن يرحماه والرحم مصدر رحمت يقال رحمته رحمة ورحما وكان بعض البصريين يقول من الرحم والقرابة وقد يقال رحم ورحم مثل عسر وعسر وهلك وهلك واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج

* ولم تعوج رحم من تعوجا *

ولا وجه للرحم في هذا الموضع لان المقتول كان والذي أبدل الله منه والديه ولدا لأبوي المقتول فقرابتهما من والديه وقربهما منه في الرحم سواء وانما معنى ذلك وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة وقد يتوجه الكلام الى أن يكون معناه وأقرب أن يرحماه غير أنه لا قائل من أهل التأويل تأوله كذلك فاذ لم يكن فيه قائل فالصواب فيه ما قلنا لما بينا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى وأما الحائط الذي أقمته فانه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما * اختلف أهل التأويل في ذلك الكنز فقال بعضهم كان صحفا فيها علم مدفونة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكان تحته كنز لهما قال كان تحته كنز علم حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال كان كنز علم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال علم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال علم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكان تحته كنز لهما قال صحف لغلامين فيها علم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال صحف علم حدثني أحمد بن حازم الغفاري قال ثنا هنادة ابنة مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عز وجل وكان تحته كنز لهما قال سطران ونصف لم يتم الثالث عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح وقد قال وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قالت وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساجا حدثني يعقوب قال ثنا الحسن ابن حبيب بن ندبة قال ثنا سلمة بن محمد عن نعيم العنبري وكان من جلساء الحسن قال سمعت الحسن يقول في قوله وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا

لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا لان أحد البحرين اذا كان هو موسى عليه السلام فكيف يصح أن يقول حتى أبلغ مجمع البحرين اذ يؤل حاصل المعنى الى قولنا حتى أبلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم أحدهما أنا (أو أمضى حقبا) أسير زمانا طويلا قال جار الله الحقب بالضم ثمانون سنة ويقال أكثر من ذلك وقيل انه تعالى أعلم موسى حال هذا العالم وما أعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا أزال أمضى حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا أو أمضى (٦) دهرا طويلا حتى أجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى عليه السلام بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى أن يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وأن طالب العلم يحق له أن يسافر ويتحمل المتاعب في الطلب من غير ملال وكلال (فلما بلغا مجمع بينهما) قال جمهور المفسرين الضمير للبحرين أي تحقق ما قال موسى وبلغ المكان الذي وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتق وسط ما امتد من البحرين طولا والاضافة بمعنى في أي مجمعا في وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى أولى منه بكلام موسى أو البين بمعنى الافتراق أي البحران المفترقان يجتمعان هنالك ويحتمل على هذا أن يعود الضمير الى موسى والخضر أي وصلا الى الموضع الذي عند اجتماع شملهما هنالك أو البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيفيد مزيد التأكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم أجدها في التفاسير فان كن صوابا فمن الله والا فمني ومن الشيطان (نسيا حوتهما) لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر قيل ان الفتى كان يغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ في ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجرت هنالك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر ونسيان الحوت الذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب في هذا الذهول مع أن هذه الحالة كانت أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها هو أن يوشع كان قد تعود مشاهدة المعجزات الباهرة فلم يبق لحياة السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذي يشبه الضروري

وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقول ما كان الكنز الا علما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن حميد عن مجاهد في قوله وكان تحته كنز لهما قال صحف من علم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش عن عمر مولى غفرة قال ان الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب ممن عرف الموت ثم ضحك عجب ممن أيقن بالقدر ثم نصب عجب ممن أيقن بالموت ثم أمن أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله * وقال آخرون بل كان مالا مكنوزا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة وكان تحته كنز لهما قال كنز مال حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن عكرمة مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود عن شعبة قال أخبرني أبو حصين عن عكرمة مثله قال شعبة ولم نسمعه منه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكان تحته كنز لهما قال مال لهما قال قتادة أحل الكنز لمن كان قبلنا وحرم علينا فان الله يحل من أمره ما يشاء ويحرم وهي السنن والفرائض ويحل لأمة ويحرم على أخرى ولكن الله لا يقبل من أحد مضى الا الاخلاص والتوحيد له * وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة لان المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فان التأويل مصروف الى الاغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه الى غير ذلك لعلل قد بيناها في غير موضع وقوله أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما يقول فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته رحمة من ربك بهما يقول فعلت فعلي هذا بالجدار رحمة من ربك لليتيمين وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثني موسى ابن عبد الرحمن قال ثنا أبو أسامة عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس في قوله وكان أبوهما صالحا قال حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاح حدثنا أبو كريب قال ثنا سفيان عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بمثله وقوله وما فعلته عن أمري يقول وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي ومن تلقاء نفسي وانما فعلته عن أمر الله اياي به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما فعلته عن أمري كان عبدا مأمورا فمضى لامر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما فعلته عن أمري ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسي وقوله ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا يقول هذا الذي ذكرت لك من الاسباب التي من أجلها فعلت الافعال

تنبيه لموسى عليه السلام على أن العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله (سربا) على أنه مفعول ثان لاتخذ أى اتخذ سبيله سبيلا سربا وهو بيت فى الارض وذلك أن الله تعالى أمسك اجراء الماء عن الحوت وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى عليه السلام وللخضر وقيل السرب هو الذهاب والتقدير سرب فى البحر سربا الا أنه أقيم قوله واتخذ سبيله مقام سرب (فلما جاوزا) أى موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا) وهو ما يؤكل (٧) بالغداة (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا وجوعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا (أرأيت) ومفعوله محذوف لدلالة قوله فانى نسيت الحوت عليه كأنه قال أرأيت ما دهانى ووقع لى (اذ أوينا الى الصخرة) قيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت (فانى نسيت الحوت) عليها ثم ذكر ما يجرى مجرى السبب فى وقوع ذلك النسيان فقال (وما أنسانيه الا الشيطان) و(أن أذكره) بدل الاشتمال من الهاء فى أنسانيه أى وما أنسانى ذكره قال الكعبى لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى أولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس له فى وجوده سعى ولا أثر وقال القاضى المراد بانساء الشيطان أن يشتغل قلب الانسان بوساوسه التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الذكر لان ذلك لا يصلح أن يكون الا من قبل الله تعالى قال أهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله فى البحر عقيب النسيان ذكر أولا فاتخذ بالفاء ولما حيل بينهما ثانيا بجملة معترضة هى قوله وما أنسانيه زال معنى التعقيب وبقى العطف المجرد فقال (واتخذ سبيله) بالواو وانتصاب (عجبا) كما مر فى سربا قال صلى الله عليه وسلم كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا (قال) موسى (ذلك) يعنى اتخاذ الحوت السبيل فى البحر (ما كنا نبغى) أى انه الذى كنا نطلبه لانه أمارة الظفر بالمطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا على طريقهما المسلوك (قصصا) مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر أى يتبعان آثارهما اتباعا أو هو مصدر فى موضع الحال أى رجعا على الطريق الذى جاآ منه مقتصين (فوجدا عبدا من عبادنا) الأكثرون على أن ذلك العبد كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله (آتيناه رحمة من عندنا) والرحمة هى الوحى والنبوة بدليل قوله أهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع أن كل رحمة نبوة

الافعال التى استنكرتها منى تأويل يقول ما تؤول اليه وترجع الافعال التى لم تستطع على ترك مسئلتك اياى عنها وانكارك لها صبرا وهذه القصص التى أخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه تأديب منه له وتقدم اليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤا به وبكتابه واعلام منه له أن أفعاله بهم وان جرت فيما ترى الاعين بما قد يجرى مثله أحيانا لأوليائه فان تأويله صائر بهم الى أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة فى الظاهر عند موسى اذ لم يكن عالما بعواقبها وهى ماضية على الصحة فى الحقيقة وآئلة الى الصواب فى العاقبة ينبئ عن صحة ذلك قوله وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين بغير نظر منه لهم وان كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم نظرا منه لهم لان تأويل ذلك صائر الى هلاكهم وبوارهم بالسيف فى الدنيا واستحقاقهم من الله فى الآخرة الخزى الدائم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذى القرنين ما كان شأنه وما كانت قصته فقل لهم سأتلو عليكم من خبره ذكرا يقول سأقص عليكم منه خبرا وقد قيل ان الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذى القرنين كانوا قوما من أهل الكتاب فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركى قومه فقد ذكرناه قبل وأما الخبر بأن الذين سألوه كانوا قوما من أهل الكتاب فحدثنا به أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة قال ثنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن شيخين من تجيب قال أحدهما لصاحبه انطلق بنا الى عقبة بن عامر نتحدث قالا فأتيناه فقالا جئنا لتحدثنا فقال كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت من عنده فلقينى قوم من أهل الكتاب فقالوا نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن لنا عليه فدخلت عليه فأخبرته فقال مالى ومالهم مالى علم الا ما علمنى الله ثم قال اسكب لى ماء فتوضأ ثم صلى قال فما فرغ حتى عرفت السرور فى وجهه ثم قال أدخلهم علىّ ومن رأيت من أصحابى فدخلوا فقاموا بين يديه فقال ان شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه فى كتابكم مكتوبا وان شئتم أخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قال جئتم تسألونى عن ذى القرنين وما تجدونه فى كتابكم كان شابا من الروم فجاء فبنى مدينة مصر الاسكندرية فلما فرغ جاءه ملك فعلا به فى السماء فقال له ما ترى فقال أرى مدينتى ومدائن ثم علا به فقال ما ترى فقال أرى مدينتى ثم علا به فقال ما ترى قال أرى الارض قال فهذا اليم محيط بالدنيا ان الله بعثنى اليك تعلم الجاهل وتثبت العالم فأتى به السد وهو جبلان لينان يزلق عنهما كل شئ ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج ثم مضى به الى أمة أخرى وجوههم وجوه

الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى حتى قطع به هؤلاء الى أمة أخرى قد سماهم واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين ذو القرنين فقال بعضهم قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قرنه فهلك ثم أحيي فضرب على القرن الآخر فهلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عبيد المكتب عن أبي الطفيل قال سأل ابن الكواء عليا عن ذي القرنين فقال هو عبد أحب الله فأحبه وناصح الله فنصحه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه ثم بعثه الله فضربوه على قرنه فمات حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل علي رضوان الله عليه عن ذي القرنين فقال كان عبدا ناصح الله فناصحه فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فسمي ذا القرنين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل قال سمعت عليا وسألوه عن ذي القرنين أنبيا كان قال كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه وناصح الله فنصحه فبعثه الله الى قومه فضربوه ضربتين في رأسه فسمي ذا القرنين وفيكم اليوم مثله * وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد ابن سهل البخاري قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل قال قال وهب بن منبه كان ذو القرنين ملكا فقيل له فلم سمي ذا القرنين قال اختلف فيه أهل الكتاب فقال بعضهم ملك الروم وفارس وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين * وقال آخرون انما سمي ذلك لان صفحتي رأسه كانتا من نحاس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني قال انما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس وقوله انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا يقول انا وطأنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا يقول وآتيناه من كل شيء يعني ما يتسبب اليه وهو العلم به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وآتيناه من كل شيء سببا يقول علما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناه من كل شيء سببا أي علما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وآتيناه من كل شيء سببا قال من كل شيء علما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وآتيناه من كل شيء سببا قال علم كل شيء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وآتيناه من كل شيء سببا علما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وآتيناه من كل شيء سببا يقول علما

قالوا وصفه بقوله (وعلمناه من لدنا علما) والعلم المختص به تعالى هو الوحي والاخبار بالغيوب وأيضا قال في آخر القصة وما فعلته عن أمري أي عرفته وفعلته بأمر الله وذلك مستلزم الوحي وروي أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق فيه اذا ضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة قويت القوة العقلية وأشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل ويفيض عليه من عالم الارواح أنوار يستعد بسببها لملاحظة أسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون أيضا على أن ذلك العبد هو الخضر سمي بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف وقال الجبائي روي أن الخضر انما بعث بعد موسى عليه السلام من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه أظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وأن موسى أظهر التواضع له حين قال ولا أعصي لك أمرا مع أنه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل والامة لا تكون أعلى حالا من النبي وان لم تكن الرواية صحيحة بأن الخضر لا يكون من بني اسرائيل لم يجز أن يكون الخضر أفضل من موسى عليه السلام لانه تعالى قال لبني اسرائيل وأني فضلتكم على العالمين وأجيب بأنه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في قوله (هل اتبعك) أنواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه أن المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والاتيان بمثل أفعال الاستاذ وأقواله على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هي الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة وقوله التوحيد لاجل أنهم قالوها بل لقيام الدليل على قولها ولكنا متابعون في الصلوات الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم لانا نأتي بها لاجل أنه أتى بها ومنها أنه استأذن في اثبات هذه التبعية ومنها أنه قال على أن تعلمني مما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه أنه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه أن يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع اليه جزأ من أجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بأن ذلك العلم علمه الله

وقوله ﴿فأتبع سببا﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة فاتبع بوصل الألف وتشديد التاء بمعنى سلك وسار من قول القائل اتبعت أثر فلان اذا قفوته وسرت وراءه وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فأتبع بهمز الألف وتخفيف التاء بمعنى لحق * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه فاتبع بوصل الألف وتشديد التاء لان ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها لا عن لحاقه السبب وبذلك جاء تأويل أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس فاتبع سببا يعني بالسبب المنزل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سببا قال منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد فاتبع سببا قال طريقا في الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاتبع سببا اتبع منازل الارض ومعالمها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاتبع سببا قال(١) هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات قال طرق السموات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاتبع سببا قال منازل الارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاتبع سببا قال المنازل

القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا بلغ ذو القرنين مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة فاختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة في عين حمئة بمعنى أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة وقرأته جماعة من قراء المدينة وعامة قراء الكوفة في عين حامية يعني أنها تغرب في عين ماء حارة واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته ذكر من قال تغرب في عين حمئة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حمئة قال في طين أسود حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ في عين حمئة قال ذات حمأة حدثنا الحسين بن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن علية عن عثمان بن حاضر قال سمعت عبد الله بن عباس يقول قرأ معاوية هذه الآية فقال عين حامية فقال ابن عباس انها عين حمئة قال فجعلا كعبا بينهما

(١) عبارة الدر هذه الآن الطرق ثم قال والشيء يكون اسمه واحدا وهو متفرق في المعنى فتأمل مصححه

تعالى والاسمي فاعل وفيه اشعار بأن انعامه عليه في هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه فيه ومن هنا قيل أنا عبد من علمني حرفا ومنها أن الخضر عرف أنه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وانما طلب التعليم فقال على أن تعلمني فدل ذلك على أنه لا كمال فوق كمال العلم وأنه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه أن كل من كانت احاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر فكان حرصه على زيادتها أوفر ومنها أنه قال (٩) رشدا وهو يصلح أن يكون مفعولا لتعلمني وأعلمت أي علما ذا رشد أرشد به في ديني وفيه تعظيم لما سيعلمه فان الارشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر أنه قال لن تستطيع معي صبرا نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد لعلمه بأنه يتولى أمورا هي في الظاهر منكرة والرجل الصالح لاسيما النبي الذي يحكم بظواهر الامور شرعا قلما يتمالك أن يصبر عليها و(خبرا) تمييز أي لم يحط به خبرك أو هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالآية على أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر بنفي الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام في معنى الانكار أي لا تصبر البتة أجاب الجبائي بأنه أراد بنفي الاستطاعة أنه يثقل عليه الصبر لا أنه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا لا يستطيع أن يرى فلانا وأن يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا (قال) له موسى (ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي) أي ستجدني غير عاص (لك أمرا) ويجوز أن يكون قوله ولا أعصي جملة مستأنفة معطوفة على مثلها أي ستجدني ولا أعصي قال أهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق الشك والصبر مأمور به دليل على أنه تعالى قد لا يريد من العبد ما أوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب وأجيب بأن هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فأي أدب في ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا أعصي لك أمرا دليل على أن ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص بهذه الآية والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليظ وتجهيل وفي قول موسى تحمل وتواضع فدل ذلك على أن المعلم ان رأى التغليظ على المتعلم فيما يعتقده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم أن يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال (فان اتبعتني فلا تسألني) شرط على موسى عليه السلام في اتباعه

أن لا يسأل عما اخفى عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدئ بتعليمه اياه و باخباره عن وجه الحكمة فيه (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها روى أن أهلها قالوا انهما من اللصوص وأمروهما بالخروج فمنعهم صاحب السفينة وقال أرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهم بلا أجرة فلما حصلوا في اللجة أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء وقيل خرق جدار السفينة ليعيبها ولا يتسارع الغرق الى أهلها فجعل موسى يسد الخرق بثيابه و يقول (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا) أتيت شيأ عظيما يقال أمر الامر اذا عظم ويقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه انه أمر إمر احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بأن موسى عليه السلام اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب وأجيب بأنه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه أحب أن يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة أو أنه خالف الشرط بناء على النسيان واليه أشار (قال لا تؤاخذني بما نسيت) ولا مؤاخذة على الناسي وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية أي بالذي نسيت وبشيء نسيته و بنسياني وجوز في الكشاف أن لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه أوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت أنه قد نسي ليبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز أيضا أن يكون النسيان بمعنى الترك أي بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني) ولا تغشني (من أمري عسرا) وأراد بأمره أمر المتابعة أي يسر علي متابعتك بالاغضاء وترك المناقشة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء الشرط وفي قصة الغلام جعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه بفاء التعقيب لان القتل يعقب لقاء الغلام ولفظ الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه قولهم رأى الشيخ خير من مشهد الغلام وأصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القرآن أنهما كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان أو كان منفردا وهل كان مسلما أو كان كافرا وهل كان بالغا أو كان صغيرا واسم الغلام بالصغير أليق الا أن (بغير نفس) بالبالغ أليق لان الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس أن نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من

حسنا

قال فارسلا الى كعب الاحبار فسألاه فقال كعب أما الشمس فانها تغيب في ثأط فكانت على ما قال ابن عباس والثأط الطين حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى نافع بن أبي نعيم قال سمعت عبد الرحمن الاعرج يقول كان ابن عباس يقول في عين حمئة ثم فسرها ذات حمأة قال نافع وسئل عنها كعب فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حمئة قال هي الحمأة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في عين حمئة قال ثأط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله عز ذكره تغرب في عين حمئة قال ثأطة * قال وأخبرني عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قرأت في عين حمئة وقرأ عمرو بن العاص في عين حامية فأرسلنا الى كعب فقال انها تغرب في حمأة طينة سوداء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تغرب في عين حمئة والحمئة الحمأة السوداء حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا مروان بن معاوية عن ورقاء قال سمعت سعيد ابن جبير قال كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف في عين حمئة و يقول حمأة سوداء تغرب فيها الشمس * وقال آخرون بل هي تغيب في عين حارة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يقول في عين حارة حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في عين حامية قال حارة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله في عين حامية قال حارة وكذلك قرأها الحسن * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين فيكون القارئ في عين حامية واصفها بصفتها التي هي لها وهي الحرارة و يكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين وقد روى بكلا صفتيها اللتين قلت انهما من صفتها أخبار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا العوام قال ثنى مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الارض حدثني الفضل بن داود الواسطي قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه حمئة وقوله ووجد عندها قوما ذكر أن أولئك القوم يقال لهم ناسك وقوله قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب يقول اما أن تقتلهم ان هم لم يدخلوا في الاقرار بتوحيد الله ويذعنوا لك بما تدعوهم اليه من طاعة ربهم واما أن تتخذ فيهم

حسنا يقول واما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) يقول جل ثناؤه قال أما من ظلم فسوف نعذبه يقول أما من كفر فسوف نقتله كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أما من ظلم فسوف نعذبه قال هو القتل وقوله ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا يقول ثم يرجع الى الله تعالى بعد قتله فيعذبه عذابا عظيما وهو النكر وذلك عذاب جهنم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) يقول وأما من صدق الله منهم ووحده وعمل بطاعته فله عند الله الحسنى وهى الجنة جزاء يعنى ثوابا على ايمانه وطاعته ربه وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة فله جزاء الحسنى برفع الجزاء واضافته الى الحسنى واذا قرئ ذلك كذلك فله وجهان من التأويل أحدهما أن يجعل الحسنى مرادا بها ايمانه وأعماله الصالحة فيكون معنى الكلام اذا أريد بها ذلك وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها يعنى جزاء هذه الأفعال الحسنة والوجه الثانى أن يكون معنيا بالحسنى الجنة وأضيف الجزاء اليها كما قيل ولدار الآخرة خير والدار هى الآخرة وكما قال وذلك دين القيمة والدين هو القيم وقرأ آخرون فله جزاء الحسنى بمعنى فله الجنة جزاء فيكون الجزاء منصوبا على المصدر بمعنى يجازيه جزاء الجنة ۞ وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأه فله جزاء الحسنى بنصب الجزاء وتنوينه على المعنى الذى وصفت من أن لهم الجنة جزاء فيكون الجزاء نصبا على التفسير وقوله وسنقول له من أمرنا يسرا يقول وسنعلمه نحن فى الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يقربه الى الله ويلين له من القول وكان مجاهد يقول نحوا مما قلنا فى ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من أمرنا يسرا قال معروفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) يقول تعالى ذكره ثم سار وسلك ذو القرنين طرقا ومنازل كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أتبع سببا يعنى منزلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أتبع سببا منازل الارض ومعالمها حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا يقول تعالى ذكره ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ولا تحتمل بناء فيسكنوا البيوت وانما يغورون فى المياه أو يسربون فى الأسراب

حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل قال الكسائى الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة وقال أبو عمرو الزاكية التى لم تذنب والزكية التى أذنبت ثم تابت ويجوز أن يكون وصفها بالزكاء لانه لم يرها أذنبت فهى طاهرة عنده قيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل النكر أشد لأن ذلك كان خرقا يمكنه تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وأيضا الامر العجيب والعجب يستعمل فى الخير والشر والنكر ما تنكره العقول فهو شر وظاهر الآية يدل على أن موسى استبعد أن تقتل النفس الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل بسائر الاسباب ولعله اعتبر السبب الأغلب الأقوى واختلفوا فى كيفية قتله فقيل قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر أنه ما زاد على أن أذكره ما عاهد عليه فقال (ألم أقل لك) وانما زاده هنالك لان الانكار أكثر وموجب العتاب أقوى وقيل أكد التقرير الثانى بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك أقول واياك أعنى وقيل بين فى الثانى المقول له لما لم يبين فى الاول فعند هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فلا تصاحبنى) نهاه عن المصاحبة حينئذ مع حرصه على التعلم لظهور عذره كما قال (قد بلغت من لدنى عذرا) وهذا كلام نادم شديد الندامة جره المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى استحيا فقال ذلك (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هى أنطاكية وقيل الايلة وهى أبعد أرض الله من السماء (استطعما أهلها) وكان حق الايجاز أن يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتأكيد كقوله

ليت الغراب غداة ينعب بيننا ۞ كان الغراب مقطع الأوداج

وأيضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين فى مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستطالة (فأبوا أن يضيفوهما) يقال أضافه وضيفه اذا أنزله وجعله ضيفه والتركيب يدور على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف أقدما عليه وأيضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى أن يغضب عليهم حتى ترك عهد صاحبه وقال (لو شئت لاتخذت عليه

أجرا) وأجيب بأن الرجل إذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة أو أشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجبت إجابته ولقائل أن يقول لو كان قد
بلغ الجوع إلى حد الهلاك لم يقو على إصلاح الجدار وللمجيب أن يقول إنه أقام الجدار معجزة فقد روى أنه مسحه بيده فقام واستوى وقيل
أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وروى أنه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال أهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا
يعرف لابن السبيل حقه ويحكى أن أهل تلك (١٣) القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله
نشتري بهذا الذهب أن تجعل
الباء تاء أي فأتوا أن يضيفوهما
فامتنع رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك قوله (يريد أن ينقض)
معناه يسرع سقوطه من انقض
الطائر إذا هوى في طيرانه يقال
قضضته فانقض ويحتمل أن يكون
افعل من النقض كاحمر من الحمرة
فالنون تكون أصلية وإحدى
الضادين مكررة زائدة عكس الأول
واستعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة
تشبيها للجماد بالأحياء نظيره ولما
سكت عن موسى الغضب قالتا أتينا
طائعين ولما أقام الخضر الجدار
ورأى موسى من الحرمان ومسيس
الحاجة (قال) لصاحبه (لو
شئت لاتخذت عليه أجرا) لطلبت
على عملك جعلا حتى نستدفع به
الضرورة واتخذ افتعل من تخذ
كاتبع من تبع وليس من الأخذ
على الأصح (قال) الخضر مشيرا
إلى الفراق المتصور في قوله فلا
تصاحبني أو مشيرا إلى السؤال
والاعتراض (هذا فراق بيني)
الإضافة بمعنى في أي فراق أو سبب
فراق في بيني (وبينك) وحكى القفال
أن البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع
في تقرير الحكم التي تضمنتها أفعاله
وتلك الحكم تشترك في أصل واحد
هو أنه إذا تعارض الضرران وجب
تحمل الأدنى لدفع الأعلى فقال
(أما السفينة فكانت لمساكين) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة (يعملون في البحر) وقد تقدم استدلال بضم
الشافعي بهذه الآية على أن الفقير أسوأ حالا من المسكين (وكان وراءهم ملك) وهو مسمى بجلندى والوراء ههنا بمعنى الإمام وقد مر في قوله ومن
ورائه عذاب غليظ وقيل أراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كان عندهم خبره (يأخذ كل سفينة) أي غير معيبة (غصبا) ولا يخفى
أن الضرر الحاصل من التخريق أهون من فوات السفينة بالكلية والتخريق وإن كان تصرفا في ملك الغير إلا أنه إذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به

كما حدثني إبراهيم بن المستمر قال ثنا سليمن بن داود أبو داود قال ثنا سهل بن أبي الصلت
السراج عن الحسن تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال كانت أرضا لا تحتمل البناء
وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغوروا في الماء فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال ثم
قال الحسن هذا حديث سمرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى
إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ذكر لنا أنهم كانوا في مكان
لا يستقر عليه البناء وإنما يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت عنهم الشمس خرجوا إلى معايشهم
وحروثهم قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني
حجاج عن ابن جريج في قوله وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال لم يبنوا فيها بناء قط
ولم يبن عليهم فيها بناء قط وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس
أو دخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل وجاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم
الشمس وأنتم بها فقالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام قالوا هذه جيف جيش طلعت
عليهم الشمس ههنا فماتوا قال فذهبوا هاربين في الأرض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال بلغنا
أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس حتى تزول
عنهم ثم يخرجون إلى معايشهم * وقال آخرون هم الزنج ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تطلع على قوم لم نجعل لهم
من دونها سترا قال يقال هم الزنج وأما قوله كذلك فإن معناه ثم أتبع سببا كذلك حتى إذا بلغ
مطلع الشمس وكذلك من صلة أتبع وإنما معنى الكلام ثم أتبع سببا حتى بلغ مطلع الشمس كما
أتبع سببا حتى بلغ مغربها وقوله وقد أحطنا بما لديه خبرا يقول وقد أحطنا بما عند مطلع
الشمس علما لا يخفى علينا مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم ولا من غيرهم شيء * وبالذي
قلنا في معنى الخبر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله خبرا قال علما حدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا قال علما ۞ القول في تأويل قوله
تعالى (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا
قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل
بيننا وبينهم سدا) يقول تعالى ذكره ثم سار طرقا ومنازل وسلك سبلا حتى إذا بلغ بين السدين
واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين حتى إذا بلغ بين السدين

بضم السين وكذلك جميع ما في القرآن من ذلك بضم السين وكان بعض قراء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله وكان أبو عمرو بن العلاء يفتح السين في هذه السورة ويضم السين في يس ويقول السد بالفتح هو الحاجز بينك وبين الشئ والسد بالضم ما كان من غشاوة في العين وأما الكوفيون فان قراءة عامتهم في جميع القرآن بفتح السين غير قوله حتى اذا بلغ بين السدين فانهم ضموا السين في ذلك خاصة وروى عن عكرمة في ذلك ما حدثنا به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن أيوب عن عكرمة قال ما كان من صنعة بني آدم فهو السد يعني بالفتح وما كان من صنع الله فهو السد وكان الكسائي يقول هما لغتان بمعنى واحد * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفته فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء وعكرمة بين السد والسد لأنا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك على ما حكي عنهما ومما يبين ذلك أن جميع أهل التأويل الذين روى لنا عنهم في ذلك قول لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه ولو كانا مختلفي المعنى لنقل الفصل مع التأويل ان شاء الله ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك فان الذي نقل ذلك عن أيوب هرون وفي نقله نظر ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه والسد والسد جميعا الحاجز بين الشيئين وهما ههنا فيما ذكر جبلان سدما بينهما فردم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم ليقطع مادة غوائلهم وعيثهم عنهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس حتى اذا بلغ بين السدين قال الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج أمتين من وراء ردم ذي القرنين قال الجبلان أرمينية واذربيجان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله بين السدين يعني بين جبلين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بين السدين قال هما جبلان وقوله وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا يقول عز ذكره وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم وقد اختلفت القراء في قراءة قوله يفقهون فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة يفقهون قولا بفتح القاف والياء من فقه الرجل يفقه فقها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يفقهون قولا بضم الياء وكسر القاف من أفقهت فلانا كذا أفقهه إفقاها اذا فهمته ذلك * والصواب عندي من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار غير دافعة احداهما الاخرى وذلك ان القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولا لغيرهم عنهم فيكون صوابا القراءة

بأس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة أو لعله كان من مخصوصات النبي صلى الله عليه وسلم قال جار الله قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه أن يتأخر عن السبب ولكنه قدم للعناية أي تتعجب من هذا وهو مرادي وأنا مأمور به وأيضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة للمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظن بين المبتدا والخبر في قولك زيد ظني مقيم في أنه يتعلق بالطرفين (وأما الغلام) فقد قيل انه كان بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة وكان أبواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يقعان في الفسق لذلك واحتمل أن يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد كما قال (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) يقال رهقه أي غشيه وأرهقه اياه وقيل انه كان صبيا الا أنه تعالى علم من حاله أنه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد فأعلم الخضر حاله وأمره بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه ومثل هذا لا يجوز الا اذا تأكد الظن بالوحي وقيل أراد فخفنا أن يغشى الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه أو خفنا أن يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوزوا أن يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى أي كرهنا كراهة من خاف سوء عاقبة أمر فغيره والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب وكأنه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف بمعنى الاشفاق على الابوين يروى أنهما ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الامم ويروى أنها ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول الحيسون وفي نسخة الحسين (وأما الجدار فكان لغلامين) قيل اسمهما أصرم وصريم وقوله (في المدينة) بعد قوله أتيا أهل قرية فيه دلالة على أن القرية لا تنافي المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما أما الكنز فقيل هو المال لقوله (ويستخرجا) ولان المفهوم منه عند اطلاقه هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان أبوهما صالحا ودفن المال لا يليق بأهل الصلاح وعورض بقول قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل

بذلك وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل اما بألسنتهم واما بمنطقهم فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا وقوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض اختلفت القراء في قراءة قوله ان يأجوج ومأجوج فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم ان ياجوج وماجوج بغير همز على فاعول من يججت ومججت وجعلوا الالفين فيهما زائدتين غير عاصم بن أبي النجود والاعرج فانه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعا وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام وكأنهما جعلا يأجوج يفعول من أججت ومأجوج مفعول والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا أن ياجوج وماجوج بألف بغير همز لاجماع الحجة من القراء عليه وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ومنه قول رؤبة بن العجاج

لو أن ياجوج وماجوج معا * وعاد عاد واستجاشوا تبعا

وهم أمتان من وراء السد وقوله مفسدون في الارض اختلف أهل التأويل في معنى الافساد الذي وصف الله به هاتين الأمتين فقال بعضهم كانوا يأكلون الناس ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا ابراهيم بن أيوب الحوراني قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض قال كانوا يأكلون الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك ان يأجوج ومأجوج سيفسدون في الارض لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون ذكر من قال ذلك وذكر صفة اتباع ذي القرنين الأسباب التي ذكرها الله في هذه الآية وذكر سبب بنائه للردم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني بعض من يسوق أحاديث الاعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم مما توارثوا من علم ذي القرنين ان ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي وكان خالد رجلا قد أدرك الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسموا بأسماء الملائكة فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فالحق ما قال والباطل ما خالفه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني وكان له علم بالاحاديث الاول أنه كان يقول ذو القرنين رجل من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر وانما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس فلما بلغ وكان عبدا صالحا قال الله عز وجل له يا ذا القرنين اني باعثك الى أمم الارض وهي أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع أهل الارض ومنهم أمتان بينهما طول الارض كله ومنهم أمتان بينهما

عرض

وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي قوله وكان أبوهما صالحا دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الابناء عن جعفر بن محمد رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وذكر من صلاح أبيهما أن الناس كانوا يضعون الودائع عنده فيردها اليهم سالمة قالت العلماء الأشبه أن اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به الا أنه غائب وقد أشرف الجدار على السقوط و(رحمة) (٤١) (من ربك) مصدر منصوب بأراد لانه في معنى رحمهما أو مفعول له (وما فعلته عن أمري) أي اجتهادي ورأيي وانما فعلته بأمر الله * سؤال لم قال في الاول فأردت أن أعيبها وفي الثاني فأردنا وفي الثالث فأراد ربك الجواب لان الاول افساد في الظاهر فأسنده الى نفسه وفي الثالث انعام محض فأسنده الى الله سبحانه وفي الثاني افساد من حيث القتل وانعام من حيث التبديل فجمع بين الأمرين ويمكن أن يقال ان القتل كان منه ولكن ازهاق الروح كان من الله ويحتمل أن يقال الوحدة في الاول على الأصل والجمع في الثاني تنبيه على أنه من العلماء المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله بالآخرة اشارة الى أنه لا ارادة الا ارادة الله وما تشاؤن الا أن يشاء الله (ذلك) الذي ذكر من أسرار تلك الوقائع (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي مرجع المقصود من تلك الافاعيل الماقربا وأصل تسطع تستطع كما في قوله سأنبئك بتأويل ما لم تستطع الا أن التاء حذفت لأجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ في الاستعمال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الاعاجيب ﴿التأويل﴾ واذ قال موسى لفتاه فيه أن المسافر لا بد له في الطريق من الرفيق وفيه أن من شرطهما أن يكون أحدهما أميرا والآخر مأمورا وأن يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وأن لا يسأم من متاعب السفر حتى يظفر بمقصوده وأن تكون نيته طلب شيخ يقتدي به فان طلب الشيخ في الحقيقة هو طلب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد وعنده عين الحياة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد حيي واتخذ سبيله في بحر الولاية سربا فلما جاوزا فيه اشارة الى أن المريد في أثناء السلوك لو تطرقت اليه الملالة أصاب قلبه الكلالة وسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا أن مقصوده يحصل من غير واسطة

الشيخ فهيهات فانه ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان أدركته العناية الأزلية ورد اليه صدق الارادة فيقول الرفيق التوفيق آتنا غداءنا وهو همة الشيخ وبركة صحبته لقد لقينا في سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا فقال رفيقه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة صخرة النفس وتلويناتها فاني نسيت حوت القلب قال ذلك ما كنا نبغي من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا وزينتها أن يتخذ سبيله في بحر ولاية شيخ كامل فوجدا عبدا من عبادنا حرا من رق غيرنا وفي قوله وعلمناه من لدنا علما اشارة الى أنه تعالى (١٥) أطلعه على بواطن الأشياء وحقائقها وهذا

عرض الارض كله وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأما الاخرى فعند مطلعها يقال لها منسك وأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر فأمة يقال لها تاويل فلما قال الله له ذلك قال له ذو القرنين الهي انك قد ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا أنت فأخبرني عن هذه الامم التي بعثتني اليها بأي قوة أكابرهم وبأي جمع أكاثرهم وبأي حيلة أكايدهم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأي سمع أعي قولهم وبأي بصر أنفذهم وبأي حجة أخاصمهم وبأي قلب أعقل عنهم وبأي حكمة أدبر أمرهم وبأي قسط أعدل بينهم وبأي حلم أصابرهم وبأي معرفة أفصل بينهم وبأي علم أتقن أمورهم وبأي يد أسطو عليهم وبأي رجل أطؤهم وبأي طاقة أخصمهم وبأي جند أقاتلهم وبأي رفق أستألفهم فانه ليس عندي يا الهي شئ مما ذكرت يقوم لهم ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم وأنت الرب الرحيم الذي لا يكلف نفسا الا وسعها ولا يحملها الا طاقتها ولا يعنتها ولا يفدحها بل أنت ترأفها وترحمها قال الله عز وجل اني سأطوقك ما حملتك أشرح لك صدرك فيتسع كل شئ وأشرح لك فهمك فتفقه كل شئ وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شئ وأفتح لك سمعك فتعي كل شئ وأمد لك بصرك فتنفذ كل شئ وأدبر لك أمرك فتتقن كل شئ وأحصي لك فلا يفوتك شئ وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شئ وأشد لك ظهرك فلا يهدك شئ وأشد لك ركنك فلا يغلبك شئ وأشد لك قلبك فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة فأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك وأشد لك عقلك فلا يهولك شئ وأبسط لك من بين يديك فتسطو فوق كل شئ وأشد لك وطأتك فتهد كل شئ وألبسك الهيبة فلا يرومك شئ ولما قيل له ذلك انطلق يؤم الامة التي عند مغرب الشمس فلما بلغهم وجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة وقلوبا متفرقة فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاطتهم من كل مكان وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم الى الله والى عبادته فمنهم من آمن له ومنهم من صد فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب منهم فماجوا فيها وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا اليه بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم والنور أمامهم يقودهم ويدلهم وهو يسير في ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض الايمن التي يقال لها

النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس وتجريد القلب عن العلائق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان من الواجب على الخضر أن يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد موسى تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلاث اشارة الى ما قلنا من أن العلم الظاهر يباين العلم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شئ واذا تأمل العاقل السالك في قول موسى هل أتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسألني الخ وجد أصول الشرائط التي شرطها الصوفية للمريد للشيخ مودعة فيها وفي تفصيلها طول وقد أشرنا في التفسير الى طرف منها ومن أراد الكل فعليه بمطالعة كتاب آداب المريدين للشيخ المحقق أبي النجيب السهروردي تغمده الله بغفرانه حتى اذا ركبا في السفينة هي سفينة الشريعة خرقها بهدم الناموس في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب ومثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وحذرا من التباهي والعجب أخرقتها لتغرق أهلها في أودية الضلال اذا اقتدوا بك حتى اذا لقيا غلاما هو النفس الأمارة فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا أتيا أهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما أهلها بطلب أفاعيلها التي تختص بها فأبوا أن يضيفوهما باعطاء خواصها كما ينبغي لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد أن ينقض بقطع العلاقة فأقامه بتقوية البدن والرفق بالقوى والحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاتخذت عليه أجرا ثوابا جزيلا أي لو شئت لصبرت على شدة الرياضة الى افاضة الانوار ونيل الكشوف أما السفينة فكانت لمساكين

هم العوام الذين يعملون فى بحر الدنيا وليس لهم فى بر عالم الربوبية سير وسلوك حتى يصلوا الى ملوك تحت أطمار فاردت أن أعيبها فى الظاهر
لتسلطهم بالاخلاص فى البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان يأخذ كل سفينة عبادة غصبا لان كل عبادة تخلو عن الانكسار والذل
والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن وأما الغلام فكان أبواه وهما القلب والروح مؤمنين فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة هو النفس
المطمئنة وأقرب رحما أى نسبة الى الأبوين (١٦) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين هما النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز
لهما هو حصول الكمالات النظرية
والعملية وكان أبوهما وهو
العقل المفارق صالحا كاملا بالفعل
فلهذا ادخر لأجلهما ما ادخر فأراد
ربك أن يبلغا أشدهما بتربية
الشيخ وارشاده على سبيل الرفق
والمداراة ويستخرجا ما كان كامنا
فيهما ﴿ ويسئلونك عن ذى
القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا
انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل
شئ سببا فأتبع سببا حتى اذا بلغ
مغرب الشمس وجدها تغرب فى
عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا
ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن
تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم
فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه
عذابا نكرا وأما من آمن وعمل
صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له
من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى
اذا بلغ مطلع الشمس وجدها
تطلع على قوم لم نجعل لهم من
دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما
لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ
بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا
القرنين ان يأجوج ومأجوج
مفسدون فى الارض فهل نجعل
لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم
سدا قال ما مكنى فيه ربى خير
فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم
ردما آتونى زبر الحديد حتى اذا
ساوى بين الصدفين قال انفخوا
حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربى وسمنوا
فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء
انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك

هاويل وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره فلا يخطئ اذا ائتمر واذا عمل عملا
أتقنه فانطلق يقود تلك الأمم وهى تتبعه فاذا انتهى الى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار
أمثال النعال فنظمها فى ساعة ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود فاذا قطع
الأنهار والبحار فتقها ثم دفع الى كل انسان لوحا فلا يكرثه حمله فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى الى
هاويل فعمل فيها كعمله فى ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى
انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر
مقبلا فى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الأمة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان
بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند منها كفعله فيما قبلها فلما فرغ منها عطف
منها الى الأمم التى وسط الارض من الجن وسائر الناس ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض
الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة من الانس صالحة ياذا القرنين ان بين هذين
الجبلين خلقا من خلق الله وكثير منهم مشابه للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون
الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون خشاش الارض كلها من الحيات والعقارب
وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق ينمو نماءهم فى العام الواحد ولا يزداد
كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم فان كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم فلا شك أنهم
سيملؤن الارض ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ
جاورناهم الا ونحن نتوقعهم وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك
خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم
ردما أعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم وأعلم علمهم وأقيس ما بين جبليهم ثم
انطلق يؤمهم حتى دفع اليهم وتوسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد ذكرهم وأنثاهم مبلغ طول
الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب فى موضع الأظفار من أيدينا وأضراس
وأنياب كأضراس السباع وأنيابها وأحناك كأحناك الابل قوة تسمع لها حركة اذا أكلوا كحركة
الجرة من الابل أو كقضم الفحل المسن أو الفرس القوى وهم هلب عليهم من الشعر فى أجسادهم
ما يواريهم وما يتقون به الحر والبرد اذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان احداهما وبرة
ظهرها وبطنها والاخرى زغبة ظهرها وبطنها تسعانه اذا لبسهما يلتحف احداهما ويفترش
الاخرى ويصيف فى احداهما ويشتى فى الاخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى الا وقد عرف أجله
الذى يموت فيه ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد
ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فاذا كان ذلك أيقن بالموت وهم يرزقون التنين أيام
الربيع ويستمطرونه اذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه
عامهم كله الى مثله من العام القابل فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم فاذا أمطروا أخصبوا وعاشوا

الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ۞ القراآت فأتبع ثم أتبع مقطوعة ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد موصولة

وسمنوا وروي أثره عليهم فدرت عليهم الاناث وشبقت منهم الرجال الذكور واذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا وجفرت الذكور وحالت الاناث وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف الى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عامدا الى جماعة الانس والجن فبينا هو يسير دفع الى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون فوجد أمة مقسطة مقتصدة يقسمون بالسوية ويحكمون بالعدل ويتآسون ويتراحمون حالهم واحدة وكلمتهم واحدة وأخلاقهم مشتبهة وطريقتهم مستقيمة وقلوبهم متألفة وسيرتهم حسنة وقبورهم بأبواب بيوتهم وليس على بيوتهم أبواب وليس عليهم أمراء وليس بينهم قضاة وليس بينهم أغنياء ولا ملوك ولا أشراف ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون ولا يختلفون ولا يتنازعون ولا يستبون ولا يقتتلون ولا يقحطون ولا يحردون ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس وهم أطول الناس أعمارا وليس فيهم مسكين ولا فقير ولا فظ ولا غليظ فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم عجب منه وقال أخبروني أيها القوم خبركم فاني قد أحصيت الارض كلها برها وبحرها وشرقها وغربها ونورها وظلمتها فلم أجد مثلكم فأخبروني خبركم قالوا نعم فسلنا عما تريد قال أخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم قالوا عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب قالوا ليس فينا متهم وليس منا الا أمين مؤتمن قال فما لكم ليس عليكم أمراء قالوا لا نتظالم قال فما لكم ليس فيكم حكام قالوا لا نختصم قال فما بالكم ليس فيكم أغنياء قالوا لا نتكاثر قال فما بالكم ليس فيكم ملوك قالوا لا نتكابر قال فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون قالوا من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون قالوا من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالأحلام قال فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة مستوية قالوا من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا قال فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم واعتدلت سيرتكم قالوا صحت صدورنا فنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا قال فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير قالوا من قبل أنا نقتسم بالسوية قال فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع قال فما جعلكم أطول الناس أعمارا قالوا من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل قال فما بالكم لا تقحطون قالوا لا نغفل عن

حامية بالالف من غيرهمز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمزة من غير ألف جزاء الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الآخرون جزاء الحسنى بالرفع والاضافة السدين بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو زيد عن المفضل الآخرون بضمها يفقهون بضم الياء وكسر القاف حمزة وعلي وخلف الباقون بفتحهما يأجوج ومأجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الشموني فهل نجعل وبابه بادغام اللام في النون علي وهشام خراجا بالالف حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون خرجا بسكون الراء سدا بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وعاصم والباقون بضمها مكنني ابن كثير الباقون بادغام النون في النون ردما ائتوني يحيى وحماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب المفضل مخير أبو بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الآخرون بفتح الصاد والدال قال ائتوني والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير حماد وخلاد وقرأ أبو نشيط والشموني فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل ابن مهران دكاء بالمد

حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة أفحسب الذين بسكون السين ورفع الباء يزيد ويعقوب والاعشى في اختياره دون أوليائي بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو أن ينفد بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ۞ الوقوف القرنين ط ذكرا ه ط سببا لا سببا ه قولا ه ط حسنا ه نكرا ه الحسنى ج لاختلاف الجملتين يسرا ه ط لان ثم للترتيب

الاخبار سببا ٥ ستر ا ٥ كذلك ط أى كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس وقيل يبتدأ بكذلك أى ذلك كذلك أو الامر كذلك
وقيل أى أحطنا بما لديه من العدد والعدد كذلك أى كعلمنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ٥ ثم أتبع سببا ٥ قوما لا قولا ٥ سدا ٥ ردما ٥
الحديد ط انفخوا ط نارا لا لان قال جواب اذا قطرا ٥ ط لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا ٥ من ربى ج لعطف الجملتين المختلفتين
دكاء ج لان حقا ٥ ط لانقطاع القصة جمعا ٥ لا للعطف عرضا ٥ لا سمعا ٥ أولياء ط نزلا ٥ أعمالا ٥ ط للفصل
بين الاستخبار والاخبار لان التقدير
هم الذين ويجوز أن يكون نصبا
على الذم أو جرا على البدل صنعا
٥ وزنا ٥ هزوا ٥ نزلا ٥
حولا ٥ مددا ٥ واحد ج
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب
أحدا ٥ ۞ التفسير لما أجاب عن
سؤالين من أسئلة اليهود وانتهى
الكلام الى حيث انتهى شرع فى
السؤال الثالث والجواب عنه
وأصح الاقوال أن ذا القرنين هو
الاسكندر بن فيلقوس الرومى
الذى ملك الدنيا بأسرها اذ لو كان
غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه
عادة يحكى أنه لما مات أبوه جمع ملك
الروم بعد أن كان طوائف ثم
قصد ملوك المغرب وقهرهم وأمعن
حتى انتهى الى البحر الأخضر ثم عاد
الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها
باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد
بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح
فى مذبحه ثم عطف الى أرمينية
وباب الابواب ودانت له العبرانيون
والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا
ابن دارا وهزمه الى أن قتله فاستولى
على ممالك الفرس ثم قصد الهند
والصين وغزا الامم البعيدة ورجع
الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع
الى العراق ومرض بشهرزور
ومات بها قال الامام فخر الدين الرازى
لما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين
كان رجلا ملك الارض بالكلية
أو ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ أن من هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بأن
ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بأن مذهب
ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله أخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب فى تسميته
بذى القرنين أنه بلغ قرنى الشمس أى مطلعها ومغربها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها

الاستغفار قال فما بالكم لا تحردون قالوا من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا وأحببناه وحرصنا
عليه فعرينا منه قال فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس قالوا لا نتوكل على غير الله ولا نعمل
بالانواء والنجوم قال حدثونى أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون قالوا نعم وجدنا آباءنا يرحمون
مساكينهم ويواسون فقراءهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويحلمون
عمن جهل عليهم ويستغفرون لمن سبهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أماناتهم ويحفظون وقتهم
لصلاتهم ويوفون بعهودهم ويصدقون فى مواعيدهم ولا يرغبون عن أكفائهم ولا يستنكفون
عن أقاربهم فأصلح الله لهم بذلك أمرهم وحفظهم ما كانوا أحياء وكان حقا على الله أن يحفظهم
فى تركتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى رافع عن أبى هريرة
عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا
يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فتحفرونه غدا فيعيده الله وهو كهيئته يوم تركوه حتى
اذا جاء الوقت قال ان شاء الله فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس
فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فيرجع فيها كهيئة الدماء فيقولون قهرنا أهل الارض
وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا فى أقفائهم فتقتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى ثم الظفرى عن محمود بن لبيد أخى
بنى عبد الأشهل عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح
يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون
فيغشون الارض وينحاز المسلمون عنهم الى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم فيشربون
مياه الارض حتى ان بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى ان من بعدهم
ليمر بذلك النهر فيقول لقد كان ههنا ماء مرة حتى لم يبق من الناس أحد الا انحاز الى حصن أو مدينة
قال قائلهم هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى
بها الى السماء فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبيناهم على ذلك بعث الله عليهم دودا
فى أعناقهم كالنغف فتخرج فى أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون
ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل العدو قال فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه قد وطنها
على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يا معشر المسلمين ألا أبشروا فان
الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها
رعى الا لحومهم فتشكر عنهم أحسن ما شكرت عن شئ من النبات أصابت قط حدثنى بحر بن
نصر قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى معاوية عن أبى الزاهرية وشريح بن عبيد أن يأجوج

ومأجوج

ومأجوج ثلاثة أصناف صنف طولهم كطول الأرز وصنف طوله وعرضه سواء وصنف يفترش أحدهم أذنه ويلتحف الاخرى فتغطي سائر جسده حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض قال كان أبو سعيد الخدري يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل قال وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه فالخبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج يدل على أن الذين قالوا لذي القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض انما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الافساد في الارض لأنهم شكوا منهم افسادا كان منهم فيهم أو في غيرهم والاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الافساد في الارض ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل احداث ذي القرنين السد الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس في الناس غيرهم افساد فاذا كان ذلك كذلك بالذي بينا فالصحيح من تأويل قوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان يأجوج ومأجوج سيفسدون في الارض وقوله فهل نجعل لك خرجا اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فهل نجعل لك خرجا كأنهم نحوا به نحو المصدر من خرج الرأس وذلك جعله وقرأته عامة قراء الكوفيين فهل نجعل لك خراجا بالالف وكأنهم نحوا به نحو الاسم وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم * وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه فهل نجعل لك خراجا بالالف لان القوم فيما ذكر عنهم انما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد وقد بين ذلك بقوله فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ولم يعرضوا عليه جزية رؤسهم والخراج عند العرب هو الغلة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فهل نجعل لك خرجا قال أجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فهل نجعل لك خرجا قال أجرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله فهل نجعل لك خرجا قال أجرا وقوله على أن تجعل بيننا وبينهم سدا يقول قالوا له هل نجعل لك خرجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم ويمنعهم الخروج الينا وهو السد * القول في تأويل قوله تعالى (قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) يقول تعالى ذكره قال ذو القرنين الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربي ووطأه لي وقواني عليه خير من جعلكم والاجرة التي تعرضونها علي لبناء ذلك وأكثر وأطيب ولكن أعينوني منكم بقوة أعينوني بفعلة وصناع

وقيل كان له قرنان ضغيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وقيل كان لتاجه قرنان وعن وهب أنه سمي بذلك لأنه ملك الروم وفارس ويروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه وقيل رأى في المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس أي بقرنيها وزعم الفرس أن دارا الأكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها الى أبيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت (١٩) الاسكندر وبقي عند فيلقوس وأظهر أنه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الأكبر وقال أبو الريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه أن الاذواء كانوا من اليمن كذي يزن وغيره ويروى أنه ملك الدنيا بأسرها أربعة ذو القرنين وسليمن وهما مؤمنان ونمرود وبختنصر وهما كافران واختلفوا فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الارض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وأحب الله وأحبه وسأله ابن الكواء وكان من أصحابه ماذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله أي في جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله وآتيناه من كل شيء سببا وظاهره العموم فيكون قد نال أسباب النبوة ولقوله قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب وتكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبي وقيل كان ملكا من الملائكة عن عمر أنه سمع رجلا يقول ياذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة قوله (سأتلو عليكم) أي سأفعل هذا ان وفقني الله تعالى وأنزل فيه وحيا والخطاب في عليكم للسائلين وهم اليهود أو قريش كأبي جهل وأضرابه (وآتيناه من كل شيء سببا) طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة هو الحبل والمراد ههنا كل ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة وذلك أنه أراد بلوغ المغرب فأتبع سببا وصله اليه وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا موصلا اليه وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا أدى اليه ثم انه سبحانه شرع في

نعت مسيره الى المغرب قائلا (فأتبع سببا) أى سلك طريقا أفضى به الى سفر المغرب ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حامية) أى حارة ومن قرأ بحذف الالف مهموزا فمعناه ذات حمأة أى طين أسود ولا تنافى بين القراءتين فمن الجائز أن تكون العين جامعة للوصفين عن أبى ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أباذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب فى عين حامية قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية أن الارض كروية فى وسط العالم وأن السماء محيطة بها من جميع الجوانب وأن الشمس فى فلكها تدور بدوران الفلك وأيضا قد وضح أن جرم الشمس أكبر من جرم الارض مائة وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها فى عين من عيون الارض فتأويل الآية أن الشمس تشاهد هنالك أعنى فى طرف العمارة كأنها تغيب وراء البحر الغربى فى الماء كما أن راكب البحر يرى الشمس تغيب فى الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يخبر أنها تغرب فى عين ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية وأيضا حمئة لكثرة ما فى البحار من الطين الاسود أما قوله (ووجد عندها قوما) فالضمير اما للشمس واما للعين وذلك أن الانسان لما تخيل أن الشمس تغرب هنالك كان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هنالك مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة بالله فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم أحياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال (أما من ظلم) بالاصرار على الشرك (فسوف نعذبه) بالقتل فى الدنيا (ثم يرد الى ربه) فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) منكرا فظيعا روى صاحب الكشاف عن قتادة أنه كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر بعد أن يرد الى ربه لا يمكن أن يكون من فعل ذى القرنين ومن قرأ (جزاء) بالنصب أراد فله الفعلة (الحسنى) جزاء ومن قرأ بالرفع أراد فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة أو فله أن يجازى المثوبة الحسنى (وسنقول له من أمرنا) أى مما نأمر به الناس من الزكاة والخراج وغير ذلك (يسرا) أى قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سفره الى أقصى المشرق قائلا (ثم أتبع سببا) أى

تحسنون البناء والعمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة قال برجال أجعل بينكم وبينهم ردما وقال ما مكنى فأدغم احدى النونين فى الأخرى وانما هو ما مكننى فيه وقوله أجعل بينكم وبينهم ردما يقول أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما والردم حاجز الحائط والسد الا أنه أمنع منه وأشد يقال منه قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردما ورداما ويقال أيضا ردم ثوبه يردمه وهو ثوب مردم اذا كان كثير الرقاع ومنه قول عنترة

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعل بينكم وبينهم ردما قال هو كأشد الحجاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبى الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لى قال كأنه البرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ يقول عز ذكره قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا آتونى أى جيئونى بزبر الحديد وهى جمع زبرة والزبرة القطعة من الحديد كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله زبر الحديد يقول قطع الحديد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنا على ابن مسهر عن اسمعيل عن أبى صالح قوله زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة آتونى زبر الحديد أى فلق الحديد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد وقوله حتى اذا ساوى بين الصدفين يقول عز ذكره فآتوه زبر الحديد فجعلها بين الصدفين حتى اذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زبر الحديد ويقال سوى والصدفان ما بين ناحيتى الجبلين ورؤسهما ومنه قول الراجز

قد أخذت ما بين عرض الصدفين * ناحيتيها وأعالى الركنين

*وبنحو

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بين الصدفين يقول بين الجبلين حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس حتى اذا بلغ بين السدّين قال هو سدّ كان بين صدفين والصدفان الجبلان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الصدفين رؤس الجبلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بين الصدفين يعنى الجبلين وهما من قبل أرمينية وأذربيجان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان حدثنى أحمد بن يوسف قال أخبرنا القاسم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه قرأها بين الصدفين منصوبة الصاد والدال وقال بين الجبلين وللعرب فى الصدفين لغات ثلاث وقد قرأ بكل واحدة منها جماعة من القراء الفتح فى الصاد والدال وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة والكوفة والضم فيهما وهى قراءة أهل البصرة والضم فى الصاد وتسكين الدال وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة والفتح فى الصاد والدال أشهر هذه اللغات والقراءة بها أعجب الىّ وان كنت مستجيزا القراءة بجميعها لاتفاق معانيها وانما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة وقوله قال انفخوا يقول عز ذكره قال للفعلة انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد وقوله حتى اذا جعله نارا وفى الكلام متروك وهو فنفخوا حتى اذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فاختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة قال آتونى بمدّ الالف من آتونى بمعنى أعطونى قطرا أفرغ عليه وقرأه بعض قراء الكوفة قال ائتونى بوصل الالف بمعنى جيئونى قطرا أفرغ عليه كما يقال أخذت الخطام وأخذت بالخطام وجئتك زيدا وجئتك بزيد وقد يتوجه معنى ذلك اذا قرئ كذلك الى معنى أعطونى فيكون كأن قارئه أراد مدّ الألف من آتونى فترك الهمزة الاولى من آتونى واذا سقطت الاولى همز الثانية وقوله أفرغ عليه قطرا يقول أصب عليه قطرا والقطر النحاس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أفرغ عليه قطرا قال القطر النحاس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت

هيأ اسبابا تلحق بسفر المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أى مكان طلوعها (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) عن كعب ان الستر هو الابنية وذلك أن أرضهم لا تمسكها فليس هنالك شجر ولا جبل ولا أبنية تمنع شعاع الشمس وتدفع حرها عنهم فاذا طلعت الشمس دخلوا فى أسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وعن مجاهد أن الستر الثياب وأنهم عراة كالزنج وحال كل من سكن فى البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك حكى صاحب الكشاف عن بعضهم أنه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشى علىّ ثم أفقت فلما طلعت الشمس اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وللمفسرين فى متعلق قوله (كذلك) وجوه أحدها كذلك أمر ذى القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به الثانى لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الابنية أو الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذى بلغ من مغربها الرابع تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم فقضى فى هؤلاء كما قضى فى أولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد سبق بعض هذه الوجوه فى الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالى بعد تهيئة أسبابه قائلا (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) قيل السد اذا كان يخلق الله فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله أبو عبيدة وابن الانبارى وانتصب بين على أنه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية فى قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازى الاظهر أن موضع السدين فى ناحية الشمال فقيل جبلان بين أرمينية واذربيجان وقيل فى منقطع أرض الترك وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه أن صاحب اذربيجان أيام فتحها وجه انسانا من ناحية الخزر فشاهده ووصف أنه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق رأى فى المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه

وشاهدوه ووصفوا أنه بناء من لبن من حديد مشدّدة بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع أخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند قال أبو الريحان البيرني ومقتضى هذا الخبر أن هذا الموضع فى الربع الغربى الشمالى من المعمورة والله أعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين اللذين سد ما بينهما (وجد من دونهما) أى من ورائهما متجاوزا عنهما قريبا (قوما لا يكادون يفقهون) بأنفسهم أو يفقهون غيرهم قولهم (٣٣) لانهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم * سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض الخ وأجيب بأن كاد نفيه اثبات أو لعله فهم ما فى ضميرهم بالقرائن والاشارات أو بوحى والهام وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من أجّ الظليم فى مشيه اذا هرول وتأجج النار اذا تلهبت ومن أجيج الريق أو موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة وأثبت لهم مخالب وأضراسا كأضراس السباع أما افسادهم فى الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل يأكلون لحومهم وقيل يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه (فهل نجعل لك خرجا) وخراجا أى جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل أحد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج فى الارض (قال) ذو القرنين (ما مكنى فيه ربى) أى جعلنى فيه مكينا اذا مكانة من المال واليسار (خير) مما تبذلون لى من الخراج نظيره قول سليمن فما آتانى الله خير مما آتاكم (فأعينونى بقوة) بآلات ورجال وصناع وقيل عمال أصرفه فى هذا المهم ولا آخذه لنفسى والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ آتونى بالمد فظاهر ومن قرأ ائتونى من الاتيان فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار أى فأتوه بها فوضع بعضها فوق بعض (حتى اذا ساوى بين الصدفين) وهما على القرا آت جانبا الجبلين لانهما يتصادفان أى يتقابلان (أفرغ عليه قطرا) أصب عليه النحاس

أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أفرغ عليه قطرا يعنى النحاس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفرغ عليه قطرا أى النحاس ليلزمه به **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أفرغ عليه قطرا قال نحاسا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول القطر الحديد المذاب ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

حساما كلون الملح صاف حديده * جرازا من أقطار الحديد المنعت

وقوله فما اسطاعوا أن يظهروه يقول عز ذكره فما اسطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا الردم الذى جعله ذو القرنين حاجزا بينهم وبين من دونهم من الناس فيصيروا فوقه وينزلوا منه الى الناس يقال منه ظهر فلان فوق البيت اذا علاه ومنه قول الناس ظهر فلان على فلان اذا قهره وعلاه وما استطاعوا له نقبا يقول ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما اسطاعوا أن يظهروه من فوقه وما استطاعوا له نقبا أى من أسفله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فما اسطاعوا أن يظهروه قال ما استطاعوا أن ينزعوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فما اسطاعوا أن يظهروه قال أن يرتقوه وما استطاعوا له نقبا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فما اسطاعوا أن يظهروه قال يعلوه وما استطاعوا له نقبا أى ينقبوه من أسفله واختلف أهل العربية فى وجه حذف التاء من قوله فما اسطاعوا فقال بعض نحويى البصرة فعل ذلك لان لغة العرب أن تقول اسطاع يسطيع يريدون بها استطاع يستطيع ولكن حذفوا التاء اذا جمعت مع الطاء ومخرجهما واحد قال وقال بعضهم استاع فحذف الطاء لذلك وقال بعضهم أسطاع يسطيع فجعلها من القطع كأنها أطاع يطيع فجعل السين عوضا (١) من اسكان الواو وقال بعض نحويى الكوفة هذا حرف استعمل فكثر حتى حذف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا﴾ يقول عز ذكره فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بنى من الردم ولا يقدرون على نقبه قال هذا الذى بنيته وسويته حاجزا بين هذه الامة ومن دون الردم رحمة من ربى رحم بها من دون الردم من الناس فأعاننى برحمته لهم حتى بنيته وسويته ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم وقوله فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء يقول فاذا جاء وعد ربى الذى جعله ميقاتا لظهور هذه الامة وخروجها من وراء هذا الردم لهم جعله دكاء يقول سوّاه بالارض فألزقه بها من قولهم ناقة دكاء مستوية الظهر لا سنام لها وانما معنى الكلام جعله مدكوكا فقيل دكاء وكان

(١) أى عوضا من ذهاب حركة الواو كما فى اللسان كتبه مصححه

قتادة

قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء قال لا أدرى الجبلين يعنى به أو ما بينهما وذكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال ذكر الخبر بذلك حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا هشيم بن بشير قال أخبرنا العوّام عن جبلة بن سحيم عن مؤثر وهو ابن عفازة العبدى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ليلة الاسراء ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة وردّوا الأمر الى ابراهيم فقال ابراهيم لا علم لى بها فردوا الأمر الى موسى فقال موسى لا علم لى بها فردّوا الأمر الى عيسى قال عيسى أما قيام الساعة لا يعلمه الا الله ولكن ربى قد عهد الىّ بما هو كائن دون وقتها عهد الىّ أن الدجال خارج وأنه مهبطى اليه فذكر أن معه قصبتين فاذا رآنى أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى ان الحجر والشجر ليقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله ويرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شئ الا أكلوه ولا يمرون على ماء الا شربوه فيرجع الناس الىّ فيشكونهم فأدعو الله عليهم فيميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم فينزل المطر فيجر أجسادهم فيلقيهم فى البحر ثم ينسف الجبال حتى تكون الارض كالأديم فعهد الىّ ربى أن ذلك اذا كان كذلك فان الساعة منهم كالحامل المتم التى لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا حدثنى عبيد بن اسمعيل قال ثنا المحاربى عن أصبغ بن زيد عن العوّام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فذكر نحو حديث أحمد بن ابراهيم الدورقى عن هشيم وزاد فيه قال العوّام بن حوشب فوجدت تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا وقال فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا يقول وكان وعد ربى الذى وعد خلقه فى دك هذا الردم وخروج هؤلاء القوم على الناس وعيثهم فيهم وغير ذلك من وعده حقا لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ يقول تعالى ذكره وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذى وعدناهم بأنا ندك الجبال وننسفها عن الارض نسفا فنذرها قاعا صفصفا بعضهم يموج فى بعض يقول يختلط جنهم بانسهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن شيخ من بنى فزارة فى قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض قال اذا ماج الجن والانس قال ابليس فأنا أعلم لكم علم هذا الامر فيظعن الى المشرق فيجد الملائكة

المذاب وقطرا منصوب بأفرغ والتقدير آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وهذا محتمل ما يستدل به البصريون فى أن المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثانى اذ لو عمل الأول لقال أفرغه عليه يحكى أنه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد والله رأيته قال العلماء هذا معجز من ذى القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الآدمى على القرب منه وكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى يعلوه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) لصلابته وثخانته لما تكرر لفظ الاستطاعة مرارا حذف منها التاء تخفيفا فى الموضعين وأعاد ذكرها بالآخرة تنبيها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم (قال) ذو القرنين (هذا) السد أو هذا الاقرار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده (فاذا جاء) أى دنا مجىء القيامة (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا مسوّى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرأ دكاء بالمد فعلى الوصف أى جعله أرضا مستوية (وكان وعد ربى حقا) وهذا آخر حكاية ذى القرنين ثم شرع سبحانه فى بقية أخبارهم فقال (وتركنا بعضهم يومئذ يموج) من أى حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد يروى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون وقيل أراد أن قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم فى بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيامة أى وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم وجنهم حيارى ونفخ الصور من آيات القيامة وسيجىء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها فى الدنيا وفى ذلك نوع من العقاب للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع (عن ذكرى) أى عن آياتى التى ينظر اليها فأذكر بالتعظيم

فاطلق المسبب على السبب أو عن القرآن وتأمل معانيه وصفهم بالعمى عن الدلائل والآثار فأراد أن يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال (وكانوا لا يستطيعون سمعا) وهو أبلغ من أن لو قال وكانوا صما لان الأصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتجت الاشاعرة بالآية على أن الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا وأجيب بأن المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم أمعن في التوبيخ والوعيد قائلا (أفحسب الذين كفروا) والمراد أفظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر آيات الله وتمردهم عن قبول أمره وأمر رسوله وفيه اضمار تقديره أفحسبوا اتخاذ عبادي أولياء نافعا والعباد اما عيسى والملائكة واما الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام أقوال ومن قرأ بسكون السين فمعناه أفكافيهم وحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على أنه مثل أقائم الزيدان يريد أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والمنزل وقيل انه الذي يعد للضيف فيكون تهكما به نحو فبشرهم بعذاب أما الذين ضل سعيهم أي ضاع وبطل فعن علي رضي الله عنه أنهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه صلى الله عليه وسلم أن منهم أهل حروراء وعن مجاهد أهل الكتاب والتحقيق أنه يندرج فيه كل ما يأتي بعمل خير لا يبتني على ايمان واخلاص وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ وذلك قوله (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما فعله من الطاعة كأن لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت أعمالهم اشارة الى ذلك أو المراد فنزدريهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين (ذلك) قال الذي ذكرناه من أنواع الوعيد (جزاؤهم) وقوله (جهنم) عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ آيات الله واتخاذ كل رسله هزؤا وتكذيبا ويجوز أن يكون كل من الامرين سببا مستقلا للتعذيب ثم أردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس أوسط الجنة وأفضلها وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس

قد قطعوا الارض ثم ينطلق الى المغرب فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ثم يصعد يمينا وشمالا الى أقصى الارض فيجد الملائكة قطعوا الأرض فيقول ما من محيص فبيناهو كذلك اذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فبيناهم عليه اذ هجموا على النار فأخرج الله خازنا من خزان النار قال يا ابليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ألم تكن في الجنان فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض علي فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ما هي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيتلكأ عليه فيقول به وبذريته بجناحيه فيقذفهم في النار فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى لركبتيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال هذا أول يوم القيامة ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا ونفخ في الصور قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصور وما هو وما عني به واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهده المغنية عن اعادته في هذا الموضع غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال ثنا أسلم عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أعرابيا سأله عن الصور قال قرن ينفخ فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن سليمن التيمي عن العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا محمد بن الحرث القنطري قال ثنا يحيى بن أبي بكير قال كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن مغول فحدثنا عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم وحني الجبهة وأصغى بالاذن متى يؤمر فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولوا حسبنا الله وعلى الله توكلنا ولو اجتمع أهل منى ما أقالوا ذلك القرن كذا قال وانما هو ما أقلوا حدثني أبو السائب قال ثنا حفص عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني ظهره وجحظ بعينيه قالوا ما نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله توكلنا على الله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ فيه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نقول قال تقولون حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله حدثنا أبو كريب والحسن بن عرفة قالا ثنا أسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثني يعقوب قال ثنا شعيب بن حرب قال ثنا خالد أبو العلاء

قال ثنا عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن متى يؤمر أن ينفخ ولو أن أهل منى اجتمعوا على القرن على أن يقلوه من الارض ماقدروا عليه قال فأبلس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليهم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد بن فلان عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يارسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين وقوله فجمعناهم جمعا يقول فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جمعا وقوله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا يقول وأبرزنا جهنم يوم ينفخ فى الصور فأظهرناها للكافرين بالله حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ولو جعل الفعل لها قيل أعرضت اذا استبانت كما قال عمرو بن كلثوم

وأعرضت اليمامة واشمخرت ❊ كأسياف بأيدى مصلتينا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله قال يقوم الخلق لله اذا نفخ فى الصور قيام رجل واحد ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيأ الا وهو مرفوع له يتبعه قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون قال فيقولون نعبد عزيرا قال فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ثم قرأ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون فيقولون نعبد المسيح فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم قال فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيأ ثم قرأ عبد الله وقفوهم انهم مسؤلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ يقول تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون فى آيات الله فيتفكرون فيها ولا يتأملون حججه فيعتبرون بها فيتذكرون وينيبون الى توحيد الله وينقادون لأمره ونهيه وكانوا لا يستطيعون سمعا يقول وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذى ذكرهم به وبيانه الذى بينه لهم فى آى كتابه بخذلان الله اياهم وغلبة الشقاء عليهم وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان فيتعقلون به ويتدبرونه فيعرفون الهدى من الضلالة والكفر من الايمان وكان مجاهد يقول فى ذلك ما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث

هو البستان بالرومية وعن النبى صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال أهل السنة جعل جنات الفردوس نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره أنه جعل جهنم بأسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيق وهو عذاب الحجاب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه أنه لامزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم أنفسهم الى تلك الزيادة ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود أى لا تحول فيطلب كقوله

❊ ولا ترى الضب بها ينجحر ❊

ولما ذكر أنواع الدلائل والبينات وشرح أقاصيص سئل عنها نبه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشئ كالحبر والزيت للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمه وفرض أن جنس البحر مدادا لهما لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد أيضا وهو تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد يروى أن حيى بن أخطب قال فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية يعنى أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الاشاعرة ان كلام الله تعالى واحد واعترض عليهم بهذه الآية فانها صريحة فى اثبات كلمات كثيرة لله تعالى وأجيب بأن المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائى أن قوله قبل أن تنفد كلمات ربى يدل على أن كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه وأجيب بأن المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية قلت الانصاف أن نفاد شئ قبل نفاد شئ آخر لا يدل على نفاد الشئ الآخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله بحيث لا يضبطها عقول البشر أما أنها متناهية أو غير متناهية فلا دليل فى الآية على أحد النقيضين ولكن الحق فى نفس الامر أن كلمات الله لا تتناهى لانها تابعة لمعلوماته وهى غير متناهية بالبرهان ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلك سبيل التواضع وهو أن حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا أنه امتاز بنعت الايحاء اليه وكفى به بونا ومباينة ثم بين أن الموحى هو ﴿انما الهكم اله واحد﴾ وفى تخصيص هذا الوحى بالذكر

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا يستطيعون سمعا قال لا يعقلون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكانوا لا يستطيعون سمعا قال لا يعلمون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى الآية قال هؤلاء أهل الكفر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ يقول عز ذكره أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء يقول كلا بل هم لهم أعداء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج في قوله أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء قال يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة وهم عباد الله ولم يكونوا للكفار أولياء وبهذه القراءة أعني بكسر السين من أفحسب بمعنى الظن قرأت هذا الحرف قراء الامصار وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعكرمة ومجاهد أنهم قرؤا ذلك أفحسب الذين كفروا بتسكين السين ورفع الحرف بعدها بمعنى أفحسبهم ذلك أي أفكفاهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء من عبادتي وموالاتي كما حدثت عن اسحق بن يوسف الازرق عن عمران بن حدير عن عكرمة أفحسب الذين كفروا قال أفحسبهم ذلك والقراءة التي نقرؤها هي القراءة التي عليها قراء الامصار أفحسب الذين بكسر السين بمعنى أفظن لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا يقول أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين اليهود والنصارى هل ننبئكم أيها القوم بالأخسرين أعمالا يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلا فنالوا به عطبا وهلاكا ولم يدركوا ما طلبوا كالمشترى سلعة يرجو بها فضلا وربحا فخاب رجاؤه وخسر بيعه ووكس في الذي رجا فضله * واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بذلك فقال بعضهم عني به الرهبان والقسوس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا المقبري قال ثنا حيوة بن شريح قال أخبرني السكن بن أبي كريمة أن أمه أخبرته أنها سمعت أبا خميصة عبد الله بن قيس يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول في هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت حيوة يقول ثنى السكن بن أبي كريمة عن أمه أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول فذكر نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا

عبد

فائدة هي أن يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة أن يدعو الى التوحيد ثم أن يدعو الى العمل الصالح المقترن بالاخلاص وذلك قوله (فمن كان يرجو) أي يأمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب أو العقاب عند المعتزلة (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة هو أن لا يرائي بعمله ولا يبتغي به الا وجه ربه يروى أن جندب بن زهير قال لرسول الله (٣٦) صلى الله عليه وسلم اني أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى أنه قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية قال العلماء الرواية الأولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد أن يقتدى به قال في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ۞ التأويل لما بين أن للانسان كمالا مكنونا وكنزا مدفونا يمكن له تحصيله بالتربية والارشاد أراد أن يبين أن الانسان الكامل انما هو مستحق الخلافة في الارض وهو ذو القرنين الذي ملك الجانبين أعني جانب عالم الارواح وجانب عالم الاشباح لأنه أوتي التمكين في الارض وأوتي أسباب كل شئ في عالم الوسائط والأسباب فبذلك تصير كاملا في نفسه مكملا لغيره فأتبع سببا من أسباب الوصول الى عالم السفلي وهو مغرب شمس الروح الانساني فوجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبائع والأجساد ووجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما أن تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال أما من ظلم بوضع ناصيته واستعمالها في غير موضعها فسوف نعذبه بقهره على خلاف ما هو مراده وهواه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن مشتهياته أو يرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة وأما من آمن وعمل

عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أهم الحرورية قال هم أصحاب الصوامع حدثنا فضالة ابن الفضل قال قال بزيع سأل رجل الضحاك عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم القسيسون والرهبان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد قال قال سعد هم أصحاب الصوامع حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مصعب بن سعد قال قلت لسعد يا أبت هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا أهم الحرورية فقال لا ولكنهم أصحاب الصوامع ولكن الحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم * وقال آخرون بل هم جميع أهل الكتابين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبي عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أهم الحرورية قال لا هم أهل الكتاب اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمدا وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب ولكن الحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون فكان سعد يسميهم الفاسقين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن ابراهيم بن أبي حرة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه في قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم اليهود والنصارى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن أبي حرب بن أبي الاسود عن زاذان عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم على حق فأشركوا بربهم وابتدعوا في دينهم الذين يجتهدون في الباطل ويحسبون أنهم على حق ويجتهدون في الضلالة ويحسبون أنهم على هدى فضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم رفع صوته فقال وما أهل النهر منهم ببعيد * وقال آخرون بل هم الخوارج ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل قال سأل عبدالله ابن الكواء عليا عن قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال أنتم يا أهل حروراء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني يحيى بن أيوب عن أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن أبي الصهباء البكري عن علي بن أبي طالب أن ابن الكواء سأله عن قول الله عز وجل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا فقال علي أنت وأصحابك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل قال قام ابن الكواء الى علي فقال من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قال

صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من أمرنا يسرا هو الة خفيف والاستراحة بعد الفناء والمجاهدة ثم أتبع أسباب الوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق الجسمانية والعوائق الساترة الجسدانية حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعيش والتمدن والجولان في جو أسباب قوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى صلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام الذين قصارى أمرهم الجهل البسيط ان يأجوج ومأجوج القوى والطبائع مفسدون في الارض البشرية باستعمال خواصها في غير ما خلقت هي لأجلها فهل نجعل لك خرجا هو ترك الوجود وبذل الموجود فأعينوني بقوة همة صارفة وعزيمة صادقة آتوني زبر الحديد ملكات راسخة وهيآت ثابتة أوقاوتها تن كالحديد في المضاء وكالجبال الراسيات في البقاء حتى اذا ساوى عرض ما بين طرفي العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بتأثير حرارة الطاعة والذكر في حديد القلب قال آتوني أفرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكيمياء الاخلاص النافذ في سويدات القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن اللهم

(سورة مريم مكية حروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وحرفان كلامها تسعمائة واثنان وستون آياتها ثمان وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا)

ويلك أهل حروراء منهم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد (١) ابن عثمة قال ثنا موسى ابن يعقوب بن عبد الله قال ثنى أبو الحويرث عن نافع بن جبير بن مطعم قال قال ابن الكواء لعلى بن أبى طالب ما الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا قال أنت وأصحابك * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل عنى بقوله هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا كل عامل عملا يحسبه فيه مصيبا وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض وهو بفعله ذلك لله مسخط وعن طريق أهل الايمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد فى ضلالتهم وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة من أهل أى دين كانوا وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله أعمالا فكان بعض نحويى البصرة يقول نصب ذلك لانه لما أدخل الألف واللام والنون فى الأخسرين لم يوصل الى الاضافة وكانت الأعمال من الأخسرين فلذلك نصب وقال غيره هذا باب الأفعل والفعلى مثل الأفضل والفضلى والأخسر والخسرى ولا تدخل فيه الواو ولا يكون معه مفسر لانه قد انفصل عن هو كقوله الأفضل والفضلى واذا جاء معه مفسر كان للاول والآخر وقال ألا ترى أنك تقول مررت برجل حسن وجها فيكون الحسن للرجل والوجه وكذلك كبير عقلا وما أشبهه قال وانما جاز فى الأخسرين لانه رده الى الأفعلة والأفعلة قال وسمعت العرب تقول الأولات دخولا والآخرات خروجا فصار للاول والثانى كسائر الباب قال وعلى هذا يقاس وقوله الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا يقول هم الذين لم يكن عملهم الذى عملوه فى حياتهم الدنيا على هدى واستقامة بل كان على جور وضلالة وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يقول وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون وفيما ندب عباده اليه مجتهدون وهذا من أدل الدلائل على خطا قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد الا من حيث يقصد الى الكفر بعد العلم بوحدانيته وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآية أن سعيهم الذى سعوا فى الدنيا ذهب ضلالا وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون فى صنعهم ذلك وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد الا من حيث يعلم لوجب أن يكون هؤلاء القوم فى عملهم الذى أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه كانوا مثابين مأجورين عليها ولكن القول بخلاف ما قالوا فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة وأن أعمالهم حابطة وعنى بقوله أنهم يحسنون صنعا عملا والصنع والصنعة والصنيع واحد يقال فرس صنيع بمعنى مصنوع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم الأخسرون أعمالا الذين كفروا بحجج ربهم وأدلته وأنكروا لقاءه فحبطت أعمالهم يقول فبطلت أعمالهم

(١) هى أم محمد وخالد أبوه فيلزم اثبات الالف اه كتبه مصححه

﴿ القراآت كهيعص بامالة الهاء فقط أبو عمرو كهيعص بامالة الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرأ على غير قتيبة ويحيى وحماد بامالتهما وقرأ أبو جعفر ونافع والخزاعى عن البزى وابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب الباقون بتفخيمهما صاد ذكر مدغما أبو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من ورائى بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعة والخزاعى عن البزى وقرأ زمعة عن ابن كثير والخزاعى عن البزى من وراى مثل عصاى يرثنى ويرث (٣٨) بالجزم فيهما أبو عمرو وعلى الباقون برفعهما نبشرك ثلاثيا وكذلك فى آخر السورة حمزة عتيا وجثيا وصليا وبكيا بكسر الأوائل حمزة وعلى وافق حفص الا فى بكيا الخزاز عن هبيرة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلقناك حمزة وعلى الآخرون خلقتك على التوحيد لى آية بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن شنبوذ عن أهل مكة ﴿ الوقوف كهيعص ○ كوفى زكريا ○ ج لجواز تعلق اذ بذكر رحمة ربك ولاحتمال انتصابه باذكر خفيا ○ شقيا ○ وليا لا آل يعقوب ق والوجه الوصل لعطف الجملتين المتفقتين رضيا لا لأن ما بعده صفة غلام والاستئناف ليس بقوى سميا ○ عتيا ○ كذلك ○ بناء على أن التقدير الامر كذلك شيأ ○ آية ط سويا ○ وعشيا ○ بقوة ط صبيا ○ لا للعطف أى آتيناه الحكم وحنانا منا عليه وزكاة ط تقيا ○ عصيا ○ حيا ○ ﴿ التفسير حروف المعجم فى الوقف ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفى الزاى اعتدالامران لانه قد يلحق بآخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب أن التفخيم أصل والامالة فرع عليه فمن قرأ بامالة الهاء والياء معا فعلى العادة ومن قرأ بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرأ بامالة احداهما فلرعاية الجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن أنه قرأ بضمهما فقيل لانه تصور أن عين الكلمة فيهما واو فنبه بالضم على أصلها والبحث عن هذه الفواتح قد سلف فى أول البقرة ومما يختص بهذا الموضع ما روى عن ابن عباس أن قوله (كهيعص) ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والهاء هاد والعين عالم أو عزيز والصاد صادق وعنه أيضا أنه حمل الكاف على الكريم أو الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم أخرى وعن الربيع بن أنس أن الياء من مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا أن يسند الى الوحى أو الالهام وارتفع (ذكر فلم

رحمه) على الخبر أى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة (ربك) وانتصب (عبده) على أنه مفعول لذكر و(زكريا) عطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي أنه قرأ ذكر بلفظ الماضى مشددا تارة ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية وفاعل ضمير المتلو ومخففا أخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقرئ ذكر على الامر وهى قراءة ابن معمر وقيل يحتمل على هذا أن تكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبى رحمة لأمته ويجوز أن يكون رحمة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته لان طريقه فى الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا وفى خفاء ندائه وجوه منها أن الاخفاء أبعد عن الرياء وأدخل فى الخشية ولهذا فسره الحسن بأنه نداء لا رياء فيه ومنها أنه أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى غير وقته ومنها أنه أسره من مواليه الذين خافهم ومنها أنه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات ولعله أتى بأقصى ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لنهاية كبره ثم شرع فى حكاية ندائه قائلا (قال رب انى وهن العظم منى) الى قوله واجعله رب رضيا قال علماء المعانى فى الآية لطائف وذلك أصل الكلام يا ربى قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لتوخى زيادة التقرير فصار ضعف بدنى وشاب رأسى ثم فى القرينة الاولى عدل من التصريح الى الكناية التى هى أبلغ منه فصار وهنت عظامى فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدا لتقوى الحكم فحصل أنا وهنت عظام بدنى ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد البيان فصار انى وهنت العظام من بدنى لانك اذا قلت انى وهنت العظام أفاد أن عظاما واهنة عندك فاذا قلت من بدنى فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام ثم لطلب شمول العظام فردا فردا قصدت مرتبة ثانية هى ترك جمع العظام الى الافراد لان استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع فحصل انى وهن العظم منى وانى وهنت العظام منى واذا حصل الوهن فى هذا الجنس الذى هو أصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقحف للدماغ والقص للقلب ففى الاعضاء الأخر أولى وأما القرينة الأخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التى هى أبلغ فحصل اشتعل شيب رأسى وبيان الاستعارة فيه أنه شبه الشيب بشواظ النار

فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها فى الآخرة بل لهم منها عذاب وخزى طويل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا يقول تعالى ذكره فلا نجعل لهم ثقلا وانما عنى بذلك أنهم لا تثقل بهم موازينهم لان الموازين انما تثقل بالأعمال الصالحة وليس لهؤلاء شئ من الاعمال الصالحة فتثقل به موازينهم ⁕ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن شمر عن أبى يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن الصلت قال ثنا ابن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأكول الشروب الطويل فيوزن فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) يقول تعالى ذكره أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله واتخاذهم آيات كتابه وحجج رسله سخريا واستهزائهم برسله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا بالله ورسوله وأقروا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته كانت لهم بساتين الفردوس والفردوس معظم الجنة كما قال أمية

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة ⁕ فيها الفراديس والفومان والبصل

واختلف أهل التأويل فى معنى الفردوس فقال بعضهم عنى به أفضل الجنة وأوسطها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عباس بن الوليد قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها حدثنا أحمد بن أبى سريج الرازى قال ثنا الهيثم أبو بشر قال أخبرنا الفرج بن فضالة عن لقمان عن عامر قال سئل أبو أسامة عن الفردوس فقال هى سرة الجنة حدثنا أحمد بن أبى سريج قال ثنا حماد بن عمرو النصيبى عن أبى على عن كعب قال ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ⁕ وقال آخرون هو البستان بالرومية ذكر من قال ذلك حدثنى على ابن سهل الرملى قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال الفردوس بستان بالرومية حدثنا العباس بن محمد قال ثنا حجاج قال ابن جريج أخبرنى عبد الله عن مجاهد مثله ⁕ وقال آخرون هو البستان الذى فيه الأعناب ذكر من قال ذلك حدثنا عباس ابن محمد قال ثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث عن كعب قال جنات الفردوس التى فيها الاعناب ⁕ والصواب من القول فى ذلك ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به أحمد بن أبى سريج قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا همام بن يحيى قال ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت

في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بأن حذف المشبه به وأداة التشبيه فصار اشتعل شيب رأسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه آخر وهو أن يكون استعمل اشتعل بدل انتشر فتكون الاستعارة تبعية تصريحية وقرينتها ذكر الشيب ثم ترك هذه المرتبة الى أبلغ منها وهي اشتعل رأسي شيبا وكونها أبلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادته شمول الاشتعال الرأس (٣٠) كما لو قلت اشتعل بيتي نارا مكان اشتعل النار في بيتي ومنها الاجمال والتفصيل الواقعان في طريق التمييز ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة أخرى هي اشتعل الرأس مني شيبا لتوخي مزيد التقرير بالابهام ثم البيان على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لسبق ذكره في القرينة الاولى ففي ذلك احالة تأدية المعنى على العقل دون اللفظ وكم بين الحوالتين مع أن بناء الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرف النداء وياء المتكلم يناسب الاختصار في آخره وانما أطنب في هذا المقام لان هذه الآية كالعلم فيما بين علماء المعاني ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة قائلا (ولم أكن بدعائك رب شقيا) كما حكي أن محتاجا قال لكريم أنا الذي أحسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك أي بدعائي اياك واعلم أن زكريا عليه السلام قدم على السؤال أمورا ثلاثة الاول كونه ضعيفا والثاني أنه تعالى لم يرد دعاءه والثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين وذلك قوله (واني خفت الموالي) قال ابن عباس والحسن أي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن أبي صالح الكلالة وعن الأصم بني العم وهم الذين يلونه في النسب وعن أبي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من تقدم في ميراثه كالولد والمختار أن المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة أو في المال الذي كان له أو في القيام بأمر الدين وكان من عاداتهم أن كل من كان الى صاحب الشرع أقرب كان متعينا للحكومة وقوله (من ورائي) أي بعد موتي لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف أي الى الذين يخلفون من بعدي أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت ولايتهم وسوء خلافتهم بعدي فان زكريا انضم له مع النبوة الملك

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس حدثنا موسى بن سهل قال ثنا موسى بن داود قال ثنا همام بن يحيى عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض أعلاها الفردوس ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني أبو يحيى بن سليمن عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقها عرش الرحمن تبارك وتعالى ومنه تفجر أنهار الجنة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو عامر قال ثنا فليح عن هلال عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا أنه قال وسط الجنة وقال أيضا ومنه تفجر أو وتفجر حدثني عمار بن بكار الكلاعي قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا عبد العزيز بن محمد قال ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوقها عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا الحرث بن عمير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربعة اثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما من شئ واثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما من شئ حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو قدامة عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها في كل يوم خميس فيقول ازدادي طيبا لأوليائي ازدادي حسنا لأوليائي حدثنا ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراوردي قالا ثنا زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للجنة مائة درجة كل درجة منها كما بين السماء والارض أعلى درجة منها الفردوس حدثني أحمد بن يحيى الصوفي قال ثنا أحمد بن الفرج الطائي قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس من ربوة الجنة هي أوسطها وأحسنها حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي قال أنبأنا اسمعيل بن مسلم عن الحسن عن سمرة بن جندب قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفردوس هي أعلى الجنة وأحسنها وأرفعها

وأرفعها حدثني محمد بن مرزوق قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال الربيع ابنة النضر يا أم حارثة انها جنان وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقوله نزلا يقول منازل ومساكن والمنزل من النزول وهو من نزول بعض الناس على بعض وأما النزل فهو الريع يقال ما لطعامكم هذا نزل يراد به الريع وما وجدنا عندكم نزلا أي نزولا وقوله خالدين يقول لابثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا يقول لا يريدون عنها تحولا وهو مصدر تحولت أخرج الى أصله كما يقال صغر يصغر صغرا وعاج يعوج عوجا * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يبغون عنها حولا قال متحولا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت مخلد بن الحسين يقول وسئل عنها قال سمعت بعض أصحاب أنس يقول قال يقول أولهم دخولا انما أدخلني الله أولهم لانه ليس أحد أفضل مني ويقول آخرهم دخولا انما أخرني الله لانه ليس أحد أعطاه الله مثل الذي أعطاني ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لو كان ماء البحر مدادا للقلم الذي يكتب به كلمات ربي لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا يقول ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا من قول القائل جئتك مددا لك وذلك من معنى الزيادة وقد ذكر عن بعضهم ولو جئنا بمثله مدادا كأن قارئ ذلك كذلك أراد لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مدادا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله البحر مدادا لكلمات ربي للقلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان البحر مدادا لكلمات ربي يقول اذا لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المشركين يا محمد انما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي الا ما علمني الله وان الله يوحي الي أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ معبود واحد لا ثاني له ولا شريك فمن كان يرجو لقاء ربه يقول فمن يخاف ربه يوم

يخاف بعده على أحدهما أو عليهما وسبب الخوف القرائن والامارات التي ظهرت له من صفائح أحوالهم وأخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضي لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كمسئلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وقرئ خفت الموالي بتشديد الفاء وعلى هذا فمعنى ورائي خلفي وبعدي أي قلوا وعجزوا عن أمر الدين والاقامة بوظائفه والظرف متعلق بالموالي أو معناه قدامي والظرف متعلق بخفت أي درجوا ولم يبق من يعتضد به ثم (٣١) صرح بالمسئلة قائلا (فهب لي) وأكده بقول (من لدنك) أي وليا صادرا من عندك مضافا الى اختراعك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة من قرأ (يرثني ويرث) بالجزم فيهما فهو جواب الدعاء ومن قرأ برفعهما فالأكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستئناف كأنه قيل لم تطلب الولد فقال مجيبا يرثني أي لانه يرثني لئلا يلزم منه أنه لم يوهب من وصف لها لان يحيى قبل زكريا واعترض بأن حمله على الاستئناف يوجب الاخبار عما لم يقع وكذب النبي صلى الله عليه وسلم أمنع من كونه غير مستجاب الدعوة وأجيب بأن عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب وأقول الاعتراض باق لان المعنى يؤل الى قولنا هب لي وليا موصوفا بالوراثة أو بأن الغرض منه الوراثة أو هب لي وليا أخبر عنه بأنه يرثني وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة أو الكذب والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة آل عمران أن النبي لا يطلب في الدعاء الا الأصلح حتى لو كان الأصلح غير ما طلبه فصرفه الله تعالى عنه كان المصروف اليه هو بالحقيقة مطلوبه ويمكن أن يقال لعل الوراثة قد تحققت من يحيى وان قتل قبل زكريا وذلك بأن يكون قد تلقى منه كتاب أو شرع هو المقصود من وجود يحيى وبقي ذلك الكتاب أو الشرع معمولا به بعد زكريا أيضا الى حين وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراآت شاذة لا فائدة كثيرة في تعدادها الى قوله عن علي وجماعة وارث من آل يعقوب أي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان فقيل هو أن تجرد الكلام عن ذكر الاول حتى تقول جاءني فلان فجاءني رجل لا تريد به الا الاول ولذلك لا تذكر اسمه في الجملة الثانية وتجرد الكلام عنه وأقول تشبه أن يكون معنى التجريد هو أنك تجرده عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا في الآية كأنه جرده عن منافيات الوارثية بأسرها واختلف

لقائه ويراقبه على معاصيه ويرجو ثوابه على طاعته فليعمل عملا صالحا يقول فليخلص له العبادة وليفرد له الربوبية * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الربيع بن أبي راشد عن سعيد بن جبير فمن كان يرجو لقاء ربه قال ثواب ربه وقوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا يقول ولا يجعل له شريكا في عبادته اياه وانما يكون جاعلا له شريكا بعبادته اذا راآى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عمرو بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يشرك بعبادة ربه أحدا(١) حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان ولا يشرك بعبادة ربه أحدا قال لا يرائي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاوس قال جاء رجل فقال يا نبي الله اني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى موطني ويرى مكاني فأنزل الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجي عن صدقة بن يسار قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وزاد فيه واني أعمل العمل وأتصدق وأحب أن يراه الناس وسائر الحديث نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش قال ثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل الى عبادة بن الصامت فسأله فقال أنبئني عما أسألك عنه أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ويصوم ويبتغي وجه الله ويحب أن يحمد فقال عبادة ليس له شئ ان الله عز وجل يقول أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه حدثنا أبو عامر اسمعيل بن عمرو السكوني قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا ابن عياش قال ثنا عمرو ابن قيس الكندي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال انها آخر آية أنزلت من القرآن

آخر تفسير سورة الكهف

(تفسير سورة مريم عليها السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى ذكره (كهيعص) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره كاف من كهيعص فقال بعضهم تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير دل به عليه واستغنى

(١) كذا في النسخة الخط وفي الدر عن سعيد لا يشرك لا يرائي بعبادة ربه أحدا كتبه مصححه

المفسرين في أنه طلب ولدا يرثه أو طلب من يقوم مقامه ولدا كان أو غيره والاول أظهر لقوله في آل عمران رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ولقوله في سورة الانبياء رب لا تذرني فردا حجة المخالف أنه لما بشر بالولد استعظم وقال أنى يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لأجل الولد ما استعظم ذلك والجواب ما مر في آل عمران واختلفوا أيضا في الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هي وراثة المال وعنهم أيضا أن المراد يرثني المال ويرث من آل يعقوب النبوة أو بالعكس وفي رواية أبي صالح أن المراد في الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل في المال وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي العلم وأورثنا بني اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء وحجة الاولين ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على أنه أراد بالوراثة المال وكذا قوله صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وأيضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد ارث النبوة لم يحتج الى قوله (واجعله رب رضيا) لان النبي لا يكون الا مرضيا وأجيب بأنه اذا كان المعلوم من حال الابن أنه يصير نبيا بعده فيقوم بأمر الدين جاز أن يقال ورثه والمراد بكونه رضيا أن لا يوجد منه معصية ولا هم بها كما جاء في حق يحيى وقد مر الحديث هنالك ولا يلزم من هذا أن يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل لبعضهم فضائل أخر تختص به احتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة خلق الاعمال وأجابت المعتزلة بأنه يفعل به ضروب الالطاف فيختار ما يصير مرضيا عنده وزيف بأن ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبأن فعل الالطاف واجب على الله فطلب ذلك بالدعاء والتضرع عبث واعلم أن أكثر المفسرين على أن يعقوب المذكور في الآية هو يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم لان زوجة زكريا كانت من ولد سليمن بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب وأما زكريا فقد كان من ولد هرون أخي موسى وهرون وموسى من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام وزعم بعض المفسرين أن المراد هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وهذا قول الكلبي ومقاتل وعن مقاتل أن بني ماثان كانوا رؤس بني اسرائيل وملوكهم قوله (يا زكريا) الأكثرون على أنه نداء من الله تعالى لقرينة التخاطب من قوله رب انى وهن العظم منى الى قوله رب أنى يكون لي غلام ومنهم من قال هو نداء

بذكره عن ذكر باقي الاسم * ذكر من قال ذلك حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية كهيعص قال كبير يعني بالكبير الكاف من كهيعص حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول كهيعص قال كاف كبير حدثني أبو السائب قال أخبرنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير في كهيعص قال كاف كبير حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه * وقال آخرون بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذي هو كاف * ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال أخبرنا شريك عن سالم عن سعيد في قوله كهيعص قال كاف كاف حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم في قوله كهيعص قال كاف كاف حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبي مثله * وقال آخرون بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو كريم * ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير كهيعص قال كاف من كريم * وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص حرف من حروف اسمه الذي هو هاد * ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أبو حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول في الهاء من كهيعص هاد حدثنا أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل عن سعيد مثله حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثني يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير قال ها هاد حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم في قوله كهيعص قال ها هاد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن الكلبي مثله * واختلفوا في تأويل الياء من ذلك فقال بعضهم هو حرف من حروف اسمه الذي هو يعين * ذكر من قال ذلك حدثني أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يا من كهيعص ياء يعين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

الملك لقوله في آل عمران فنادته الملائكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا في عدم السمي فقيل أراد أنه لم يسم أحد يحيى قبله وقيل أراد أنه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك أنه جعل سيدا وحصورا ولم يعص ولم يهم بمعصية فكأنه جواب لقوله واجعله رب رضيا وأيضا سمي بيحيى قبل دخوله في الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فلا نظير له في هذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول أظهر لما في الثاني من العدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما في قوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا لانا نعلم أن مجرد كونه تعالى لا سمي له لا يقتضي عبادته فنقول السمي هنالك يراد به المثل والنظير ويمكن أن يقال ان التفرد بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة في الآية أيضا قال جار الله انما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه قلت ويقرب هذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمي يحيى تكلفوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعالى أحيا عقر أمه وعن قتادة لانه تعالى أحيا قلبه بالايمان والطاعة أومن كان ميتا فأحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان أول من آمن بعيسى وقيل لانه استشهد والشهداء أحياء وقيل لان الدين أحيي به لان زكريا سأله لاجل الدين قوله (وقد بلغت من الكبر) قال جار الله أي من أجل الكبر والطعن في السن العالية فمن للتعليل ويجوز أن تكون للابتداء أي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى (عتيا) وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام يقال عتا العود عتيا اذا غيره طول الزمان الى حالة اليبس * سؤال انه قال في آل عمران وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر فلم عكس الترتيب في هذه السورة وأجيب بأن الواو لا تفيد الترتيب قلت ان ذلك ورد على الاصل وهو تقديم نقص نفسه وههنا راعى الفاصلة (قال) الامر (كذلك) تصديقا له ثم ابتدأ قائلا (قال ربك) فمحل كذلك رفع ويحتمل أن يكون نصبا بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله (هو) أي خلق الغلام (علي هين) ويحتمل أن يكون اشارة الى قول زكريا أني يكون لي غلام أي كيف تعطيني الغلام أبأن تجعلني وزوجتي شابين أو بأن تتركنا على الشيخوخة فأجيب بقوله كذلك أي نهب الولد لك مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو

مثله حدثنا هناد قال ثنا أبوالأحوص عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن
جبير مثله حدثني أبوالسائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن
سعيد بن جبير ياعين * وقال آخرون بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو حكيم ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير كهيعص
قال يامن حكيم * وقال آخرون بل هي حرف من قول القائل يامن يجير ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ابراهيم بن الضريس قال سمعت الربيع
ابن أنس في قوله كهيعص قال يامن يجير ولا يجار عليه * واختلف متأولو ذلك كذلك في معنى
العين فقال بعضهم هي حرف من حروف اسمه الذي هو عالم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد
قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد كهيعص قال عين من عالم حدثنا ابن حميد
قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبي مثله حدثنا أبوكريب قال ثنا ابن ادريس قال
أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا عمرو قال
ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن المسيب بن رافع عن أبيه في قوله كهيعص قال عين من عالم
* وقال آخرون بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عزيز ذكر من قال ذلك حدثني
أبوحصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
كهيعص عين عزيز حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن حصين
عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثني أبوالسائب قال ثنا ابن ادريس
عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله حدثنا هناد قال ثنا أبوالأحوص
عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال
ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله كهيعص قال عين عزيز * وقال آخرون بل هي
حرف من حروف اسمه الذي هو عدل ذكر من قال ذلك حدثنا أبوكريب قال ثنا جابر
ابن نوح قال أخبرنا أبوروق عن الضحاك بن مزاحم في قوله كهيعص قال عين عدل * وقال الذين
تأولوا ذلك هذا التأويل الصاد من قوله كهيعص حرف من حروف اسمه الذي هو صادق ذكر
الرواية بذلك حدثنا أبوكريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول في كهيعص صاد صادق حدثني أبوحصين
قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا هناد قال ثنا أبوالأحوص عن حصين عن اسمعيل
ابن راشد عن سعيد بن جبير مثله حدثني أبوالسائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين

يعل من هان الشيء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد (ولم تك شيأ) لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ يعتد به كالنطفة أو كالجواهر التي لم تتألف
بعد وفيه نفي استبعاد زكريا لان خلق الذات ثم تغييرها في أطوار الصفات ليس أهون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة في
زكريا وصاحبته بعد أن لم تكن (قال رب اجعل لي آية) قد مر تفسير الآية في أول آل عمران قوله (سويا) قيل انه صفة لليالي أي تامة كاملة
الاكثرون على أنه صفة زكريا أي وأنت (٣٤) سليم الحواس مستوي الخلق ما بك خرس ولا عي (فخرج على قومه من المحراب) قيل كان
موضع ينفرد فيه للصلاة والعبادة
ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا
يصلي فيه هو وغيره الا أنهم كانوا
لا يدخلونه للصلاة الا باذنه (فأوحى
اليهم) عن مجاهد أشار بدليل قوله في
أول آل عمران الا رمزا وعن ابن
عباس كتب لهم على الارض و (أن)
هي المفسرة و (سبحوا) أي صلوا
أو على الظاهر وهو قول سبحان الله
عن أبي العالية أن البكرة صلاة الفجر
والعشي صلاة العصر فلعلهم كانوا
كانوا يصلون معه هاتين الصلاتين
في محرابه وكان يخرج اليهم ويأذن
لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج
اليهم كعادته ففهمهم المقصود
بالاشارة أو الكتابة وههنا اضمار
والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذي يجوز
أن يخاطب فقلنا له (يا يحيى خذ
الكتاب) أي التوراة لانها المعهود
حينئذ ويحتمل أن يكون كتابا
مختصا به وان كنا لا نعرفه الآن
كقول عيسى اني عبد الله آتاني
الكتاب والمراد بالأخذ اما الاخذ
من حيث الحس واما الأخذ من
حيث المعنى وهو القيام بواجبه
كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة
تقتضي سهولة الاقدام على المأمور
به والاحجام عن المنهي عنه ثم أكده
بقوله (بقوة) أي بجد وعزيمة
(وآتيناه الحكم) أي الحكمة عن ابن
عباس هو فهم التوراة والفقه في الدين ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي قال ما للعب خلقت وعن عن
معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الخوارق كما في حق عيسى فلا استبعاد الا من حيث العادة والحنان أصله
توقان النفس ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل أن يراد حنانا أنعمنا على زكريا أو على أمة يحيى لا يساعده وجود الواو وقيل
أراد آتيناه الحكم والحنان على عبادنا كقوله في نبينا فبما رحمة من الله لنت لهم وأراد بقوله (وزكاة) أنه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل باقامة

ما يجب عليهم لان الرأفة واللين ربما تورث ترك الواجب ولهذا قال ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ولا يخفى أنه لا يساعده هذا القول وجود لفظة (من لدنا) وعن عطاء أن معنى حنانا تعظيما من لدنا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج أن معنى زكاة عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكى الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلني مباركا وقيل صدقة أي يعطف على الناس ويتصدق عليهم ثم أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم عن جملة أحواله بقوله (وكان تقيا) بحيث لم يعص الله (٣٥) ولا هم بمعصية قط (وبرا بوالديه) لان تعظيم الوالدين تلو تعظيم الله (ولم يكن جبارا عصيا) وذلك أن الزاهد في الدنيا قلما يخلو عن طلب ترفع والرغبة في احترام فذكر أنه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق وتحقيق العبودية للحق قال سفيان الجبار الذي يقتل عند الغضب دليله قوله أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض ثم انه سبحانه سلم عليه في ثلاثة مواطن هي أوحش المواطن وأحوجها الى طلب السلامة فيها ويحتمل أن يكون هذا السلام من الملائكة عليه الا أنه لما كان باذن الله كان كسلام الله قيل انما قال (حيا) مع أن المبعوث هو المعاد الى حال الحياة تنبيها على كونه من الشهداء وهم أحياء الا أنه يشكل بما يجيء في قصة عيسى ويوم أبعث حيا وذلك أنه ورد في الاخبار أن عيسى سيموت بعد النزول والظاهر أنه أراد ويوم يجعل حيا فوضع الاخص موضع الاعم تأكيدا قيل السلام عليه يوم ولد لا بد أن يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه وأما الآخران فيجوز أن يكونا لاجل الثواب قلت أكثر أموره خارق للعادة فيحتمل أن يوجد منه في بطن أمه عمل يستحق الثواب كما يحكى أن أمه قالت لمريم وهما حاملان اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ۞ التأويل ان زكريا الروح نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب اني وهن مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية واني خفت صفات النفس أن تغلب وكانت امرأتي يعني الجثة التي هي روح الروح عاقرا الا تلد الا بموهبة من الله فهب لي من لدنك سأل وليا فأعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن العلم اللدني فانه ولد الروح والنفس أعدى عدوه يرثني ويرث من آل يعقوب أي يتصف بصفة الروح وبجميع الصفات الروحانيات واجعله رب رضيا بأن توطنه من تجلي صفات ربوبيتك ما يرضى به

عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم قال صاد صادق **حدثني** يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد قال صادق يعني الصاد من كهيعص **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد كهيعص قال صاد صادق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن الكلبي قال صادق * وقال آخرون بل هذه الكلمة كلها اسم من أسماء الله تعالى ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن خالد بن خداش قال ثني سالم بن قتيبة عن أبي بكر الهذلي عن عاتكة عن فاطمة ابنة علي قالت كان علي يقول يا كهيعص اغفر لي **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله كهيعص قال فانه قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله * وقال آخرون كل حرف من ذلك اسم من أسماء الله عز وجل ذكر من قال ذلك **حدثني** مطر بن محمد الضبي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد العزيز بن مسلم القسملي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كهيعص ليس منها حرف الا وهو اسم * وقال آخرون هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله كهيعص قال اسم من أسماء القرآن * قال أبو جعفر والقول في ذلك عندنا نظير القول في الم وسائر فواتح سور القرآن التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل فأغنى عن اعادته في هذا الموضع

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ اختلف أهل العربية في الرافع للذكر والناصب للعبد فقال بعض نحويي البصرة في معنى ذلك كأنه قال مما نقص عليك ذكر رحمة ربك عبده وانتصب العبد بالرحمة كما تقول ذكر ضرب زيد عمرا وقال بعض نحويي الكوفة رفعت الذكر بكهيعص وان شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك قال والمعنى ذكر ربك عبده برحمته تقديم وتأخير * قال أبو جعفر والقول الذي هو الصواب عندي في ذلك أن يقال الذكر مرفوع بمضمر محذوف وهو هذا كما فعل ذلك في غيرها من السور وذلك كقول الله براءة من الله ورسوله وكقوله سورة أنزلناها ونحو ذلك والعبد منصوب بالرحمة وزكريا في موضع نصب لانه بيان عن العبد فتأويل الكلام هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله اذ نادى ربه نداء خفيا يقول حين دعا ربه وسأله بنداء خفي يعني وهو مستسر بدعائه ومسألته اياه ما سأل كراهة منه للرياء كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ نادى ربه نداء خفيا أي سرا وان الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال لا يريد رياء **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال رغب زكريا في الولد فقام

نظيره واسوف يعطيك ربك فترضى اسمه يحيى ان الله أحياه بنوره لم نجعل له من قبل سميا لا من الحيوانات ولا من الملائكة لانه هو الذى يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن وقد بلغت من الكبر أى بسبب طول زمان تعلق القلب بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس آيتك أن لا تكلم الناس لا تخاطب الا الله ولا تلتفت الى ما سواه ثلاث ليال هى ثلاث مراتب الجمادات والحيوانات (٣٦) والروحانيات سويا متمكنا فى هذا الحال من غير تلون فخرج زكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته فأشار اليهم أن كونوا متوجهين الى الله معرضين عما سواه آناء الليل وأطراف النهار بل بكرة الازل وعشى الابد يا يحيى القلب خذ كتاب الفيض الالهى المكتوب لك فى الازل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لانه خلق ضعيفا وآتيناه الحكم فى صباه اذ خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره وزكاة وتطهرا من الالتفات الى غيرنا وبرا بوالديه الروح والقالب أما بالروح فلأن القلب محل قبول الفيض الالهى لان الفيض نصيب الروح أولا ولكن لا يمسكه لغاية لطافته كما أن الهواء الصافى لا يقبل الضوء وينفذ فيه وأما القلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا أحد أسرار حمل الامانة وأما بر والدة القالب فهو استعمالها على وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم ولد فى أصل خلقته ويوم يموت من استعمال المعاصى بالتوبة ويوم يبعث حيا بالتربية والترقى الى مقام السلامة والله حسبى

﴿ واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن

عبد

فصلى ثم دعا ربه سرا فقال رب انى وهن العظم منى الى واجعله رب رضيا وقوله قال رب انى وهن العظم منى يقول تعالى ذكره فكان نداؤه الخفى الذى نادى به ربه أن قال رب انى وهن العظم منى يعنى بقوله وهن ضعف ورق من الكبر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب انى وهن العظم منى أى ضعف العظم منى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وهن العظم منى قال نحل العظم قال عبد الرزاق قال قال الثورى وبلغنى أن زكريا كان ابن سبعين سنة وقوله واشتعل الرأس شيبا يقول وانتشر الشيب فى الرأس وقد اختلف أهل العربية فى وجه النصب فى الشيب فقال بعض نحويى البصرة نصب على المصدر من معنى الكلام كأنه حين قال اشتعل قال شاب فقال شيبا على المصدر قال وليس هو فى معنى تفقأت شحما وامتلأت ماء لان ذلك ليس بمصدر وقال غيره نصب الشيب على التفسير لانه يقال اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا كما يقال تفقأت شحما وتفقأ شحمى وقوله ولم أكن بدعائك رب شقيا يقول ولم أشق يارب بدعائك لانك لم تخيب دعائى قبل اذ كنت أدعوك فى حاجتى اليك بل كنت تجيب وتقضى حاجتى قبلك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولم أكن بدعائك رب شقيا يقول قد كنت تعرفنى الاجابة فيما مضى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴾ يقول وانى خفت بنى عمى وعصبتى من ورائى يقول من بعدى أن يرثونى وقيل عنى بقوله من ورائى من قدامى ومن بين يدى وقد بينت جواز ذلك فيما مضى قبل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانى خفت الموالى من ورائى يعنى بالموالى الكلالة الاولياء أن يرثوه فوهب الله له يحيى حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله وانى خفت الموالى من ورائى قال العصبة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله وانى خفت الموالى من ورائى قال خاف موالى الكلالة حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح بنحوه حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وانى خفت الموالى من ورائى قال يعنى الكلالة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله خفت الموالى من ورائى قال العصبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا

أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون (٣٧) وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله انى خفت الموالى من ورائى قال العصبة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وانى خفت الموالى من ورائى والموالى هن العصبة والموالى جمع مولى والمولى والولى فى كلام العرب واحد وقرأت قراء الامصار وانى خفت الموالى يعنى الخوف الذى هو خلاف الأمن وروى عن عثمان بن عفان أنه قرأه وانى خفّت الموالى بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة كأنه وجه تأويل الكلام وانى ذهبت عصبتى ومن يرثنى من بنى أعمامى واذا قرئ ذلك كذلك كانت الياء من الموالى مسكنة غير متحركة لأنها تكون فى موضع رفع بخفّت وقوله وكانت امرأتى عاقرا يقول وكانت زوجتى لا تلد يقال منه رجل عاقر وامرأة عاقر بلفظ واحد كما قال الشاعر

لبئس الفتى اذ كنت أعور عاقرا * جبانا فما عذرى لدى كل محضر

وقوله فهب لى من لدنك وليا يقول فارزقنى من عندك ولدا وارثا ومعينا وقوله يرثنى ويرث من آل يعقوب يقول يرثنى من بعد وفاتى مالى ويرث من آل يعقوب النبوة وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن أبى صالح قوله يرثنى ويرث من آل يعقوب يقول يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة حدثنا مجاهد قال ثنا يزيد قال أخبرنا اسمعيل عن أبى صالح فى قوله يرثنى ويرث من آل يعقوب قال يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله يرثنى ويرث من آل يعقوب قال يرثنى مالى ويرث من آل يعقوب النبوة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله يرثنى ويرث من آل يعقوب قال يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يرثنى ويرث من آل يعقوب قال وكان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال كان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن فى قوله يرثنى ويرث من آل يعقوب قال نبوته وعلمه حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن مبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى زكريا ما كان عليه من ورثة ماله حين يقول فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يرثنى ويرث من آل يعقوب قال كان الحسن يقول يرث نبوته وعلمه قال قتادة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية وأتى على يرثنى

فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون ۞ القراآت انى أعوذ بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ليهب لك على الغيبة أبو عمرو ويعقوب وورش والحلوانى عن قالون وحمزة فى الوقف الآخرون لأهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على أنه حرف جر وبجر التاء الثانية أبو جعفر ونافع وسهل وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون بفتحهما على أن من موصولة والظرف صلتها تساقط بحذف تاء التفاعل على وحمزة والخزاز عن هبيرة تساقط من المفاعلة حفص غير الخزاز يساقط بياء الغيبة على أن الضمير للجذع وبادغام التاء فى السين سهل ويعقوب ونصير وحماد الباقون مثله ولكن بتاء التأنيث على أن الضمير للنخلة آتانى الكتاب ممالة مفتوحة الياء على وقرأ حمزة مرسلة الياء مفخمة فى الوصل ممالة فى الوقف وأوصانى بالامالة على قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب وان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وروح والمعدل عن زيد ۞ الوقوف مريم لا لمصير اذ ظرفا لاذكر شرقيا ٥ لا للعطف زكيا ٥ بغيا ٥ كذلك ط لما مر هين ج لجواز كون الواو مقحمة أو معلقة بمحذوف كما يجيء منا ج لاختلاف الجملتين مقضيا ٥ قصيا ٥ النخلة ج لترتب الماضى من غير عاطف والاولى أن يكون استئنافا منسيا ٥ سريا ٥ جنيا ٥ زعينا ٥ ج الشرط مع الفاء أحدا لا لأن ما بعده جواب الشرط انسيا ٥ ج للعطف مع الآية تحمله ط فريا ٥ بغيا ٥ ج اليه ج صبيا ٥

وبرث من آل يعقوب قال رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثته ويرحم الله لوطا ان كان ليأوي الى ركن شديد حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب قال يرث نبوّتي ونبوّة آل يعقوب واختلفت القراء في قراءة قوله يرثني ويرث من آل يعقوب فقرأت ذلك عامة قراء المدينة ومكة وجماعة من أهل الكوفة يرثني ويرث برفع الحرفين كليهما بمعنى فهب لي الذي يرثني ويرث من آل يعقوب على أن يرثني ويرث من آل يعقوب من صلة الولي وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة والبصرة يرثني ويرث بجزم الحرفين على الجزاء والشرط بمعنى فهب لي من لدنك وليا فانه يرثني اذا وهبته لي وقال الذين قرؤا ذلك كذلك انما حسن ذلك في هذا الموضع لان يرثني من آية غير التي قبلها قالوا وانما يحسن أن يكون مثل هذا صلة اذا كان غير منقطع عما هو له صلة كقوله ردأ يصدقني * قال أبو جعفر وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه برفع الحرفين على الصلة للولي لان الولي نكرة وأن زكريا انما سأل ربه أن يهب له وليا يكون بهذه الصفة كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أنه سأله وليا ثم أخبر أنه اذا وهب له ذلك كانت هذه صفته لأن ذلك لو كان كذلك كان ذلك من زكريا دخولا في علم الغيب الذي قد حجبه الله عن خلقه وقوله واجعله رب رضيا يقول واجعل يا رب الولي الذي تهبه لي مرضيا ترضاه أنت ويرضاه عبادك دينا وخلقا وخلقا والرضي فعيل صرف من مفعول اليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) يقول تعالى ذكره فاستجاب له ربه فقال له يا زكريا انا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه يحيى كان قتادة يقول انما سماه الله يحيى لاحيائه اياه بالايمان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى عبد أحياه الله للايمان وقوله لم نجعل له من قبل سميا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه لم تلد مثله عاقر قط ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليحيى لم نجعل له من قبل سميا يقول لم تلد العواقر مثله ولدا قط * وقال آخرون بل معناه لم نجعل له من قبله مثلا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو الربيع قال ثنا سالم بن قتيبة قال أخبرنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله لم نجعل له من قبل سميا قال شبيها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لم نجعل له من قبل سميا قال مثلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك أنه لم يسم باسمه أحد قبله

ذكر

عبد الله ط لان الجملة لا تقع صفة للمعرفة ويمكن أن يجعل معنى التحقيق في إن عاملا فيكون حالا فلا يوقف أينما كنت ص لطول الكلام حيا ص ه لذلك والوصل أولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتي ج لتبدل الكلام من الاثبات الى النفي شقيا ه حيا ه عيسى ابن مريم ج على القراءتين لاحتمال أن يراد أقول قول الحق وأن يجعل حالا وأما في قراءة الرفع فاما أن يكون بدلا من عيسى أو يكون التقدير هو قول الحق يمترون ه من ولد لا (٣٨) استعجالا للتنزيه سبحانه ط فيكون ه ط لمن قرأ وان بالكسر فاعبدوه ط مستقيم ه من بينهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء عظيم ه وأبصر لا لأن ما بعده ظرف التعجب مبين ه وسمعت عن مشايخي رحمهم الله أن الوقف على قوله قضى الأمر لازم لا أقل من المطلوب لان ما بعده جملة مستأنفة ولو وصل لاوهم أن يكون حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون ه يرجعون ه ۞ التفسير هذا شروع في ابتداء خلق عيسى ولا ريب أن خلق الولد بين شخصين فانيين أقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد من غير أب فلهذا أخرت قصة عيسى عن قصة يحيى ترقيا من باب التفهم من الأدنى الى الأعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لان الازمان مشتملة على ما فيها وفي هذا الابدال تفخيم لشأن الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كأنها ألقت نفسها الى جانب معتزلة عن الناس في مكان يلي شرقي بيت المقدس أو شرقي دارها قال ابن عباس من ههنا اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت من دونهم حجابا) لا بد لهذا الاحتجاب من غرض صحيح فمن المفسرين من قال انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد لكي تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه السلام وقيل طلبت الخلوة لأجل العبادة وقيل في مشربة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو شيء يسترها وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها بابها فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت وجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وذلك قوله (فأرسلنا اليها روحنا) يعني جبرائيل لان الدين يحيا به وبوحيه والاضافة للتشريف والتسمية مجاز كما تقول لمن تحبه انه روحي (فتمثل لها) حال كونه (بشرا سويا) تام الخلق أو حسن الصورة

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم نجعل له من قبل سميا لم يسم به أحد قبله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لم نجعل له من قبل سميا قال لم يسم يحيى أحد قبله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله لم نجعل له من قبل سميا قال لم يسم أحد قبله بهذا الاسم حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم أحد قبله يحيى * قال أبو جعفر وهذا القول أعنى قول من قال لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمى باسمه أشبه بتأويل ذلك وانما معنى الكلام لم نجعل للغلام الذى نهب لك الذى اسمه يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه والسمى فعيل صرف من مفعول اليه * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ يقول تعالى ذكره قال زكريا لما بشره الله بيحيى رب أنى يكون لى غلام ومن أى وجه يكون لى ذلك وامرأتى عاقر لا تحبل وقد ضعفت من الكبر عن مباضعة النساء أبأن تقوينى على ما ضعفت عنه من ذلك وتجعل زوجتى ولودا فانك القادر على ذلك وعلى ما تشاء أم بأن أنكح زوجة غير زوجتى العاقر يستثبت ربه الخبر عن الوجه الذى يكون من قبله له الولد الذى بشره الله به لا انكارا منه صلى الله عليه وسلم حقيقة كون ما وعده الله من الولد وكيف يكون ذلك منه انكارا لأن يرزقه الولد الذى بشره به وهو المبتدئ مسئلة ربه ذلك بقوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب بعد قوله انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا وقال السدى فى ذلك ما حدثنى موسى ابن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال نادى جبرائيل زكريا ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس من الله انما هو من الشيطان يسخر بك ولو كان من الله أوحاه اليك كما يوحى اليك غيره من الامر فشك وقال أنى يكون لى غلام يقول من أين يكون وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر وقوله وقد بلغت من الكبر عتيا يقول وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام يابسها يقال منه للعود اليابس عود عات وعاس وقد عتا يعتو عتيا وعتوا وعسى يعسو عسيا وعسوا وكل متناه الى غايته فى كبر أو فساد أو كفر فهو عات وعاس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال قد علمت السنة كلها غير أنى لا أدرى أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الظهر والعصر أم لا ولا أدرى كيف كان يقرأ هذا الحرف وقد بلغت من الكبر عتيا أو عسيا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله

وانما تمثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه وتدرع الروحانى كجبريل مثلا تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالصغير غير مستبعد والذين اعتقدوا أن جبرائيل جسمانى جوزوا أن يكون له أجزاء أصلية قليلة وأجزاء فاضلة فبتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبه بصورة الانسان ولندرة أمثال هذه الامور لا يلزم منها قدح فى العلوم العادية المستندة الى الاحساس فلا يلزم الشك فى أن زيدا الذى نشاهده الآن هو الذى شاهدناه بالامس قوله (ان كنت تقيا) أى ان كان يرجى (٣٩) منك أن تتقى الله وترجع بالاستعاذة به فانى عائذة به منك وقيل انه كان فى ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقى وكان يتبع النساء فظنت أن ذلك المتمثل هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله وقيل ان نافية أى ما كنت تقيا حين استحللت النظر الى وخلوت بى وحين علم جبرائيل خوفها (قال انما أنا رسول ربك) أرسلنى (لاهب لك) أو لاهب لك (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة وكيف زال خوفها بمجرد القيل احتمل أن يكون قد ظهر لها معجزة من جهة زكريا أو ارهاصا لعيسى أو الهاما من الله سبحانه وهل تقدر الملائكة على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والنطق حتى صح قول جبرائيل لأهب لك قال أجمعت الامة على أن لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والافلا استبعاد فى تأثير بعض الاجسام فى بعضها لخاصية خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة أن جبرائيل صار سببا فى الهبة بالنفخ فى الدرع (قالت) استغرابا من حيث العادة لا تشككا فى قدرة الله (أنى يكون لى غلام) ولم تقل ههنا رب اما لانها تخاطب جبرائيل واما اكتفاء بما سلف فى آل عمران (ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا) هى الفاجرة التى تبغى الرجال عن المبرد أن أصله بغوى على فعول قلبت الواو ياء ثم أدغمت فى الياء وكسرت الغين للمناسبة عن ابن جنى أنه فعيل والا لقيل بغو كنهو عن المنكر خصصت بعد ما عممت لزيادة الاعتبار بهذا الخزى تبرئة لساحتها عن الفحشاء واما جرى فى أول القصة من تمثل جبرائيل لها بصورة البشر حتى ظنت أنه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة فى آل عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه فى قوله من قبل أن تمسوهن أو لامستم النساء وانما يقال فى الزنا خبث بها وفجر بها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والآداب قلت

لوسلم هذا من حيث اللغة الا أنه لا بدلزيادة قوله ولم أك بغيا في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سنح لنا والله أعلم (قال كذلك قال ربك هو على هين) تفسيره كما مر في قصة زكريا (ولنجعله) أي ولنجعل الغلام أو خلقه (آية للناس) يستدل بها على كمال اقتدارنا على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز أن يكون معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين أي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وقد مر مثل هذا في قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه (ورحمة منا) (ع) على عبادنا لان كل نبي رحمة لامته فبه يهدون الى صلاح الدارين (وكان أمرا مقضيا) مقدرا في اللوح أو أمرا حقيقا بأن يقضي به لكونه آية ورحمة وهذا مبني على أن رعاية الأصلح واجبة على الله وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل في فيها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخت فيه من روحي وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبرئيل كالضائع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب لك قيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد حاضت حيضتين قبل أن تحمل وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة أشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت مخالفة لهن في هذه العادة لناسب أن يذكرها الله تعالى في أثناء مدائحها وقيل ثمانية أشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال أهل التنجيم انما لا يعيش لانه يعود الى تربية القمر وهو مغير معفن بسرعة حركته وغلبة التبريد والترطيب عليه وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس في رواية أخرى كما حملته نبذته لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون ولفا آب التعقيب في قوله (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض) وعلى هذا فالمكان القصي هو أقصى الدار أو وراء الجبل بعيدا من أهلها ومعنى انتبذت به اعتزلت متلبسة به وهو في بطنها وقصي مبالغة قاص روى الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت فأول من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانت سميت له وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من أمرك شيء ولا أحب أن أكتمه عنك فقالت قل قولا جميلا فقال أخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم ألم تعلم

وقد بلغت من الكبر عتيا قال يعني بالعتي الكبر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عتيا قال نحول العظم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من الكبر عتيا قال سنا وكان ابن بضع وسبعين سنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال العتي الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال هو الكبر * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لزكريا مجيباله قال كذلك يقول هكذا الامر كما تقول من أن امرأتك عاقر وأنك قد بلغت من الكبر العتي ولكن ربك يقول خلق ما بشرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى على هين فهو اذا من قوله قال ربك هو على هين كناية عن الخلق وقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ يقول تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك وعقم زوجتك بأعجب من خلقك فاني قد خلقتك فأنشأتك بشرا سويا من قبل خلق ما بشرتك بأني واهبه لك من الولد ولم تك شيأ فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر مع عتيك ووهن عظامك واشتعال شيب رأسك وقوله قال رب اجعل لي آية يقول تعالى ذكره قال زكريا يا رب اجعل لي علما ودليلا على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك ليطمئن الى ذلك قلبي كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال رب اجعل لي آية قال قال رب اجعل لي آية أن هذا منك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال رب فان كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية قال الله آيتك لذلك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا يقول جل ثناؤه علامتك لذلك ودليلك عليه أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سوي صحيح لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس ثلاث ليال سويا قال اعتقل لسانه من غير مرض حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثلاث ليال سويا يقول من غير خرس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ثلاث

ليال

ليال سويا قال لا يمنعك من الكلام مرض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا قال صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا من غير بأس ولا خرس وانما عوقب بذلك لانه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة أخذ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام الا أوما أيماء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن عكرمة في قوله ثلاث ليال سويا قال سويا من غير خرس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وأنت صحيح قال فحبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا وهو في ذلك يسبح ويقرأ التوراة ويقرأ الانجيل فاذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني قال أخذ الله بلسانه من غير سوء فجعل لا يطيق الكلام وانما كان يومئ لقومه بالاشارة حتى مضت الثلاثة الايام التي جعلها الله آية لمصداق ما وعده من هبته له حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا يقول من غير خرس الا رمزا فاعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال * وقال آخرون السوى من صفة الايام قالوا ومعنى الكلام قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا قال ثلاث ليال متتابعات * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ يقول تعالى ذكره فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس آية من الله له على حقيقة وعده اياه ما وعد فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فخرج على قومه من المحراب قال أشرف على قومه من المحراب «قال أبو جعفر» وقد بينا معنى المحراب فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فخرج على قومه من المحراب قال المحراب مصلاه وقرأ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب وقوله فأوحى اليهم يقول أشار اليهم وقد تكون تلك الاشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك مما يفهم به عنه ما يريد وللعرب في ذلك لغتان وحى وأوحى فمن قال وحى قال في يفعل يحى ومن قال أوحى قال يوحى وكذلك أومى وومى فمن قال ومى قال في يفعل يمي ومن قال أومى قال يومى واختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى الى قومه فقال بعضهم أوحى اليهم اشارة باليد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فأوحى فأشار زكريا حدثنا القاسم قال

أن الله تعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر أو تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى يستعين بالماء ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فقال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله قادر على ما يشاء وزالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف عليها من الحمل فحين دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد أدركها النفاس فألجأها الى (۴۱) أصل نخلة قال جار الله أجاء منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء لا يقال جئت المكان وأجاءنيه زيد كما يقال بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل أتيت المكان وآتانيه فلان قلت حاصله تخصيص باء التعدية بعد تعميم و(المخاض) بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة يروى أنه كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هنالك واما للجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة أرشدت اليها لتطعم منها الرطب الذي هو خرسة النفساء أي طعامها الموافق لها ولان النخلة أقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا باللقاح فكان ظهور ذلك الرطب من ذلك الجذع في الشتاء من دون لقاح وابار دليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف النسي اسم ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره الذبح لما من شأنه أن يذبح وعن يونس أن العرب اذا ارتحلوا قالوا انظروا أنساءكم يعنون العصا والقدح والشظاظ ونحوها عنت لو كانت شيأ لا يعبأ به حقه أن ينسى في العادة ومعنى (منسيا) أنه قد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وانما عنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل أو لأنهم يتهمونها وهي عارفة ببراءة ساحتها فشق ذلك عليها أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر ويجوز أن يكون تسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته (فناداها من تحتها) الذي هو تحتها أو انسان

تحتها يعني جبرائيل بناء على أنه كان يقبل الولد كالقابلة أو أراد أسفل من مكانها لان مريم كانت أقرب الى الشجرة منه أو كان جبريل تحت الأكمة وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير أن المراد به عيسى لان ذكر عيسى أقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الصلة يجب أن تكون معلومة للسامع والذي علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة أن الضمير في تحتها النخلة قوله (سريا) (٤٣) جمهور المفسرين على أن السري هو الجدول وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم سمي بذلك لان الماء يسري فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخاء في مروءة ويقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سروات عن الحسن كان والله عبدا سريا حجة هذا القائل أن النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يمكن أن يقال المراد ان النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر وأجيب بأن المكان المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت وأراد أن النهر تحت الاكمة وهي فوقها وأيضا حمل السري على النهر موافق قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقوله (فكلي واشربي) يروى أن جبريل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار والاول أقرب لان قوله قد جعل ربك مشعر بالاحداث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل وما دون الرأس الذي عليه الثمرة وقال قطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالزائد لان العرب تقول هزه وهز به والمعنى حركي جذع النخلة أو افعلي الهز به ورطبا تمييز أو مفعول تساقط على حسب القراآت اللازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز انتصابه بهزي أي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة أي تلعبي على جذعها والجني المأخوذ طريا والظاهر أنه ما أثمر الا الرطب وقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه أثمر مع الرطب غيره قالوا اذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك والمراد أنه جمع لها فائدتان في السري والرطب احداهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع أن ذكر السري متقدم لان احتياج النفساء الى أكل الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء

ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فأوحى اليهم قال الوحي الاشارة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فأوحى اليهم قال أومى اليهم * وقال آخرون معنى أوحى كتب ذكر من قال ذلك حدثنا محمود بن خداش قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد في قول الله تعالى فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال كتب لهم في الارض حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم فأوحى اليهم قال كتب لهم حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي نخرج على قومه من المحراب فكتب لهم في كتاب أن سبحوا بكرة وعشيا وذلك قوله فأوحى اليهم * وقال آخرون معنى ذلك أمرهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال ما أدري كتابا كتبه لهم أو اشارة أشارها والله أعلم قال أمرهم أن سبحوا بكرة وعشيا وهو لا يكلمهم وقوله أن سبحوا بكرة وعشيا قد بينت فيما مضى الوجوه التي ينصرف فيها التسبيح وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عنى به التسبيح الذي هو ذكر الله فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح ويجوز أن يكون عنى به الصلاة فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال أوحى اليهم أن صلوا بكرة وعشيا * القول في تأويل قوله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا) يقول تعالى ذكره فولد لزكريا يحيى فلما ولد قال الله له يا يحيى خذ الكتاب بقوة يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى وهو التوراة بقوة يقول بجد كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله خذ الكتاب بقوة قال بجد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد خذ الكتاب بقوة قال بجد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة قال القوة أن يعمل ما أمره الله به ويجانب فيه ما نهاه الله * قال أبو جعفر وقد بينت معنى ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا في سورة آل عمران فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله وآتيناه الحكم صبيا يقول تعالى ذكره وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال وقد حدثنا أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر ولم يذكره عن أحد في هذه الآية وآتيناه الحكم صبيا قال بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا

لكثرة ما سال من الدماء والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزين لزكريا أو ارهاصا لعيسى أو كرامتين لمريم وأشار الى هذه بقوله (وقري عينا) لان قرة العين تلازم قوة القلب والتسلي من الهموم والاحزان وقيل ان ألم النفس أشد من ألم البدن فلم قدم دفع ألم البدن على دفع ألم القلب وأجيب بأن الخوف النفسي كان قليلا لتقدم بشارة جبريل فكان التذكر كافيا (فاما ترين) أصله ترأيين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم ياء الضمير لالتقاء الساكنين وذلك بعد لحوق نون التأكيد وقد مر في قوله (٣٤) اما يبلغن عندك الكبر اذا التأكيد في هذه الصورة يقصد به أن الشرط مما سيقع غالبا فان مريم لابد أن ترى أحدا من البشر عادة عن أنس بن مالك الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال أبو عبيدة كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم وقيل أراد الصيام الا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز في شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر بمجرد الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق والتشديد ولا حرج في الاسلام وفي الكشاف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت وروى أنه دخل أبو بكر الصديق على امرأة وقد نذرت أنها لا تتكلم فقال أبو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي وفي أمرها بهذا النذر معنيان أحدهما أن كلام عيسى أقوى في ازالة التهمة وفيه أن تفويض الامر الى الأفضل أولى والثاني أن السكوت عن جدال السفهاء أصون للعرض ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها وكيف أخبرتهم بالنذر قيل بالاشارة والالزم النقض وقيل خص هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله (انسيا) أراد المبالغة في نفي الكلام وأراد أني أكلم الملائكة دون الانس وهذا أشبه بقوله فاما ترين من البشر (فأتت به) أي بعيسى (قومها تحمله) الجملة حال عن وهب قال أنساها كربة الميلاد وما سمعت من الناس ما كان من بشارة الملائكة فلما كلمها جاءها مصداق ذلك فاحتملته فأقبلت به الى قومها وعن ابن عباس أن يوسف النجار انتهى بمريم الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها تباكوا وقالوا (لقد جئت شيأ فريا) بديعا من فري الجلد وليس في هذا ما يوجب تعييرا أو ذما لان أمرها كان خارجا عن المعتاد ويحتمل انهم ارادوا أمرا منكرا خارجا عن طريق

نلعب فقال ما للعب خلقت فأنزل الله وآتيناه الحكم صبيا وقوله وحنانا من لدنا يقول تعالى ذكره ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا * وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان فقال بعضهم معناه الرحمة ووجهوا الكلام الى نحو المعنى الذي وجهناه اليه ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وحنانا من لدنا يقول ورحمة من عندنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة في هذه الآية وحنانا من لدنا قال رحمة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وحنانا من لدنا قال رحمة من عندنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قوله وحنانا من لدنا قال رحمة من عندنا لا يملك عطاءها أحد غيرنا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وحنانا من لدنا يقول رحمة من عندنا لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا * وقال آخرون بل معنى ذلك ورحمة من عندنا لزكريا آتيناه الحكم صبيا وفعلنا به الذي فعلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وحنانا من لدنا يقول رحمة من عندنا * وقال آخرون معنى ذلك وتعطفا من عندنا عليه فعلنا ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وحنانا من لدنا قال تعطفا من ربه عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل معنى الحنان المحبة ووجهوا معنى الكلام الى ومحبة من عندنا فعلنا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن يحيى بن سعيد عن عكرمة وحنانا من لدنا قال محبة عليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وحنانا قال أما الحنان فالمحبة * وقال آخرون معناه تعظيما منا له ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عطاء بن أبي رباح وحنانا من لدنا قال تعظيما من لدنا وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا أدري ما الحنان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس قال لا والله ما أدري ما حنانا والعرب في حنانك لغتان حنانك يا ربنا وحنانيك كما قال طرفة بن العبد في حنانيك

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقال امرؤ القيس في اللغة الاخرى

ويمنحها بنو شمجى بن جرم * معيزهم حنانك ذا الحنان

العفة والصلاح فيكونان تو بيخا وتو كيده قولهم (يا أخت هرون) الآية واختلفوا في هرون فقيل كان أخاها من أبيها من أمثل بني اسرائيل وهذا أظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة أولى من غيره وقيل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم عنوا هرون النبي أخا موسى عليهما السلام وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وبينهما ألف سنة وأكثر وعن السدى كانت من أولاده والمراد أنها واحدة منهم كما يقال يا أخا همدان أي يا واحدا منهم وقيل أرادوا رجلا (ع) صالحا في زمانها أي كنت عندنا مثله في الصلاح يحكى أنه تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه وقيل كان رجلا طالحا معلنا بالفسق فنسبوها اليه بالتشبيه بسيرته ويروى أنهم هموا برجمها (فأشارت اليه) أي أن عيسى هو الذي يكلم وبم عرفت ذلك اما بأن كلمها في الطريق أو بالالهام أو بالوحي الى زكريا أو بقول جبريل على أن أمرها بالسكوت بعد ما سبق من البشارة قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدى لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد) قال جار الله كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح للقريب والبعيد وههنا للزمان القريب عن الحال بدلالة الحال أو هو حكاية حال ماضية أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس (صبيا) في المهد حتى نكلم هذا ويحتمل أن يقال كان زائدة نظرا الى أصل المعنى وان كان يفيد زيادة ارتباط مع رعاية الفاصلة أو هي تامة وصبيا حال مؤكدة يروى أنه كان يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وتكلم مع جاره وأشار بسبابته فقال (اني عبد الله) فكان فيه أولا رد قول النصارى (آتاني الكتاب) هو الانجيل أو التوراة أي فهمها وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا بل في بطن أمه وقيل أراد أنه سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه قد وجد والاول أظهر وصغر الجسم لا يقدح في كمال العقل وخرق العادة فيه أكثر قالوا ان كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما على التحدي وهو غير جائز ولو كان نبيا في ذلك الوقت وجب أن يشتغل ببيان الشرائع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب أن بعض معجزات النبي لابد أن يكون مقرونا بالتحدي أما الكل فممنوع وبعبارة أخرى لابد أن يكون مقرونا بفعل خارق عن العادة ولكن كل فعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقترانه

وقد اختلف أهل العربية في حنانيك فقال بعضهم هو تثنية حنان * وقال آخرون بل هي لغة ليست بتثنية قالوا وذلك كقولهم حواليك وكما قال الشاعر * ضربا هذاذيك وطعنا وخضا * وقد سوى بين جميع ذلك الذين قالوا حنانيك تثنية في أن كل ذلك تثنية وأصل ذلك أعني الحنان من قول القائل حن فلان الى كذا وذلك اذا ارتاح اليه واشتاق ثم يقال تحنن فلان على فلان اذا وصف بالتعطف عليه والرقة به والرحمة له كما قال الشاعر

تحنن علي هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

بمعنى تعطف علي فالحنان مصدر من قول القائل حن فلان على فلان يقال منه حننت عليه فأنا أحن عليه حنينا وحنانا ومن ذلك قيل لزوجة الرجل حنته لتحننه عليها وتعطفه كما قال الراجز

وليلة ذات دجى سريت * ولم تضرني حنة وبيت

وقوله وزكاة يقول تعالى ذكره وآتينا يحيى الحكم صبيا وزكاة وهو الطهارة من الذنوب واستعمال بدنه في طاعة ربه فالزكاة عطف على الحكم من قوله وآتيناه الحكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وزكاة قال الزكاة العمل الصالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وزكاة قال العمل الصالح الزكي حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وزكاة يعني العمل الصالح الزاكي وقوله وكان تقيا يقول تعالى ذكره وكان لله خائفا مؤديا فرائضه مجتنبا محارمه مسارعا في طاعته كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وزكاة وكان تقيا قال طهر فلم يعمل بذنب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وزكاة وكان تقيا قال أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ يقول تعالى ذكره وكان برا بوالديه مسارعا في طاعتهما ومحبتهما غير عاق بهما ولم يكن جبارا عصيا يقول جل ثناؤه ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا يأتمر لما أمر به وينتهي عما نهي عنه لا يعصي ربه ولا والديه وقوله عصيا فعيل بمعنى أنه ذو عصيان من قول القائل عصى فلان ربه فهو يعصيه عصيا وقوله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يقول وأمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان من السوء بما ينال به بني آدم وذلك أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى ابن زكريا حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب قال ثني ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك حدثنا الحسن قال

قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله جبارا عصيا قال كان ابن المسيب يذكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله يوم القيامة الاذا ذنب الا يحيى بن زكريا * قال وقال قتادة ما أذنب ولاهم بامرأة وقوله ويوم يموت يقول وأمان من الله تعالى ذكره من فتانى القبر ومن هول المطلع ويوم يبعث حيا يقول وأمان له من عذاب الله يوم القيامة يوم الفزع الأكبر من أن يروعه شئ أو أن يفزعه ما يفزع الخلق وقد ذكر عن ابن عيينة فى ذلك ما حدثنى أحمد بن منصور المروزى قال أخبرنى صدقة بن الفضل قال سمعت ابن عطية يقول أوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن الحسن قال ان عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى استغفر لى أنت خير منى فقال له الآخر استغفر لى أنت خير منى فقال له عيسى أنت خير منى سلمت على نفسى وسلم الله عليك فعرف والله فضلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد فى كتاب الله الذى أنزله عليك بالحق مريم ابنة عمران حين اعتزلت من أهلها وانفردت عنهم وهو افتعل من النبذ والنبذ الطرح وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت أى انفردت من أهلها حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال خرجت مكانا شرقيا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال خرجت مريم الى جانب المحراب لحيض أصابها وهو قوله (١) فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا فى شرقى المحراب وقوله مكانا شرقيا يقول فتنحت واعتزلت من أهلها فى موضع قبل مشرق الشمس دون مغربها كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مكانا شرقيا قال من قبل المشرق حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال انى لأعلم خلق الله لأى شئ اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن عباس مثله حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال أخبرنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال ان أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة الى البيت والحج لله

(١) كذا هنا وفى موضعين بعد فانتبذت والقراءة اذ انتبذت فتنبه كتبه مصححه •

بالتحدى وكذا الكلام فى بيان الشرائع فان بعض أوقات النبى لابد أن يقترن به التحدى دون كل أوقاته وحالاته على أنه أشار الى بعض التكاليف بقوله وأوصانى بالصلاة والزكاة كما يجىء وعن بعضهم أنه كان نبيا لقوله وجعلنى نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة فى ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا أنه رفيع القدر على الدرجة وضعف بأن النبى فى عرف الشرع أخص من ذلك ومعنى قوله (مباركا أينما كنت) نفاعا حيثما كنت روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معلما (ع ق) للخير وضلال كثير من أهل الكتاب باختلافهم فيه لا يقدح فى منصبه كما قيل

على نحت القوافى من معادنها *
وما على اذا لم تفهم البقر

وهذه سنة الله فى أنبيائه ورسله كلهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا يروى أن مريم سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم أدفعه اليك على أن لا تضربه فقال له اكتب فقال له أى شئ أكتب فقال اكتب أبجد فقال لا أكتب شيأ لا أدرى ثم قال ان لم تعلم ما هو فأنا أعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من أداء الحق الى الله وقيل البركة أصلها من بروك البعير والمعنى جعلنى ثابتا فى دين الله مستقرا فيه وقيل البركة هى الزيادة والعلو فكأنه قال جعلنى فى جميع الاشياء غالبا منجحا الى أن يكرمنى الله بالرفع الى السماء عن قتادة أنه رأته امرأة وهو يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن حملك وثدى أرضعك به فقال عيسى عليه السلام مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يك جبارا شقيا (وأوصانى بالصلاة والزكاة) أى بأدائهما اما فى وقتهما المعين وهو وقت البلوغ واما فى الحال بناء على أنه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على أداء التكاليف ويؤيده قوله ما دمت حيا • وقيل الزكاة ههنا صدقة الفطر وقيل تطهير البدن من دنس الآثام وقيل أوصانى بأن آمركم بهما وفى قوله (وبرا بوالدتى) دلالة واشارة الى تبرئة أمه من الزنا والا لم يكن الرسول المعصوم مأمورا ببرها قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) ولا تجد سيئ الملكة الا مختالا فخورا وقرأ وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عيسى الشقاوة ولم ينف عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما جاء فى الخبر ما أحد من بنى آدم الا أذنب أو هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومن عقائد أهل السنة أن الأنبياء معصومون

من الكبائر دون الصغائر قوله (والسلام علي) قالت العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على أن تعريف الجنس قريب من تنكيره وقيل ان الأول من الله والقليل عنه كثير قليل منك يكفيني ولكن * قليلك لا يقال له قليل
واني لأرضى منك ياهند بالذي * لو أبصره الواشي اقرت بلابله بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله
والثاني من عيسى والكثير منه لا يبلغ معشار (٤٦) سلام الله عن بعضهم أن عيسى عليه السلام قال ليحيى أنت خير مني

وماصرفهم عنهما الاقيل ربك فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا فصلوا واقبل مطلع الشمس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال شاسعا متنحيا وقيل انها انما صارت بمكان يلي مشرق الشمس لان مايلي المشرق عندهم كان خيرا ممايلي المغرب وكذلك ذلك فيماذكر عند العرب وقوله فاتخذت من دونهم حجابا يقول فاتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس وذكر عن ابن عباس أنها صارت بمكان يلي المشرق لأن الله أظلها بالشمس وجعل لها منها حجابا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال مكانا أظلتها الشمس أن يراها أحد منهم وقال غيره في ذلك ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران وقوله فأرسلنا اليها روحنا يقول تعالى ذكره فأرسلنا اليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا واتخذت من دونهم حجابا جبريل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأرسلنا اليها روحنا قال أرسل اليها فيماذكر لنا جبريل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لايتهم عن وهب بن منبه قال وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فأرسلنا اليها روحنا قال جبريل حدثني محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل بن أخي وهب قال سمعت وهب بن منبه قال أرسل الله جبريل الى مريم فتمثل لها بشرا سويا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال فلما طهرت يعني مريم من حيضها اذا هي برجل معها وهو قوله فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا يقول تعالى ذكره فتشبه لها في صورة آدمي سوي الخلق منهم يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾ يقول تعالى ذكره فخافت مريم رسولنا اذ تمثل لها بشرا سويا وظنته رجلا يريدها على نفسها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال خشيت أن يكون انما يريدها على نفسها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فتمثل لها بشرا سويا فلما رأته فزعت منه وقالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقالت اني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك تقول أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ماحرمه عليك ان كنت ذا تقوى له تتقي محارمه وتجتنب معاصيه لان من كان لله تقيا فانه يجتنب ذلك ولو وجه ذلك الى أنها عنت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تتقي الله في استجارتي واستعاذتي به منك كان وجها كما حدثنا

سلم الله عليك وسلمت على نفسي وأجاب الحسن بأن تسليمه على نفسه هو تسليم الله عليه وقال جار الله في هذا التعريف تعريض باللعنة على متهمي مريم وأعدائها من اليهود لانه اذا زعم أن جنس السلام خاصته فقد عرض بأن ضده عليهم نظيره في قصة موسى والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى يروى أنه كلمهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى أنهم أنكروا تكلم عيسى في المهد قائلين ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فيه وفي مناقبه وأيضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه في المهد بالغوا في قتله ودفعه في طفوليته وأجاب المسلمون من حيث العقل بأنه لولا كلامه الذي دلهم على براءتها من الذي قذفوها به لاقاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضري كلامه قليلون فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا هنالك فلذلك لم يشتغلوا وقتئذ بدفعه والله أعلم (ذلك) الموصوف بالصفات المذكورة من قوله اني عبد الله الى آخره هو (عيسى بن مريم) وفي ذلك الوصف ذلك الوصف هذه المرأة نفي كونه ابنا على مازعمت الضالة وأكد هذا المعنى بقوله (قول الحق) ابن
ونا بالتحدي أما الكل لحمد الله وبعد كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد
لا الله الحق وقول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقد مر آنفا وارتفاعه على أنه
محذوف ومعنى تمترون تشكون من المرية الشك أو المراد يتمارون من المراء اللجاج وذلك أن اليهود قالوا

•ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وقالت ثلاثة ثم صرح ببطلان معتقدهم فقال (ما كان لله) ما صح له وما استقام (أن يتخذ من ولد) كما لا يستقيم أن يكون له شريك وقد مر مثل هذه الآية في سورة البقرة والذي نزيده ههنا أن بعضهم قال معنى الآية ما كان الله أن يقول لأحد انه ولدي لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمته تعالى وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير أنه ليس لله أن يفعل كل شئ لان قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد كقولنا ما كان لله أن يظلم فلا يليق شئ منها بحكمته وكمال الهيته (٤٧) وأجيب بأن الكذب على الله محال والظلم تصرف في ملك الغير فلا يتصور في حقه فان أردتم هذا المعنى فلا نزاع وان أردتم شيأ آخر فما الدليل على استحالته احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وان كان محدثا احتاج في حدوثه الى قول آخر وتسلسل واستدلت المعتزلة بها على حدوث كلامه قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متأخر عن القضاء المحدث والمتأخر عن المحدث محدث وأيضا الفاء في فيكون للتعقيب والقول متقدم عليه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان قليل محدث وكلا الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما النزاع في كلام النفس وأيضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيئته والافليس ثم قول لان الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل للحاصل ومن الناس من زعم أن المراد من قوله كن هو صفة التكوين فانها زائدة على صفة القدرة لانه قادر على عوالم أخر سوى هذا وغير مكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا ومن قرأ (وان الله) بالفتح فمعناه ولان الله (ربي وربكم فاعبدوه) وفيه أن الربوبية هي سبب العبادة فمن لم تصح ربوبيته لم يستحق •أن يعبد ولا رب بالحقيقة الا الله لانتهاء جميع الوسائط والاسباب اليه فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هي أن الله تعالى لا يصح أن يقول ان الله ربي وربكم فاعبدوه فالتقدير قل يا محمد بعد اظهار البراهين الباهرة على أن عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم وقال أبو مسلم الاصفهاني انه من تتمة كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعن وهب بن منبه عهد اليهم حين أخبرهم عن حاله وصفته أن كلنا عبيد الله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) أي من بين أهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى اختلفوا ثم اتفقوا على أن يرجعوا الى علماء زمانهم وهم يعقوب ونسطور

ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ولا ترى الا أنه رجل من بنى آدم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم قال قال ابن زيد وذكر قصص مريم فقال قد علمت أن التقى ذو نهية حين قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك يقول تعالى ذكره فقال لها روحنا انما أنا رسول ربك يا مريم أرسلنى اليك لأهب لك غلاما زكيا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبى عمرو لأهب لك بمعنى انما أنا رسول ربك يقول أرسلنى اليك لأهب لك غلاما زكيا على الحكاية وقرأذلك أبو عمرو بن العلاء ليهب لك غلاما زكيا بمعنى انما أنا رسول ربك أرسلنى اليك ليهب الله لك غلاما زكيا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الأمصار وهو لأهب لك بالالف دون الياء لان ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين وعليه قراءة قديمهم وحديثهم غير أبى عمرو وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه ولا سائغ لأحد خلافه مصاحفهم والغلام الزكى هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب غلام زاك وزكى وعال وعلى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا﴾ يقول تعالى ذكره قالت مريم لجبريل أنى يكون لى غلام من أى وجه يكون لى غلام أمن قبل زوج أتزوج فأرزقه منه أم يبتدئ الله فى خلقه ابتداء ولم يمسسنى بشر من ولد آدم بنكاح حلال ولم أك اذ لم يمسسنى منهم أحد على وجه الحلال بغيا بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام فحملته من زنا كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولم أك بغيا يقول زانية قال كذلك قال ربك هو على هين يقول تعالى ذكره قال لها جبريل هكذا الامر كما تصفين من أنك لم يمسسك بشر ولم تكونى بغيا ولكن ربك قال هو على هين أى خلق الغلام الذى قلت أن أهبه لك على هين لا يتعذر على خلقه وهبته لك من غير فحل يفتحلك وقوله ولنجعله آية للناس يقول وكى نجعل الغلام الذى نهبه لك علامة وحجة على خلق أهبه لك ورحمة منا يقول ورحمة منا لك ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك وكان أمرا مقضيا يقول وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ومضى فى حكمه وسابق علمه أنه كائن منك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى من لا أتهم عن وهب بن منبه وكان أمرا مقضيا أى ان الله قد عزم على ذلك فليس منه بد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾ وفى هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه فنفخنا فيها من روحنا بغلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل ابن أخى وهب بن منبه قال سمعت وهبا قال لما أرسل الله جبريل الى مريم تمثل لها بشرا سويا

ومل‍كا فقيل للأول ما تقول في عيسى فقال هو الله هبط الى الارض فخلق وأحيا ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثاني فقال هو ابن الله فتابعه جم غفير وهم النسطورية وسئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم وينام فصارا خصمه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا أربعة والرابع اسمه اسرائيل فقال هو اله وأمه اله والثلاثة أقانيم والروح واحد واعلم أن بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد يجر الكلام فيه الى مقامات يصعب الترقي اليها فلذلك ضل فيه من ضل وزل عنه من زل والله سبحانه أعلى من جميع ذلك وأجل (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أي من شهودهم هذا الجزاء والحساب في ذلك اليوم أو من زمان شهودهم أو من مكان شهودهم فيه وهو الموقف ويحتمل أن يكون المشهد من الشهادة أي من يشهد عليهم الملائكة والانبياء أو جوارحهم فيه بالكفر والقبائح أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه يوم ولادته ومعنى من التعليل أي الويل لهم من أجل المشهد وبسببه قال أهل البرهان انما قال ههنا فويل للذين كفروا وفي حم الزخرف فويل للذين ظلموا لان الكفر أبلغ من الظلم وقصة عيسى في هذه السورة مشروحة وفيها ذكر نسبتهم اياه الى الله حتى قال ما كان لله أن يتخذ من ولد فذكر بلفظ الكفر وقصتهم في الزخرف مهملة فوصفهم بلفظ دونه وهو الظلم قلت ويحتمل أن يقال الظلم اذا أريد به الشرك كان أخص من الكفر فعمم أولا ثم خصص لان البيان بالمقام الثاني أليق (أسمع بهم وأبصر) صيغتان للتعجب والمراد أن هاتين الحاستين منهم جديران يتعجب منهما في ذلك اليوم بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشيء بسبب عظمه ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب أو من غير سبب قال يعني سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله أعلم بذلك منه والمعنى أنه صدر من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وقيل معنى الآية التهديد عما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم وقيل أراد أسمع بهؤلاء وأبصر أي عرفهم مآل القوم الذين يأتوننا ليعتبروا وينزجروا

فقالت له اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني قال لما قال ذلك يعني لما قال جبريل قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية استسلمت لأمر الله فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها فأخذ جبريل بكمها فنفخ في جيب درعها وكان مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة صدرها فحملت فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم أشعرت أيضا أني حبلى قالت امرأة زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج يقولون انه انما نفخ في جيب درعها وكمها وقوله فانتبذت به مكانا قصيا يقول فاعتزلت بالذي حملته وهو عيسى وتنحت به عن الناس مكانا قصيا يقول مكانا نائيا قاصيا عن الناس يقال هو بمكان قاص وقصي بمعنى واحد كما قال الراجز

لتقعدن مقعد القصي ۞ مني ذي القاذورة المقلي

يقال منه قصا المكان يقصو قصوا اذا تباعد وأقصيت الشيء اذا أبعدته وأخرته ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فانتبذت به مكانا قصيا قال مكانا نائيا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله مكانا قصيا قال قاصيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما بلغ أن تضع مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي منه فأتت أقصاه وقوله فأجاءها المخاض الى جذع النخلة يقول تعالى ذكره فجاء بها المخاض الى جذع النخلة ثم قيل لما أسقطت الباء منه أجاءها كما يقال أتيتك بزيد فاذا حذفت الباء قيل آتيتك زيدا كما قال جل ثناؤه آتوني زبر الحديد والمعنى ائتوني بزبر الحديد ولكن الالف مدت لما حذفت الباء وكما قالوا خرجت به وأخرجته وذهبت به وأذهبته وانما هو أفعل من المجيء كما يقال جاء هو وأجاءته أنا أي جئت به ومثل من أمثال العرب «شر ما أجاءني الى مخة عرقوب» وأشاء ويقال شر ما يجيئك ويشيئك الى ذلك ومنه قول زهير

وجار سار معتمدا اليكم ۞ أجاءته المخافة والرجاء

يعني جاء به وأجاءه الينا وأشاءك من لغة تميم وأجاءك من لغة أهل العالية وانما تأول من تأول ذلك

عن الاتيان بمثل فعلهم وقال الجبائي يجوز أن يراد أسمع الناس بهؤلاء وأبصرهم ليعتبروا بسوء عاقبتهم والوجه هو الاول يؤيده قوله (لكن الظالمون) أي لكنهم فوضع المظهر موضع المضمر (اليوم) وهو يوم التكليف (في ضلال مبين) حيث أغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد في تحصيل الزاد للمعاد وهو (يوم الحسرة) لتحسر أهل النار فيه وقيل أهل الجنة أيضا اذا رأى الادنى مقام الاعلى والاول أصح لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة لانها دار السرور و (اذ) بدل من يوم الحسرة (٤٩) أو منصوب بالحسرة ومعنى (قضي الامر) فرغ

يعني ألجأها المخاض لما جاءها الى جذع النخلة كان قد ألجأها اليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فأجاءها المخاض قال المخاض ألجأها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ألجأها المخاض قال ابن جريج وقال ابن عباس ألجأها المخاض الى جذع النخلة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فأجاءها المخاض الى جذع النخلة يقول ألجأها المخاض الى جذع النخلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قال اضطرها الى جذع النخلة

واختلفوا في أي المكان الذي انتبذت مريم بعيسى لوضعه وأجاءها اليه المخاض فقال بعضهم كان ذلك في أدنى أرض مصر وآخر أرض الشأم وذلك أنها هربت من قومها لما حملت فتوجهت نحو مصر هاربة منهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما اشتملت مريم على الحمل كان معها قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان وكان لخدمته فضل عظيم فرغبا في ذلك فكانا يليان معالجته بأنفسهما تجميره وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهادا وعبادة منهما فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف فلما رأى الذي بها استفظعه وعظم عليه وفظع به فلم يدر على ماذا يضع أمرها فاذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر عليها فلما اشتد عليه ذلك كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته وقد حرصت على أن أميته وأكتمه في نفسي فغلبني ذلك فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري قالت فقل قولا جميلا قال ما كنت لأقول لك الا ذلك فحدثيني هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر أولم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده أم تقول لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون قالت مريم أولم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شئ من الله تبارك وتعالى وأنه لا يسعه أن يسألها عنه

من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم قال أرباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن أن يصير حيوانا فالمراد أنه لا موت بعد ذلك عن الحسن (وهم في غفلة) متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله وأنذرهم اعتراض ويحتمل أن يتعلق بأنذرهم أي أنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل أن يكون اذ ظرفا لانذر أي أنذرهم حين قضي الأمر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب ثم أخبر عنهم أنهم في غفلة (وهم لا يؤمنون) ثم قرر بقوله (انا نحن نرث) أن أمور الدنيا كلها تزول وأن الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه * التأويل واذكر في الكتاب الازلي مريم القلب اذا انتبذت من أهلها تفردت من أهل الدنيا متوجها الى جانب شروق النور الالهي فاتخذت من دونهم حجاب الخلوة والعزلة فأرسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت اني أعوذ بالرحمن منك ظنا منها أنه يشغلها عن الله قال انما أنا رسول الوارد الرباني لأهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانسانية وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسني بشر خاطر من عالم البشرية ولم أك بغيا أطلب غير ما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قاصيا لافتقاره الى العبور على منازل الشريعة والطريقة فأجاءها مخاض الطلب

والتعب الى جذع النخلة وهى كلمة لا اله الا الله التى كان أصلها ثابتا فى أرض نفسها قالت ياليتنى مت قبل هذا قال بعض أهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال على عليه السلام يوم الجمل ياليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده أمه وقيل ان مريم قالت ذلك اعلمها بأن الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسبب تهمتهما و بسبب الغلو والتقصير فى حق ابنها قلت ان مريم القلب قالت ياليتنى مت عن اللذات (٥٠) الجسمية قبل هذا الوقت الذى فزت باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الخمول راحة والشهرة آفة فناداها بلسان الحال من تحت تصرفها من آلات القوى أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك أى تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود أو جدول الكشوف والعلوم الدينية وهزى اليك بجذع النخلة بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات حلالا فكلى واشربى من خوان الافضال و بحر النوال من مائدة أبيت عند ربى يطعمنى و يسقينى وقرى عينا بأنوار الجمال فى حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما كما قيل الدنيا يوم ولنا فيه صوم أى عن الالتفات لغير الله فأتت به قومها من عادة الجهال انكار أحوال أهل الكمال يا أخت هرون النفس المطمئنة أو الأمارة بناء على أن هرون كان صالحا أو طالحا كان أبوك وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت أمك وهى القالب بغيا تستأنس الى غير عالم الطبيعة التى خلقت لاجلها فأشارت اليه فيه أن هذا القوم هم أهل الاشارات فى المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح فى مريم القالب ليس ابنا لله ولا محلا له ولا نفسه فاختلف الاحزاب فقوم عبدوا الله لاجله وقوم عبدوه طمعا فى جنته وقوم عبدوا الهوى وذلك قوله فويل للذين كفروا أسمع بهم أى بأهل الله وأبصر يوم يأتوننا فانهم بالله يسمعون وبه يبصرون ويغنى

﴿واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه

وذلك لما رأى من كتمانها الذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه وذلك لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها ودأب نظرها ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك فلما دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك فأفضت ذلك الى أختها وأختها حينئذ حبلى وقد بشرت بيحيى فلما التقيا وجدت أم يحيى ما فى بطنها خر لوجهه ساجدا معترفا لعيسى فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الاكاف شئ فانطلق يوسف بها حتى اذا كان متاخما لأرض مصر فى منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس ألجأها الى آرى حمار يعنى مذود الحمار وأصل نخلة وذلك فى زمان أحسبه بردا أو حرا «الشك من أبى جعفر» فاشتد على مريم المخاض فلما وجدت منه شدة التجأت الى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة قاموا صفوفا محدقين بها وقد روى عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا وذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما حضر ولادها يعنى مريم ووجدت ما تجد المرأة من الطلق خرجت من المدينة مغربة من ايلياء حتى تدركها الولادة الى قرية من ايلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم فأجاءها المخاض الى أصل نخلة اليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء فوضعته عندها ✻ وقال آخرون بل خرجت لما حضر وضعها ما فى بطنها الى جانب المحراب الشرقى منه فأتت أقصاه فألجأها المخاض الى جذع النخلة وذلك قول السدى وقد ذكرت الرواية به قبل حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى المغيرة بن عثمان قال سمعت ابن عباس يقول ما هى الا أن حملت فوضعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال وأخبرنى المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول ليس الا أن حملت فولدت وقوله ياليتنى مت قبل هذا ذكر أنها قالت ذلك فى حال الطلق استحياء من الناس كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قالت وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا تقول ياليتنى مت قبل هذا الكرب الذى أنا فيه والحزن بولادتى المولود من غير بعل وكنت نسيا منسيا شيأ أنسى فترك طلبه كخرق الحيض التى اذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شئ نسى وترك ولم يطلب فهو نسى ونسى بفتح النون وكسرها هما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا وبالكسر قرأت عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وبالفتح قرأه أهل الكوفة ومنه قول الشاعر

كأن لها فى الارض نسيا تقصه ✻ اذا ما غدت وان تحدثك تبلت

كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق و يعقوب وكلا جعلنا نبيا و وهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا
نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا و وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان
رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر فى (٥١) الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا
عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم
من النبيين من ذرية آدم وممن
حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم
واسرائيل وممن هدينا واجتبينا
اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا
سجدا وبكيا فخلف من بعدهم
خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا الا
من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ
جنات عدن التى وعد الرحمن
عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا
لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة
التى نورث من عبادنا من كان تقيا
وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين
أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما
كان ربك نسيا رب السموات
والارض وما بينهما فاعبده
واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا
۞ القرا آت ربى انه بفتح الياء أبو
جعفر ونافع وأبو عمرو مخلصا بفتح
اللام حمزة وعلى وخلف وعاصم
غير المفضل الباقون بكسرها
ابراهام وما بعده هشام والاخفش
عن ابن ذكوان اذا تتلى بالياء
التحتانية وكذلك فى سورة الحج
قتيبة نورث بالتشديد رويس
۞ الوقوف ابراهيم ط نبيا ٥
شيأ ٥ سويا ٥ لا تعبد الشيطان
ط عصيا ٥ وليا ٥ يا ابراهيم
٥ ج وقد يوصل و يوقف على آلهتى
مليا ٥ سلام عليك ج للابتداء بسين الاستقبال مع أن القائل واحد لك ربى ط حفيا ٥ وأدعو ربى ز لانقطاع النظم والوصل أولى
لان عسى لطمع الاجابة فيوصل بالدعاء شقيا ٥ من دون الله لا لأن ما بعده جواب لما و يعقوب ط نبيا ٥ عليا ٥ موسى ز للابتداء
بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ٥ نجيا ٥ نبيا ٥ اسماعيل ز لما مر نبيا ٥ ج للآية مع العطف والزكاة ص مرضيا
٥ ادريس ز نبيا ٥ عليا ٥ مع نوح ز على تقدير ومن ذريته ابراهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية

و يعنى بقوله تحته تطلبه لانها كانت نسيته حتى ضاع ثم ذكرته فطلبته و يعنى بقوله تبلت تحسن
وتصدق ولو وجه النسى الى المصدر من النسيان كان صوابا وذلك أن العرب فيما ذكرعنها تقول
نسيته نسيانا ونسيا كما قال بعضهم من طاعة الرب وعصى الشيطان يعنى وعصيان وكما تقول
أتيته اتيانا وأتيا كما قال الشاعر

أتى الفواحش فيهم معروفة * ويرون فعل المكرمات حراما

وقوله منسيا مفعول من نسيت الشئ كأنها قالت ليتنى كنت الشئ الذى ألقى فترك ونسى
* و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله باليتنى
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لم أخلق ولم أك شيأ حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا
أسباط عن السدى وكنت نسيا منسيا يقول نسيا نسى ذكرى ومنسيا تقول نسى أثرى فلا يرى
لى أثر ولا عين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكنت نسيا منسيا
أى شيأ لا يعرف ولا يذكر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة
قوله وكنت نسيا منسيا قال لا أعرف ولا يدرى من أنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس نسيا منسيا قال هو السقط حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله باليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لم أكن
فى الارض شيأ قط ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك
تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) اختلفت القراء فى قراءة ذلك
فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق فناداها من تحتها بمعنى فناداها جبرائيل من بين يديها على
اختلاف منهم فى تأويله فمن متأول منهم اذا قرأه من تحتها كذلك ومن متأول منهم أنه عيسى
وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة فناداها من تحتها بفتح
التاء من من تحت بمعنى فناداها الذى تحتها على أن الذى تحتها عيسى وأنه الذى نادى أمه ذكر من
قال الذى ناداها من تحتها الملك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن
قال سمعت ابن عباس قرأ فناداها من تحتها يعنى جبرائيل حدثنى عبد الله بن أحمد بن يونس
قال أخبرنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن ميمون الأودى قال الذى ناداها الملك حدثنا ابن
بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأ فخاطبها
من تحتها حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن
ابراهيم عن علقمة أنه قرأ فخاطبها من تحتها حدثنا الرفاعى قال ثنا وكيع عن أبيه عن
الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأها كذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال
ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك فناداها من تحتها قال جبرائيل حدثنا ابن بشار قال ثنا

آدم أو على اسرائيل والأصح أن الكل عطف على ذرية آدم والوقف على قوله واجتبينا لئلا يحتاج الى الحذف وليرجع ثناء السجود والبكاء الى الكل وبكيا ٥ غيا ٥ شيأ ٥ لا بناء على أن جنات بدل من الجنة بالغيب ط مأتيا ٥ سلاما ٥ وعشيا ٥ تقيا ٥ بأمر ربك ج لاختلاف الجملتين ذلك ج لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسيا ج ٥ لان ما بعده بدل أو خبر مبتدا محذوف لعبادته ط سميا ٥ ۞ التفسير (٥٣) ان الذين أثبتوا معبودا سوى الله منهم من أثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الأوثان وكلا الفريقين ضال الا أن الفريق الثاني أضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدرجا من الاسهل الى الأصعب وانما بدأ بقصة ابراهيم عليه السلام لانه كان أبا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وكمال دينه فكأنه قال لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على أبيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض ولما كان هذا الاعتراض صار الوقف على ابراهيم مطلقا وجوز في الكشاف أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والصديق من أبنية المبالغة فهي اما مبالغة صادق لأن ملاك أمر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا أيضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه والحاصل أنه كان صادقا جدا في أقواله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله وعند الناس بحيث جعل واسطة بينه وبين عباده وقيل ان كان بمعنى صار والأصح أنه بمعنى الثبوت والاستمرار أي انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء في يا أبت عوض من ياء الاضافة وقد مر في أول سورة يوسف أورد على أبيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالة لقلب أبيه وامتثالا لأمر ربه على ما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوحى الله الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك

أبو عاصم عن سفيان عن جويبر عن الضحاك مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فناداها من تحتها أي من تحت النخلة **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فناداها جبرائيل من تحتها أن لا تحزني **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فناداها من تحتها قال الملك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فناداها من تحتها يعني جبرائيل كان أسفل منها **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فناداها من تحتها قال ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها * ذكر من قال ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فناداها من تحتها قال عيسى بن مريم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن فناداها من تحتها ابنها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال الحسن هو ابنها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب ابن منبه فناداها عيسى من تحتها أن لا تحزني **حدثني** أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن عجلان عن سعيد بن جبير قوله فناداها من تحتها قال عيسى أما تسمع الله يقول فأشارت اليه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فناداها من تحتها قال عيسى ناداها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا **حدثت** عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب قال الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها ودخل من فيها * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال الذي ناداها ابنها عيسى وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل فرده على الذي هو أقرب اليه أولى من رده على الذي هو أبعد منه ألا ترى أنه في سياق قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا يعني به فحملت عيسى فانتبذت به ثم قيل فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه ولعلة أخرى وهي قوله فأشارت اليه ولم تشر اليه ان شاء الله الا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته اياها بقوله لها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم اليه ولو كان ذلك قولا من جبرائيل لكان خليقا أن يكون في ظاهر الخبر مبينا أن عيسى سينطق ويحتج عنها للقوم وأمر منه لها بأن تشير اليه

للقوم

ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري فقوله (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) منسي المفعول لا منويه فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة أو موصوفة أي الذي لا يسمع أو معبودا لا يسمع و(شيأ) مفعول به من قوله أغن عني وجهك أي ادفعه ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي شيأ من الاغناء وعلى هذا يجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين أي لا يسمع شيأ من السماع الى آخره (٥٣) وحاصل الدليل أن العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الأشرف الموجودات لا أخسها وهو الجماد غاية عذرهم عن ذلك هي أنها تماثيل أشياء يتصور نفعها أو ضرها كالكواكب وغيرها فيقال لهم أليس الكواكب وسائر الممكنات تنتهي في الاحتياج الى واجب الوجود فاذا جعل شيء من هذه الاشياء معبودا فقد شورك الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسائط من البين أدخل في الاخلاص وأقرب الى الخلاص وقوله (يا أبت اني قد جاءني) تنبيه ونصيحة وفيه أن هذا العلم تجدد له حصوله فيكون أقرب الى التصديق وفي قوله (من العلم ما لم يأتك) فائدة هي أنه لم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب أني في مفازة وعندي معرفة بالدلالة دونك (فاتبعني أهدك صراطا سويا) مستويا مؤديا الى المقصود وهو صلاح المعاش والمعاد استدل أرباب التعليم بالآية بأنه لا بد من الاتباع وأجيب بأنه لا يلزم من اتباع النبي اتباع غيره والانصاف أن هذا الطريق أسهل ثم أكد المعنى المذكور بنصيحة أخرى زاجرة عما هو عليه فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فان عبادة الأصنام هي طاعة الشيطان ثم أسقط حصة نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لبني آدم بل قدم حق ربه فقال (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) حين ترك أمره بالسجود عنادا واستكبارا لا نسيانا وخطأ نبهه بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وأن الرحمن مصدر كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوي وهذا القدر كاف من التنبيه لمن تأمل وأنصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال (يا أبت اني أخاف) وفيه مع التخويف من سوء العاقبة أنواع من الادب اذ ذكر الخوف والمس ونكر العذاب قال الفراء معنى أخاف أعلم والأكثرون على أنه محمول

للقوم اذا سألوها عن حالها وحاله فاذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بينا فبين أن كلتا القراءتين أعني من تحتها بالكسر ومن تحتها بالفتح صواب وذلك أنه اذا قرئ بالكسر كان في قوله فناداها ذكر من عيسى واذا قرئ من تحتها بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى فتأويل الكلام اذا فناداها المولود من تحتها أن لا تحزني يا أمه قد جعل ربك تحتك سريا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فناداها من تحتها أن لا تحزني قالت وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج فأقول من زوج ولا مملوكة فأقول من سيدي أي شيء عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام * واختلف أهل التأويل في المعني بالسري في هذا الموضع فقال بعضهم عني به النهر الصغير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول في هذه الآية قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قد جعل ربك تحتك سريا وهو نهر عيسى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال السري النهر الذي كان تحت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سريا حدثني أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن ميمون الأودي قال في هذه الآية قد جعل ربك تحتك سريا قال السري نهر يشرب منه حدثنا يعقوب وأبو كريب قالا ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن ميمون في قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال هو الجدول حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سريا قال نهر بالسريانية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج نهر الى جنبها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن في قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال كان سريا فقال حميد بن عبد الرحمن ان السري الجدول فقال غلبتنا عليك الأمراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قد جعل ربك تحتك سريا قال هو الجدول النهر الصغير وهو بالنبطية سري حدثني أبو حميد الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن عجلان قال سألت سعيد بن جبير عن السري قال نهر حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال النهر الصغير حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال هو النهر الصغير يعني الجدول يعني

على ظاهره لان ابراهيم عليه السلام لم يكن جازما بموت أبيه على الكفر والالم يشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى ذلك الغير مع تألم قلبه من ذلك كما يقال أنا خائف على ولدى وذكروا فى الولى وجوها منها أنه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان فى النار والمعية سبب الولاية أو مسببها غالبا وأطلاق أحدهما على الآخر مجاز وليس هنالك ولاية حقيقية لقوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو انى كفرت بما أشركتمون من قبل ومنها أن حمل العذاب على الخذلان ومنها أن الولى بمعنى التالى والتابع قال جار الله جعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أتباعه وأوليائه أكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان فى مقابلة رضا الرحمن وقال عز من قائل ورضوان من الله أكبر واذا كان رضوان الله أكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان أعظم من عذاب النار ثم ان الشيخ قابل ملاطفات ابراهيم بالفظاظة والغلظة قائلا (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) فقدم الخبر على المبتدا اشعارا بأنه عنده أعنى وفى هذا الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وفى قوله يا ابراهيم دون أن يقول يا بنى فى مقابلة يا أبت تهاون به كيف لا وقد صرح بالاهانة قائلا (لئن لم تنته لأرجمنك) باللسان أى لأشتمنك أو باليد أى لأقتلنك وأصله الرمى بالرجام ثم ههنا اضمار أى فاحذرنى (واهجرنى مليا) أى زمانا طويلا من الملاوة أو أراد مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل أن أثخنك بالضرب فلما رأى ابراهيم اصرار أبيه على التمرد والجهالة (قال سلام عليك) يعنى سلام توديع ومتاركة كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه أن متاركة المنصوح اذا ظهر منه آثار اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ورفقا به بدليل قوله (سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا) بليغا فى البر والالطاف وقد مر فى آخر الأعراف احتج بالآية بعض من طعن فى عصمة الأنبياء قال انه استغفر لأبيه الكافر وهو منهى عنه لقوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ولقوله فى الممتحنة قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التأسى به والجواب لعل ابراهيم عليه السلام فى شرعه لم يجد ما يدل على القطع بتعذيب الكافر أو لعل هذا الفعل منه من باب ترك الأولى أو لعل الاستغفار بمعنى الاستبطاء كقوله قل الذين

قوله قد جعل ربك تحتك سريا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال جدول صغير بالسريانية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تحتك سريا الجدول الصغير من الانهار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد جعل ربك تحتك سريا والسرى هو الجدول تسميه أهل الحجاز حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله سريا قال هو جدول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قد جعل ربك تحتك سريا يعنى ربيع الماء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قد جعل ربك تحتك سريا والسرى هو النهر * وقال آخرون عنى به عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قد جعل ربك تحتك سريا والسرى عيسى نفسه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد جعل ربك تحتك سريا يعنى نفسه قال وأى شئ أسرى منه قال والذين يقولون السرى هو النهر ليس كذلك النهر لو كان النهر لكان انما يكون الى جنبها ولا يكون النهر تحتها * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى به الجدول وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذى جعله عندها وقال لها وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى من هذا الرطب واشربى من هذا الماء وقرى عينا بولدك والسرى معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ومنه قول لبيد

فتوسطا عرض السرى وصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

ويروى (١) فسما مسجورة وروى أيضا فغادرا وقوله وهزى اليك بجذع النخلة ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا وأمرها أن تهزه وذلك فى أيام الشتاء وهزها اياه كان تحريكه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة قال حركيها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وهزى اليك بجذع النخلة قال كان جذعا يابسا فقال لها هزيه تساقط عليك رطبا جنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقول كانت نخلة يابسة حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة فكان الرطب يتساقط عليها وذلك فى الشتاء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وهزى اليك بجذع النخلة وكان جذعا منها مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وأجرى لها فى المحراب نهر فتساقطت النخلة رطبا جنيا فقال لها كلى واشربى وقرى عينا * وقال آخرون بل معنى ذلك وهزى اليك النخلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان

(١) كذا فى نسخة الخط بغير نقط ولم نقف على هذه الرواية فحررها كتبه مصححه

منوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله والمعنى سأسأل ربى أن لا يخزيك بكفرك مادمت حيا والجواب فى الحقيقة مامر فى آخر سورة التوبة فى قوله عزمن قائل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه والمنع من التأسى لايدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من خصائصه كما أن كثيرا من الأمور كانت مباحة للرسول صلى الله عليه وسلم وهى محرمة علينا ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال (وأعتزلكم) أى أهاجر الى الشام (و) أعتزل (ماتدعون) أى ماتعبدون (من دون الله) وقد يعبر بالدعاء عن العبادة لانه منها ومن وسائطها يدل على هذا التفسير قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون أما قوله (وأدعو ربى) فيحتمل معنيين العبادة والدعاء كما يجىء فى سورة الشعراء وفى قوله (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) تعريض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد من لفظة عسى قال العلماء ماخسر على الله أحد فان ابراهيم لما ترك أباه الكافر وقومه فرارا بدينه عوضه الله أولادا مؤمنين أنبياء وذلك قوله (ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم) شيأ (من رحمتنا) عن الحسن هى النبوة وعن الكلبى المال والولد والأظهر أنها عامة فى ذلك كل خير دينى ودنيوى ولسان الصدق الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية وقدمر تحقيق الاضافة فى أول يونس فى قوله قدم صدق تبرأ ابراهيم من أبيه ابتغاء مرضاة الله فسماه الله أبا المؤمنين ملة أبيكم ابراهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم وأسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا وسلاما وأشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فأشركه الله فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلوات الخمس وفى حق سارة كما قال تعالى وابراهيم الذى وفى فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعادى كل الخلق فى الله حين قال فانهم عدو لى إلا رب العالمين فلاجرم اتخذه الله خليلا ثم قفى قصة ابراهيم بقصة موسى عليه السلام لأنه تلوه فى الشرف والمخلص بكسر اللام الذى أخلص العبادة عن الشرك والرياء وأخلص وجهه لله وبالفتح الذى أخلصه الله و (كان رسولا نبيا) الرسول الذى معه كتاب من الانبياء والنبى الذى ينبئ عن الله عزوجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الأعم قبل الاخص الا أن رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله

قال قال مجاهد فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة قال النخلة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عيسى بن ميمون عن مجاهد فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة قال العجوة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن ميمون أنه تلا هذه الآية وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال فقال عمرو مامن شئ خير للنفساء من التمر والرطب وأدخلت الباء فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة كما يقال زوجتك فلانة وزوجتك بفلانة وكما قال تنبت بالدهن بمعنى تنبت الدهن وانما تفعل العرب ذلك لأن الافعال يكنى عنها بالباء فيقال اذ كنيت عن ضربت عمرا فعلت به وكذلك كل فعل فلذلك تدخل الباء فى الافعال وتخرج فيكون دخولها وخروجها بمعنى فمعنى الكلام وهزى اليك جذع النخلة وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك وهزى اليك رطبا بجذع النخلة بمعنى على جذع النخلة وجها صحيحا ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك ومن الشاهد على دخول الباء فى موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر

بواد يمان ينبت السدر صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

واختلف القراء فى قراءة قوله تساقط فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة تساقط بالتاء من تساقط وتشديد السين بمعنى تتساقط عليك النخلة رطبا جنيا (١) ثم تدغم احدى التاءين فى الأخرى فتشدد وكأن الذين قرؤا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام الى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط النخلة عليك رطبا وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة تساقط بالتاء وتخفيف السين ووجه معنى الكلام الى مثل ماوجه اليه مشددوها غير أنهم خالفوهم فى القراءة وروى عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك يساقط بالياء حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير بن حازم عن أبى اسحق قال سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك وكأنه وجه معنى الكلام الى وهزى اليك بجذع النخلة يتساقط الجذع عليك رطبا جنيا وروى عن أبى نهيك أنه كان يقرؤه تسقط بضم التاء واسقاط الألف حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرؤه كذلك وكأنه وجه معنى الكلام الى تسقط النخلة عليك رطبا جنيا

* قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان هذه القراآت الثلاث أعنى تساقط بالتاء وتشديد السين وبالتاء وتخفيف السين وبالياء وتشديد السين قراآت متقاربات المعانى قد قرأ بكل واحدة منهن قراء أهل معرفة بالقرآن فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وذلك أن الجذع اذا تساقط رطبا وهو ثابت غير مقطوع فقد تساقطت النخلة رطبا واذا تساقطت النخلة رطبا فقد تساقطت النخلة بأجمعها جذعها وغير جذعها وذلك أن النخلة مادامت قائمة على أصلها فانما هى جذع وجريد وسعف فاذا قطعت صارت جذعا فالجذع الذى أمرت مريم بهزه لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعا مقطوعا غير السدى وقد زعم أنه عاد بهزها اياه نخلة فقد

(١) عبارة الجلالين بتاءين قلبت الثانية سينا وأدغمت فى السين فتأمل كتبه مصححه

صار معناه ومعنى من قال كان المتساقط عليها رطبا النخلة واحدا فتبين بذلك صحة ما قلنا * وقوله جنيا يعني مجنيا وانما كان أصله مفعولا فصرف الى فعيل والمجني المأخوذ طريا وكل ما أخذ من ثمرة أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتني ولذلك قيل فلان يجتني الكمأة ومنه قول ابن أخت جذيمة

هذا جناي وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

القول في تأويل قوله تعالى (فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) يقول تعالى ذكره فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك واشربي من ماء السري الذي جعله ربك تحتك ولا تخشي جوعا ولا عطشا وقري عينا يقول وطيبي نفسا وافرحي بولادتك اياي ولا تحزني ونصبت العين لانها هي الموصوفة بالقرار وانما معنى الكلام ولتقرر عينك بولادك ثم حول الفعل عن العين الى المرأة صاحبة العين فنصبت العين اذ كان الفعل لها في الاصل على التفسير نظير ما فعل بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وانما هو فان طابت أنفسهن لكم وقوله وضاق بهم ذرعا ومنه قوله يساقط عليك رطبا جنيا انما هو يساقط عليك رطب الجذع فحول الفعل الى الجذع في قراءة من قرأه بالياء وفي قراءة من قرأه تساقط بالتاء معناه يساقط عليك رطب النخلة ثم حول الفعل الى النخلة * وقد اختلفت القراء في قراءة قوله وقري فأما أهل المدينة فقرؤه وقري بفتح القاف على لغة من قال قررت بالمكان أقر به وقررت عينا أقر به قرورا وهي لغة قريش فيما ذكر لي وعليها القراءة وأما أهل نجد فانها تقول قررت به عينا أقر به قرارا وقررت بالمكان أقر به فالقراءة على لغتهم وقري عينا بكسر القاف والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف وقوله فاما ترين من البشر أحدا يقول فان رأيت من بني آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شيء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتكه فقولي اني نذرت للرحمن صوما يقول فقولي اني أوجبت على نفسي لله صمتا أن لا أكلم أحدا من بني آدم اليوم فلن أكلم اليوم انسيا

* وبنحو الذي قلنا في معنى الصوم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه قال سمعت أنس بن مالك يقول في هذه الآية اني نذرت للرحمن صوما صمتا حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني المغيرة بن عثمان قال سمعت أنس بن مالك يقول اني نذرت للرحمن صوما قال صمتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اني نذرت للرحمن صوما قال يعني بالصوم الصمت حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمي قال سمعت أنسا قرأ اني نذرت للرحمن صوما وصمتا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة اني نذرت للرحمن صوما أما قوله صوما فانها صامت من الطعام والشراب والكلام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال

سمعت

في طه رب هرون وموسى (الايمن) من اليمن أي من ناحية اليمنى من موسى أو هو من اليمن صفة للطور أو للجانب (وقربناه) حال كونه (نجيا) أي مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن أبي العالية أن التقريب حسي قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة والأول أظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب وللملائكة انهم مقربون (ووهبنا له من رحمتنا) أي من أجلها أي بعض رحمتنا فيكون (أخاه) بدلا وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا او (نبيا) حال من هرون قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى فتنصرف الهبة الى معاضدته وموازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من أهلي (وخص اسمعيل بن ابراهيم بصدق الوعد وان كان الانبياء كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله أو الناس لانه المشهور المتواصف من خصاله من ذلك أنه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعاده الى أي وقت ينتظره فقال اذا واعده في وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى وكان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء بالاحسان الديني والدنيوي بمن هو أقرب أولى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ابدأ بمن تعول ويحسن أن يقال أهله أمته كلهم أقارب أو أباعد من حيث انه يلزمه في جميعهم ما يلزم المرء في أهله خاصة من قضاء حقوق النصيحة والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلاة الصلوات المفروضة والمندوبة كصلاة التهجد وغيرها وأما الزكاة فالأقرب أنها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس أنها طاعة الله والاخلاص لان فاعلها يزكو بها عند الله وأما ادريس فالأصح أنه اسم عجمي بدليل منع الصرف كما مر مرارا في آدم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل معناه بالأعجمية قريب من الدراسة فظنه القائل مشتقا منها وفي رفعته أقوال منها أن المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل عليه ثلاثون صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب

سمعت الضحاك يقول في قوله نذرت للرحمن صوما قال كان من بني اسرائيل من اذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام إلا من ذكر الله فقال ذلك لها لذلك فقالت اني أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام إلا من ذكر الله فلما كلموها أشارت اليه فقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فأجابهم فقال اني عبد الله آتاني الكتاب حتى بلغ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر فقال بعضهم أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة وذلك أنها جاءت وهي أيم بولد فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها ذكر من قال ذلك حدثنا هرون بن اسحق الهمداني قال ثنا مصعب ابن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة قال كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك فقال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج يعني بذلك مريم عليها السلام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم لا تحزني قالت وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شئ عذري عند الناس ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا قال هذا كله كلام عيسى لأمه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فاني سأكفيك الكلام * وقال آخرون انما كان ذلك آية لمريم وابنها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اني نذرت للرحمن صوما قال في بعض الحروف صمتا وذلك أنك لا تلقى امرأة جاهلة تقول نذرت كما نذرت مريم ألا تكلم يوما الى الليل وانما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها ولا يحل لأحد أن ينذر صمت يوم الى الليل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقرأ اني نذرت للرحمن صوما وكانت تقرأ في الحرف الاول صمتا وانما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها * وقال آخرون بل كانت صائمة في ذلك اليوم والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهي صائمة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاما ترين من البشر أحدا يكلمك فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي فقيل لها لا تزيدي على هذا القول في تأويل قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) يقول تعالى ذكره فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها وسلمت لأمر الله وحملته حتى أتت به قومها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة

ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه أخنوخ من أجداد نوح لانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس ولهم نوادر في استخراج طوالع المواليد ينسبونه اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى الجنة وهو حي لم يمت * وقال آخرون رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل من الملائكة فسأله أن يكلم ملك الموت حتى يؤخر قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان في السماء (٥٧) الرابعة اذا ملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس في السماء الرابعة وأنا أقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فرأى ملك الموت فقبض روحه هنالك وعن ابن عباس أنه رفع الى السماء السادسة وعن الحسن المراد أنه رفع الى الجنة ولا شئ أعلى منها (أولئك) المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) هي للتبعيض وكذا في قوله (وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل) والمراد بمن هو من ذرية آدم ادريس لقربه منه وبذرية من حمل مع نوح ابراهيم عليه السلام لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابراهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم لان مريم من ذريته (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفي هذا الترتيب تنبيه على أن هؤلاء الانبياء اجتمع لهم مع كمال الأحساب شرف الأنساب وأن جميع ذلك بواسطة هداية الله وعزية اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت الذين خبرا لأولئك كان اذا تتلى كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت في الوقوف سائر الوجوه من قرأ يتلى بالتذكير لان تأنيث الآيات غير حقيقي والفاصل حاصل والبكى جمع باك فعول كسجود في ساجد أبدلت الواو ياء وأدغمت وكسر ما قبلها للمناسبة ومن زعم أنه مصدر فقد دسها لانها قرينة سجدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال أبو مسلم أراد بالآيات التي فيها ذكر العذاب وقال غيره اطلاق الآيات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل آية اذا فكر فيها المفكر صح أن يسجد عندها و يبكي قلت لعل المراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة لان القرآن حينئذ لم يكن منزلا

واختلفوا فى السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلاة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا به ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان فى حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا متهيئين للسجود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بحزن فانه نزل بحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وقالت العلماء يدعو فى سجدة التلاوة بما يليق بها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ ما فى هذه السورة قال اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك ولما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا لغيرهم فى سيرتهم وصف أضدادهم لتنفير الناس عن طريقتهم قائلا (فخلف من بعدهم خلف) وهو عقب السوء كما مر فى آخر الأعراف فاضاعة الصلاة فى مقابلة الخرور سجدا واتباع الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم النخعى ومجاهد أضاعوها بالتأخير وعن على رضى الله عنه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو فى هذه الأمة (فسوف يلقون غيا) قال جار الله كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف أى جزاء غى كقوله يلق أثاما أى مجازاة آثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه أوديتها احتج بعضهم بقوله (الامن تاب وآمن) على أن تارك الصلاة كافر والالم يحتج الى تجديد الايمان والجواب أنه اذا كان المذكورون هم الكفرة أو اليهود كما روينا عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتجت الأشاعرة فى أن العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير وأجاب الكعبى بأنه عطف الايمان على التوبة مع أنها من الايمان ومنع من أن التوبة من الايمان ولكنها شرطه لانها العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف ههنا وقال فى الفرقان وعمل عملا صالحا لانه أوجز فى ذكر المعاصى فأوجز فى التوبة وأطال هنالك فأطال هنالك وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره ويؤمن

عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال أنساها يعنى مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى حتى اذا كلمها يعنى عيسى وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به الى قومها ﴿ وقال السدى فى ذلك ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بنى اسرائيل أن مريم قد ولدت فأقبلوا يشتدون فدعوها فأتت به قومها تحمله وقوله قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا يقول تعالى ذكره فلما رأوا مريم ورأوا معها الولد الذى ولدته قالوا لها يامريم لقد جئت بأمر عجيب وأحدثت حدثا عظيما وكل عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه كما قال الراجز

قد أطعمتنى دقلا حجريا ﴿ قد كنت تفرين به الفريا

﴿ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى فريا قال عظيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جئت شيأ فريا قال عظيما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لقد جئت شيأ فريا قال عظيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما رأوها ورأوه معها قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا أى الفاحشة غير المقاربة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ياأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل لها ياأخت هرون ومن كان هرون هذا الذى ذكره الله وأخبر أنهم نسبوا مريم الى أنها أخته فقال بعضهم قيل لها ياأخت هرون نسبة منهم لها الى الصلاح لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هرون وليس بهرون أخى موسى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ياأخت هرون قال كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل يسمى هرون فشبهوها به فقالوا ياشبيهة هرون فى الصلاح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ياأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحا محببا فى عشيرته وليس بهرون أخى موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمون هرون من بنى اسرائيل حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى صدقة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن كعبا قال ان قوله ياأخت هرون ليس بهرون أخى موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال ياأم المؤمنين ان كان

النبى

النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر والا فاني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أخت هرون قال اسم واطأ اسما كم بين هرون وبينهما من الأمم أمم كثيرة حدثنا أبو كريب وابن المثنى وسفيان وابن وكيع وأبو السائب قالوا ثنا عبد الله بن ادريس الأودي قال سمعت أبي يذكر عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل نجران فقالوا لي ألستم تقرؤن يا أخت هرون قلت بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حوائجه الى أهل نجران فقالوا أليس نبيك يزعم أن هرون أخو مريم هو أخو موسى فلم أدر ما أرد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأسماء من كان قبلهم * وقال بعضهم عنى به هرون أخو موسى ونسبت مريم الى أنها أخته لانها من ولده يقال للتميمي يا أخا تميم وللمضري يا أخا مضر ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي يا أخت هرون قال كانت من بني هرون أخي موسى وهو كما تقول يا أخا بني فلان * وقال آخرون بل كان ذلك رجلا منهم فاسقا معلن الفسق فنسبوها اليه * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه وأنها نسبت الى رجل من قومها وقوله ما كان أبوك امرأ سوء يقول ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش وما كانت أمك بغيا يقول وما كانت أمك زانية كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وما كانت أمك بغيا قال زانية وقال وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لان ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال فجرى مجرى امرأة حائض وطالق وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم ملحفة جديد وامرأة قتيل * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ يقول تعالى ذكره فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم ثم أشارت لهم الى عيسى أن كلموه كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما قالوا لها ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قالت لهم ما أمرها الله به فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه الى عيسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأشارت اليه قال أمرتهم بكلامه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فأشارت اليه يقول أشارت اليه أن كلموه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فأشارت اليه أن كلموه وقوله قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا يقول تعالى ذكره قال قومها لها كيف نكلم من وجد في المهد وكان

ولم يدخل بعد وقت الصلاة أو كانت المرأة حائضا ثم مات فهو من أهل النجاة مع أنه لم يعمل صالحا ومعنى (لا يظلمون شيأ) لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم بل يضاعف لهم تفضلا تنبيها على أن تقدم الكفر لا يضرهم بعد أن يتوبوا ويحتمل أن ينتصب شيأ على المصدر أي شيأ من الظلم ومعنى (جنات عدن) قد مر في سورة التوبة في قوله ومساكن طيبة في جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلاف ما عليه جنات الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها ويحتمل انتصابها على (٥٩) الاختصاص وكذا انتصاب التي قال جار الله عدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي ومعنى (بالغيب) مع الغيبة أي وعدوها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو الباء للسببية أي وعدها عباده بسبب تصديق الغيب والايمان به خلاف حال المنافقين وقوله (انه كان وعده مأتيا) بالاول أنسب وهو مفعول بمعنى فاعل أو على أصله لان ما أتاك فقد أتيته وجوز في الكشاف أن يكون من قولك أتى اليك احسانا أي كان وعده مفعولا منجزا وقوله (الا سلاما) استثناء متصل على التأويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم في يمين اللغو في البقرة وفي المائدة أي ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عتابك السيف أو استثناء منقطع أي لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز أن يكون متصلا بتأويل آخر وهو أن معنى السلام الدعاء بالسلامة وأهل دار السلام عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وفي الآية تنبيه ظاهر على وجوب اتقاء اللغو حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما أحبوه في الدنيا فلذلك ذكر أساور من الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت للعجم والارائك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة أشراف اليمن ولا شئ كان أحب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك قائلا (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير أي يأكلون على مقدار الغداة الى

العشى" وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله (تلك الجنة التى نورث) كقوله في الاعراف ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها وهى استعارة أى تبقى عليهم الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث منه . قال القاضى فى الآية دلالة على أن الجنة تختص بدخولها من كان متقيا غير مرتكب للكبائر وأجيب بمنع الاختصاص وبأنه يصدق على صاحب الكبيرة أنه اتقى الكفر * سئل ههنا ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث كلام الله وقوله بعده وما نتنزل الا بأمر ربك خطاب ليس من كلام الله فما وجه العطف بينهما وأجيب بأنه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح فظاهر قوله وما نتنزل الا بأمر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول كما روى أن قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهل يجدونه فى كتابهم فسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده فى كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رحمان اليمامة عن خصال ثلاث فلم يعرف فاسألوه عنهن فان أخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فاسألوه عن فتية أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبطأت عنى حتى ساءظنى واشتقت اليك قال كنت أشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله الآية وأنزل قوله ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا وسورة الضحى ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل أى نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بأمر الله عز وجل ثم أكد جبرائيل ما ذكره بقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) من الجهات والاماكن أو من الأزمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من المكان والزمان الذى نحن فيه فلا نتمالك أن ننتقل من جهة الى جهة أو من زمان الى زمان الا بأمر ربك ومشيئته وقيل له ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة (وما بين ذلك) وهو ما بين النفختين أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها أو ما قبل وجودنا وبعد فنائنا وقيل الارض التى بين أيدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بين

فى قوله من كان فى المهد صبيا معناها التمام لا التى تقتضى الخبر وذلك شبيه المعنى بكان التى فى قوله هل كنت إلا بشرا رسولا وانما معنى ذلك هل أنا الا بشر رسول وهل وجدت أو بعثت وكما قال زهير بن أبى سلمى (١) أجزت اليه حرة أرحبية * وقد كان لون الليل مثل الارندج يعنى وقد صار أو وجد وقيل انه عنى بالمهد فى هذا الموضع حجر أمه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كان فى المهد صبيا والمهد الحجر * قال أبو جعفر وقد بينا معنى المهد فيما مضى بشواهده فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) يقول تعالى ذكره فلما قال قوم مريم لها كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم قال عيسى لهم متكلما عن أمه انى عبد الله آتانى الكتاب وكانوا حين أشارت لهم الى عيسى فيما ذكر عنهم غضبوا كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما أشارت لهم الى عيسى غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبى أشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فأجابهم عيسى عنها فقال لهم انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال لهم انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا فقرأ حتى بلغ ولم يجعلنى جبارا شقيا فقالوا ان هذا لأمر عظيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله لم يتكلم عيسى الا عند ذلك حين قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وقوله آتانى الكتاب يقول القائل أو آتاه الكتاب والوحى قبل أن يخلق فى بطن أمه فان معنى ذلك بخلاف ما ظن وانما معناه وقضى يوم قضى أمور خلقه الى أن يؤتينى الكتاب كما حدثنى بشر ابن آدم قال ثنا الضحاك يعنى ابن مخلد عن سفيان عن سماك عن عكرمة قال آتانى الكتاب قال قضى أن يؤتينى الكتاب فيما مضى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا سفيان عن سماك عن عكرمة فى قوله انى عبد الله آتانى الكتاب قال القضاء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة فى قول الله انى عبد الله آتانى الكتاب قال قضى أن يؤتينى الكتاب وقوله وجعلنى نبيا وقد بينت معنى النبى واختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته وكان مجاهد يقول فى معنى النبى وحده ما حدثنا به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا

---

(١) الذى فى ديوان زهير زجرت عليه قال شارحه أى على الطريق فتأمل كتبه مصححه

الحسن

الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال النبي وحده الذي يكلم و ينزل عليه الوحي ولا يرسل وقوله وجعلني مباركا اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه وجعلني نفاعا ذكر من قال ذلك حدثني سليمن بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي قال ثنا العلاء عن عائشة امرأة ليث عن ليث عن مجاهد وجعلني مباركا قال نفاعا * وقال آخرون كانت بركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذكر من قال ذلك حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي قال سمعت وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له يرحمك الله ما الذي أعلن من علمي قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دين الله الذي بعث به أنبياءه الى عباده وقد اجمع الفقهاء على قول الله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل ما بركته قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان * وقال آخرون معنى ذلك جعلني معلم الخير ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ثنا سفيان في قوله وجعلني مباركا أينما كنت قال معلما للخير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قوله وجعلني مباركا أينما كنت قال معلما للخير حيثما كنت وقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة يقول وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة يعني بالمحافظة على حدود الصلاة واقامتها على ما فرضها علي وفي الزكاة معنيان أحدهما زكاة الاموال أن يؤديها والآخر تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي وقوله ما دمت حيا يقول ما كنت حيا في الدنيا موجودا وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع تطهير البدن من الذنوب لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدخر شيأ لغد فتجب عليه زكاة المال الا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته فيكون ذلك وجها صحيحا

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل عيسى للقوم وجعلني مباركا وبرا أي جعلني برا بوالدتي والبر هو البار يقال هو بر بوالده وبار به وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قراء الامصار وروي عن أبي نهيك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبي نهيك أنه قرأ وبرا بوالدتي من قول عيسى عليه السلام قال أبو نهيك أوصاني بالصلاة والزكاة والبر بالوالدين كما أوصاني بذلك فكأن أبا نهيك وجه تأويل الكلام الى قوله وبرا بوالدتي هو من خبر عيسى عن وصية الله اياه به كما أن قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة من خبره عن وصية الله اياه بذلك فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البر بمعنى عمل الوصية فيه لان الصلاة والزكاة وان كانتا مخفوضتين في اللفظ فانهما بمعنى النصب من أجل أنه مفعول بهما وقوله ولم يجعلني جبارا شقيا يقول ولم يجعلني مستكبرا على الله فيما أمرني به ونهاني عنه شقيا ولكن ذللني لطاعته وجعلني متواضعا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر

السماء والارض وعلى الأقوال فالمراد أنه المحيط بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف يقدم على فعل الا بأمره وقال أبو مسلم في وجه النظم ان قوله وما نتنزل من قول أهل الجنة لمن يحضرتهم أي ما ننزل الجنة الا بأمر ربك أما قوله (وما كان ربك نسيا) فعلى القول الاول معناه أنه ما كان امتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياك لقوله ما ودعك ربك وما قلى وعلى قول غير أبي مسلم هو تأكيد لاحاطته تعالى بجميع الاشياء وأنه لا يجوز عليه أن يسهو عن شيء ما البتة (٦١) وعلى قول أبي مسلم المراد أنه ليس ناسيا الاعمال العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون من تمة حكاية قول أهل الجنة أو ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله (رب السموات والارض) أي بل هو ربهما (وما بينهما فاعبده) الفاء للسببية لان كونه رب العالمين سبب موجب لأن يعبد (واصطبر لعبادته) لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي أوجد الاصطبار لاجل مقاومته ثم أكد وجوب عبادته بقوله (هل تعلم له سميا) أي ليس له مثل ونظير حتى لا تخلص العبادة له وان عدم النظير لا بد أن يصبر على مواجب ارادته وتكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل أراد أنه لا شريك له في اسمه وبيانه من وجهين أحدهما أنهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا أنهم لم يطلقوا لفظ الله على من سواه وعن ابن عباس أراد لا يسمى بالرحمن غيره قلت وهذا صحيح ولعله هو السر في أنه لم يكرر لفظ الرحمن في سورة تكريره في هذه السورة وثانيهما هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل كلا تسمية ۞ التأويل واذكر في الكتاب الازلي ابراهيم القلب انه كان صديقا للتصديق ثلاث مراتب صادق صدق في أقواله وصادق صدق في أخلاقه وأحواله وصديق صدق في قيامه مع الله في الله بالله وهو الفاني عن نفسه الباقي بربه اذ قال لأبيه الروح الذي يعبد صنم الدنيا بتبعية النفس قد جاءني من العلم اللدني ما لم يأتك لما ذكرنا أن القلب محل للفيض الالهي أقبل من الروح كالمرآة فانها تقبل النور لصفائها وينعكس النور عنها لكثافتها وصقالتها وهنالك استحق السر ويعقوب الخفي وناديناه من جانب الطور الأيمن أسمعناه وسمى القلب من جانب طور الروح لا من جانب وادي النفس الذي هو على أيسر وكان يأمر أهله أي الجسم والنفس والقلب

والروح بالصلاة له توجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالزكاة أي تزكية كل واحد منهم من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا في مقعد
صدق عند مليك مقتدر خروا وبقوا بهم على عتبة العبودية سجدا بالتسليم للاحكام الازلية وبكيا ببكاء السمع بذوبان الوجود على نار الشوق
والمحبة عباده بالغيب أي بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ولهم رزقهم
رؤية الله على ما جاء في الحديث وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوا وعشيا وما نتنزل الا بأمر ربك المقدور في علم الله

لنا أنه يعني عيسى كان يقول سلوني فان قلبي لين واني صغير في نفسي مما أعطاه الله من التواضع وحدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص في آيات سلطه الله عليهن وأذن له فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي أرضعت به فقال نبي الله ابن مريم يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد أبي رجاء عن بعض أهل العلم قال لا تجد عاقا الا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا قال ولا تجد سيئ الملكة الا وجدته مختالا فخورا ثم قرأ وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وقوله والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا يقول والأمنة من الله علي من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة من الطعن فيه ويوم أموت من هول المطلع ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا قال يخبرهم في قصة خبره عن نفسه أنه لا أب له وأنه سيموت ثم يبعث حيا يقول الله تبارك وتعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره من أمر الغلام الذي حملته مريم هو عيسى ابن مريم وهذه الصفة صفته وهذا الخبر خبره وهو قول الحق يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحق والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره لا خبر غيره الذي يقع فيه الوهم والشك والزيادة والنقصان على ما كان يقول الله تعالى ذكره فقولوا في عيسى أيها الناس هذا القول الذي أخبركم الله به عنه لا ما قالته اليهود الذين زعموا أنه لغير رشدة وأنه كان ساحرا كذابا ولا ما قالته النصارى من أنه كان لله ولدا وان الله لم يتخذ ولدا ولا ينبغي ذلك له ٭ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ذلك عيسى بن مريم قول الحق قال الله الحق **حدثني** يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثني أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن ابراهيم قال كانوا يقولون في هذا الحرف في قراءة عبد الله قال الذي فيه يمترون قال كلمة الله ولو وجه تأويل ذلك الى ذلك عيسى بن مريم القول الحق بمعنى ذلك القول الحق ثم حذفت الالف واللام من القول وأضيف الى الحق كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وكما قيل وعد الصدق الذي كانوا يوعدون كان تأويلا صحيحا وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق قول الحق برفع القول على ما وصفت من المعنى وجعلوه في اعرابه تابعا لعيسى كالنعت له وليس الامر في اعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى الا أن يكون معنى القول الكلمة

تنادي أهل العزة من سرادقات العزة أن يا أهل الطبيعة أفيقوا من المتمنيات فانا ما نتنزل من عالم الغيب الا بأمر ربك وما كان ربك نسيا ليحتاج الى تذكير ممن بل هو رب سموات الارواح وأرض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار له فاعبده بأركان الشريعة بجسدك وبآداب الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء به بروحك وبسرك هل تعلم له نظيرا في المحبوبية لك والله أعلم بالصواب ﴿ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند

الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا
وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدّا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدّا وكم أهلكنا قبلهم من قرن
هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ۞ القراآت أئنا مثل أئنكم في الأنعام (٦٣) يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم وسهل
وروح والمعدل عن زيد والآخرون بتشديد الذال من التذكر مدغما ثم ننجي من الانجاء علي وروح والمعدل عن زيد الآخرون بالتشديد خير مقاما بضم الميم ابن كثير الباقون بفتحها ريا بالتشديد أبو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والأعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة أيضا بالهمز في الوقف ليدل على أصل اللغة الآخرون يهمز بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلي الآخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلي ينفطرن من الانفطار أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وأبو بكر وحماد والخراز عن هبيرة الباقون يتفطرن من التفطر ۞ الوقوف حيا ○ شيأ ○ جثيا ○ ج للآية والعطف عتيا ○ ج لذلك صليا ○ واردها ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ○ تقريبا للنجاة من الورود مع أن ثم لترتيب الاخبار جثيا ○ آمنوا لا لأن ما بعدها مفعول قال نديا ○ ورئيا ○ مدّا ○ لأن حتى لانتهاء مدد الضلالة أو لابتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو آمنوا الساعة ط لابتداء التهديد جندا ○ هدى ○ مردا ○ وولدا ○ ط لابتداء الاستفهام للتقريع عهدا ط ○
للردع كلا ط مدا ○ لا للعطف فردا ○ عزا ○ كلا ط ضدّا ○ أزا ○ لا للتعجيل عليهم ط عدّا ○ ط وفدا ○ ط
وردا ○ لئلا تشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ○ م حذرا من ايهام العطف ولدا ○ ط إدّا ○ لا لأن ما بعده صفة هدّا ○ لا
لأن التقدير لان دعوا ولدا ○ ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف ولدا ○ ط عبدا ○ ط فردا ○ ودّا ○ لدّا ○ من قرن
ط ركزا ○ ۞ التفسير لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته بالتبعية أن يعبدوا الله ويصطبروا العبادته كان لمنكر أن يعترض بأن هذه

على ما ذكرنا عن ابراهيم من تأويله ذلك كذلك فيصح حينئذ أن يكون نعتا لعيسى والا فرفعه عندي
بضمر وهو هذا قول الحق على الابتداء وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله ذلك
عيسى بن مريم ثم ابتدأ الخبر بأن الحق فيما فيه تمترى الأمم من أمر عيسى هو هذا القول الذي أخبر
الله به عنه عباده دون غيره وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي النجود وعبد الله بن عامر بالنصب وكأنهما
أرادا بذلك المصدر ذلك عيسى بن مريم قولا حقا ثم أدخلت فيه الألف واللام وأما ما ذكر عن ابن
مسعود من قراءته ذلك عيسى بن مريم قال الحق فانه بمعنى قول الحق مثل العاب والعيب والذام
والذيم * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لاجماع الحجة من القراء عليه وأما
قوله تعالى ذكره الذي فيه يمترون فانه يعني الذي فيه يختصمون ويختلفون من قولهم ماريت
فلانا اذا جادلته وخاصمته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون
امترت فيه اليهود والنصارى فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله
وثالث ثلاثة واله وكذبوا كلهم ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته وروحه حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الذي فيه يمترون قال اختلفوا فقالت فرقة هو عبد الله
ونبيه فآمنوا به وقالت فرقة بل هو الله وقالت فرقة هو ابن الله تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
قال فذلك قوله فاختلف الأحزاب من بينهم والتي في الزخرف قال دقيوس ونسطور ومار يعقوب
قال أحدهم حين رفع الله عيسى هو الله وقال الآخر ابن الله وقال الآخر كلمة الله وعبده فقال
المفتريان ان قولي هو أشبه بقولك وقولك بقولي من قول هذا فهلم فلنقاتلهم فقاتلوهم وأوطؤهم
وغلبوهم حتى خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم مسلمة أهل الكتاب حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون
قال اجتمع بنو اسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع
فقال أحدهم هو الله هبط الى الأرض وأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم
اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم
النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله اله
وهو اله وأمه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى قال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه
وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا فظهر على المسلمين وذلك قول
الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال قتادة هم الذين قال الله فاختلف الأحزاب
اختلفوا فيه فصاروا أحزابا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه
اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ يقول
تعالى ذكره لقد كفرت الذين قالوا ان عيسى ابن الله وأعظموا الفرية عليه فما ينبغي لله أن يتخذ

ولدا ولا يصلح ذلك له ولا يكون بل كل شيء دونه خلقه وذلك نظير قول عمرو بن أحمر

في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * ما ينبغي دونها سهل ولا جبل

وأن من قوله أن يتخذ في موضع رفع بكان وقوله سبحانه يقول تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون عيسى ابن الله وقوله إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون يقول جل ثناؤه إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء وأنشأه إنشاء من غير فحل افتحل أمه ولكنه قال له كن فيكون لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها إنما يقول إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه كن فيكون موجودا حادثا لا يعظم عليه خلقه لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة ولا ينشئه بمعالجة وشدة وقوله وإن الله ربي وربكم فاعبدوه اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأن الله ربي وربكم واختلف أهل العربية في وجه فتح أن إذا فتحت فقال بعض نحويي الكوفة فتحت ردا على عيسى وعطفا عليه بمعنى ذلك عيسى ابن مريم وذلك أن الله ربي وربكم وإذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعا وتكون بتأويل خفض كما قال ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم قال ولو فتحت على قوله وأوصاني بأن الله كان وجها وكان بعض البصريين يقول وذكر ذلك أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وكان ممن يقرؤه بالفتح إنما فتحت أن بتأويل وقضى أن الله ربي وربكم وكانت عامة قراء الكوفيين يقرؤنه وإن الله بكسر إن بمعنى النسق على قوله فإنما يقول له وذكر عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤه فإنما يقول له كن فيكون إن الله ربي وربكم بغير واو * قال أبو جعفر والقراءة التي نختار في ذلك الكسر على الابتداء وإذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع وقد يجوز أن يكون عطفا على إن التي مع قوله قال إني عبد الله آتاني الكتاب وإن الله ربي وربكم ولو قال قائل ممن قرأ ذلك نصبا نصب على العطف على الكتاب بمعنى آتاني الكتاب وآتاني أن الله ربي وربكم كان وجها حسنا ومعنى الكلام وإني وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد فإياه فاعبدوا دون غيره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي إني وإياكم عبيد الله فاعبدوه ولا تعبدوا غيره وقوله هذا صراط مستقيم يقول هذا الذي أوصيتكم به وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم الذي من سلكه نجا ومن ركبه اهتدى لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يقول تعالى ذكره فاختلف المختلفون في عيسى فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاختلف الأحزاب من بينهم قال أهل الكتاب حدثنا

القاسم

العبادات لا منفعة فيها في الدنيا لأنها مشقة ولا في الآخرة لاستبعاد حشر الأجساد إلى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال (ويقول الإنسان) وهو للجنس لأن هذا الاستغراب مركوز في الطباع قبل النظر في الدليل أو لأن هذا القول إذا صدر عن بعض الأفراد صح إسناده إلى بني نوعه لأنه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالإنسان ههنا شخص معين هو أبو جهل أو أبي بن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة (٦٤) وانتصب إذا بفعل مضمر يدل عليه أخرج المذكور لا بنفسه لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وإنما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لأن اللام ههنا خلصت لأجل التأكيد كما خلصت الهمزة في يا ألله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في إذا ما للتوكيد أيضا وكأنهم قالوا مستنكرين أحقا أنا سنخرج أحياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج إما الخروج من الأرض أو الخروج من حال الفناء أو النشور ومن قولهم خرج فلان عالما إذا كان نادرا في العلم فكأنه قال على سبيل الهزء سأخرج حيا نادرا وإنما قدم الظرف وأولي حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء الإنكار كقولك لمن أساء إلى محسنه أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه ولما كان الإنسان لا يصدر عنه هذا الإنكار إلا إذا لم يتذكر أول النشأة الأولى قال سبحانه منبها على ذلك (أولا يذكر) وههنا إضمار تقديره أيقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله أن الواو عطفت لا يذكر على يقول في قوله ويقول الإنسان ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على إيراد حجة في البعث أوجز من هذه لم يقدروا عليه لأن خلق الذات مع الصفات أصعب من تغيير الذات في أطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنه عمل لأن الأول لم يستقر بعد في خزانة خياله والثاني قد ارتسم واستقر وثبت له مثال واحتذاء وإذا كان حال من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره إلا على مجرد تعلق الإرادة الأزلية به وفي قوله (ولم يك شيئا) بحث قد مر في أول السورة مثله وحين نبه على النكتة الضرورية أكدها بالإقسام قائلا (فوربك لنحشرنهم) الفاء للاستئناف وهو يفيد الإعراض عن قصة والشروع

في أخرى عقيبها والواو للقسم وشرف المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه واضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين تفخيم لشأنه ورفع من مقداره والواو في (والشياطين) اما للعطف واما بمعنى مع بناء على أن كل كافر مقرون مع شيطانه في سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكري البعث فقط فلا اشكال وكذا في قوله (لنحضرنهم حول جهنم جثيا) (٦٨) أي جثيا على الركب غير مشاة على أقدامهم لما يدهشهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على الأرجل أو على العادة المعهودة في مواقف مطالبات الملوك ومقاولاتهم (ثم لننزعن) لنميزن (من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره في الانعام (أيهم أشد) قرئ بالنصب وهو ظاهر وأما المقتصرون على الضم فذهب سيبويه الى أنها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين أحدهما اعراب أي مع أن من حق الموصول أن يبنى والآخر حذف المبتدا مع أن الاصل فيه أن يكون مذكورا والتقدير أيهم هو أشد وذهب الخليل الى أنها معربة ولكنها لم تنصب على أن تكون مفعول لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية أي من كل شيعة مقول فيهم أيهم أشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك أكلت من كل طعام أي بعضا من كل ويجوز أن يقدر لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد قال سيبويه لو جاز اضرب أيهم أفضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث أي الذي يقال له الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصار اليه في سعة الكلام ومذهب يونس في مثاله أن الفعل الذي قبل أي معلق عن العمل ويجيز التعليق في غير أفعال القلوب ثم ان علقت قوله (على الرحمن) بأشد كقولهم هو أشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه أن يقال انه بيان للمحذوف فكأنه سئل ان عتوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام في أولى بها صليا تعلق المجرور بأفعل من غير تأويل أو بصليا على التأويل صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق أخبر أولا أنه يميز من كل فرقة ضالة من هو أضل ثم بين بقوله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أنه يطرحهم أي أهل الضلال البعيد في النار على

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاختلف الاحزاب من بينهم ذكر لنا أنه لما رفع ابن مريم انتخبت بنو اسرائيل أربعة من فقهائهم فقالوا للأول ما تقول في عيسى قال هو الله هبط الى الارض فخلق ما خلق وأحيا ما أحيا ثم صعد الى السماء فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت اليعقوبية من النصارى وقال الثلاثة الآخرون نشهد أنك كاذب فقالوا للثاني ما تقول في عيسى قال هو ابن الله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت النسطورية من النصارى وقال الاثنان الآخران نشهد أنك كاذب فقالوا للثالث ما تقول في عيسى قال هو اله وأمه اله والله اله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت الاسرائيلية من النصارى فقال الرابع أشهد أنك كاذب ولكنه عبد الله ورسوله هو كلمة الله وروحه فاختصم القوم فقال المرء المسلم أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام وأن الله تبارك وتعالى لا يطعم الطعام قالوا اللهم نعم قال هل تعلمون أن عيسى كان ينام قالوا اللهم نعم قال فخصمهم المسلم قال فاقتتل القوم قال فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون فأنزل الله في ذلك القرآن ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم حدثنا الحسن قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاختلف الأحزاب من بينهم اختلفوا فيه فصاروا أحزابا وقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يقول فوادي جهنم الذي يدعى ويلا للذين كفروا بالله من الزاعمين أن عيسى لله ولد وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه وذلك يوم القيامة وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم شهدوا هولا اذا عظيما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به الجاعلين له أندادا والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه في الآخرة لئن كانوا في الدنيا عميا عن ابصار الحق والنظر الى حجج الله التي تدل على وحدانيته صما عن سماع آي كتابه وما دعتهم اليه رسل الله فيها من الاقرار بتوحيده وما بعث به أنبياءه فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الابصار والسماع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أسمع بهم وأبصر ذاك والله يوم القيامة سمعوا حين لا ينفعهم السمع وأبصروا حين لا ينفعهم البصر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أسمع بهم وأبصر قال أسمع قوم وأبصرهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا يوم القيامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع

الترتيب يقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم ولا ريب أن الضال المضل يكون أولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين في شدة العتو ويجوز أن يراد بالذين هم أولى المنتزعين كلهم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وأنهم أولى بالصلى لكون دركاتهم أسفل (وان منكم) الخطاب للناس من غير التفات أو للانسان المذكور فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان أريد الجنس كله لم يكن في قوله (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها (٦٦) جثيا) اشكال ولكنه يشكل بأن المؤمنين كيف يردون النار وأجيب بما روى عن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه أيضا رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان الناس ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عباس يردونها كأنها اهالة ومنهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ومعلوم أن موسى لم يدخل الماء ولكنه قرب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده في الدنيا قال عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وان أريد بالناس أو بالانسان الكفرة فلا اشكال في ورودهم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ووجه بأنه أراد أن المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يردونها ثم يتخلصون * أسئلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند من فسر الورود بالدخول زعم بعضهم أن البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها مواضع خالية عن النار أشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك المواضع والأصح أنه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير ولهذا لا تضر النار الملائكة الموكلين بالعذاب * ما الفائدة في ايراد المؤمنين النار اذا لم يعذبوا بها فيه وجوه منها أن يزدادوا سرورا اذا رأوا الخلاص منها ومنها

ابن أنس عن أبي العالية قال أسمع بحديثهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم يأتوننا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا قال هذا يوم القيامة فأما الدنيا فلا كانت على أبصارهم غشاوة وفي آذانهم وقر في الدنيا فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا وقرأ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون . وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين يقول تعالى ذكره لكن الكافرون الذين أضافوا اليه ما ليس من صفته وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا في ضلال مبين يقول في ذهاب عن سبيل الحق وأخذ على غير استقامة مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى لمن تأمله وفكر فيه فهدى لرشده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الايمان بالله والطاعة له وأدخلوا هم مساكن أهل الايمان بالله من النار وأيقن الفريقان بالخلود الدائم والحياة التي لا موت بعدها فيالها حسرة وندامة * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله في قصة ذكرها قال ما من نفس الا وهي تنظر الى بيت في الجنة وبيت في النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل النار البيت الذي كان قد أعده الله لهم لو آمنوا فيقال لهم لو آمنتم وعملتم صالحا كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة فتأخذهم الحسرة ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال لولا أن من الله عليكم حدثنا أبو السائب قال ثنا معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار كأنه كبش أملح قال فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت ثم يؤمر به فيذبح قال فيقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده في الدنيا حدثني عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا أبي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وأنذرهم يوم الحسرة قال ينادي يا أهل الجنة فيشرئبون فينظرون ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون فينظرون فيقال هل تعرفون الموت قال فيقولون لا قال فيجاء بالموت في صورة كبش أملح فيقال هذا الموت ثم يؤخذ فيذبح قال ثم ينادي يا أهل النار خلود فلا موت ويا أهل الجنة خلود فلا موت قال ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يصور الله الموت في صورة كبش أملح فيذبح

قال

افتضاح الكافرين اذا اطلع المؤمنون عليهم ومنها أن المؤمنين يضحكون من الكفار ويسخرون منهم كما سخروا في الدنيا ومنها أنه يزيد التذاذهم بالجنة فبضدها تتبين الاشياء * هل ثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها قد ثبت أن المحاسبة تكون في الارض أو في موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء فالاجتماع يكون في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله أهل الجنة ويبقى أهل النار فيها قلت هذا على رأى (٦٧) الفلاسفة الاسلاميين ظاهر فالمحاسبة تكون في الارض ومرور الكل يكون على كرة النار ثم يرفع أهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله (كان) أى الورود (على ربك حتما) أى محتوما مصدر بمعنى المفعول (مقضيا) قضى به وعزم أن لا يكون غيره وذلك أن العبور من جميع الجوانب على كرة النار وأجمعت المعتزلة بذلك على أن العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد سبق أن المتقي عند المعتزلة من يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالآية قاعدة القائل بمنزلة بين المنزلتين وأجيب أن تنجية المتقين أعم من أن تكون الى الجنة أو الى غيرها وعيب أن تنجيتهم الى الجنة الا أن الذي طاعته ومعصيته سيان غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فيبقى حكمه مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله (ونذر الظالمين) ومنع أن الصيغة للعموم ولو سلم فخصص بآيات الوعد لما رد على منكري البعث وقرر كيفية الحشر قال (واذا تتلى عليهم آياتنا) الآية والمراد أنهم عارضوا حجة الله بكلام أعوج فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به أن يهين أولياءه ويعز أعداءه يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله عز وجل منهم قال جار الله معنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين وعلى التقادير تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا بهذه الاوصاف ومعنى (الذين آمنوا) أنهم

قال فييأس أهل النار من الموت فلا يرجونه فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار وفيها أيضا الفزع الأكبر ويأمن أهل الجنة الموت فلا يخشونه وأمنوا الموت وهو الفزع الأكبر لانهم يخلدون في الجنة قال ابن جريج يشعر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون فذلك قوله اذ قضى الأمر قال ذبح الموت وهم في غفلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبيه أنه أخبره أنه سمع عبيد بن عمير في قصصه يقول يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنذرهم يوم الحسرة من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده وقوله اذ قضى الأمر يقول اذ فرغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها ولأهل الجنة بمقام الأبد فيها بذبح الموت وقوله وهم في غفلة يقول وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين اليه من قبورهم من تخليده اياهم في جهنم وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم وهم لا يؤمنون يقول تعالى ذكره وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث ومجازاة الله اياهم على سيئ أعمالهم بما أخبر أنه مجازيهم به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق فان الينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم ونحن وارثو الارض ومن عليها من الناس بفنائهم منها وبقائها لا مالك لها غيرنا ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله عند مرجعه الينا المحسن منهم باحسانه والمسيء باساءته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ) يقول تعالى ذكره لنبيه واذكر يا محمد في كتاب الله ابراهيم خليل الرحمن فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه انه كان صديقا يقول كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب والصديق هو الفعيل من الصدق وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع نبيا يقول كان الله قد نبأه وأوحى اليه وقوله اذ قال لأبيه يقول اذكر حين قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع يقول ما تصنع بعبادة الوثن الذي لا يسمع ولا يبصر شيأ ولا يغني عنك شيأ يقول ولا يدفع عنك ضر شيء انما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته اعبد الذي اذا دعوته سمع دعاءك واذا أحيط بك أبصرك فنصرك واذا نزل بك ضر دفع عنك * واختلف أهل العربية في وجه دخول الهاء في قوله يا أبت فكان بعض نحويي أهل البصرة يقول اذا وقفت عليها قلت يا أبه وهي هاء زيدت نحو قولك يا أمه ثم يقال يا أم اذا وصل ولكنه لما كان الأب على حرفين كان كأنه قد أخل به فصارت الهاء لازمة وصارت الياء كأنها بعدها فلذلك قالوا يا أبة أقبل وجعل التاء للتأنيث ويجوز الترخيم

من ياأب أقبل لانه يجوز أن تدعوما تضيفه الى نفسك فى المعنى مضموما نحو قول العرب يارب اغفرلى وتقف فى القرآن ياأبه فى الكتاب وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء وقال بعض نحويى الكوفة الهاء مع أبه وأمه هاء وقف كثرت فى كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث وأدخلوا عليها الاضافة فمن طلب الاضافة فهى بالتاء لاغير لانك تطلب بعدها الياء ولا تكون الهاء حينئذ إلا تاء كقولك ياأبت لاغير ومن قال ياأبه فهو الذى يقف بالهاء لانه لا يطلب بعدها ياء ومن قال ياأبتا فانه يقف عليها بالتاء ويجوز بالهاء فأما بالتاء فلطلب ألف الندبة فصارت الهاء تاء لذلك والوقف بالهاء بعيد الافيمن قال ياأميمة ناصب فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم وكأن هذا طرف الاسم قال وهذا بعيد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لأبيه ياأبت انى قد آتانى الله من العلم مالم يؤتك فاتبعنى يقول فاقبل منى نصيحتى أهدك صراطا سويا يقول أبصرك هدى الطريق المستوى الذى لا تضل فيه ان لزمته وهو دين الله الذى لا أعوجاج فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ يقول تعالى ذكره ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان لله عاصيا والعصى هو ذو العصيان كما العليم ذو العلم وقد قال قوم من أهل العربية العصى هو العاصى والعليم هو العالم والعريف هو العارف واستشهدوا لقولهم ذلك بقول طريف بن تميم العنبرى

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

وقالوا قال عريفهم وهو يريد عارفهم والله أعلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾ يقول ياأبت انى أعلم أنك ان مت على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله فتكون للشيطان وليا يقول تكون له وليا دون الله ويتبرأ الله منك فتهلك والخوف فى هذا الموضع بمعنى العلم كما الخشية بمعنى العلم فى قوله فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا﴾ يقول تعالى ذكره قال أبو ابراهيم لابراهيم حين دعاه ابراهيم الى عبادة الله وترك عبادة الشيطان والبراءة من الأوثان والأصنام أراغب أنت ياابراهيم عن عبادة آلهتى لئن أنت لم تنته عن ذكرها بسوء لأرجمنك يقول لأرجمنك بالكلام وذلك السب والقول القبيح * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك بالشتيمة والقول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله لئن لم تنته لأرجمنك قال بالقول لأشتمنك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا

يخاطبونهم بذلك أو يفوهون به لأجلهم وفى شأنهم والمقام بالضم موضع الاقامة أى المنزل وبالفتح موضع القيام والندى المجلس ومجتمع القوم حيث ينتدون وقوله (أى الفريقين) يعنى المؤمنين بالآيات والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم والمقصود نحن أوفر حظا على ما يظهر مناف أحوال قيامنا وقعودنا وحسن الحال فى الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة وضده أمارة على النقص والضعة فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا) أى كثيرا من المرات أهلكنا قبلهم أهل عصر فمن بيان المهلك ويجوز أن تكون زائدة للتأكيد وكم استفهامية لتقرير التكثير أو خبرية عند من يجوز زيادتها فى الموجب و (هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم أو الجر صفة قرن والأثاث متاع البيت وقد مر فى النحل فى قوله أثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهرى من همز رئيا جعله من رأيت وهو مارأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمزه فاما أن يكون على تخفيف الهمز أى قلب الهمزة ياء وأدغم أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم ريا أى امتلأت وحسنت وقال جار الله الرى هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمزة قبله ياء على القلب كقولهم راء فى رأى وقرئ بالزاى المنقوطة واشتقاقه من الزى بالفتح وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة وفى الآية حذف والتقدير أحسن من هؤلاء والحاصل أنه تعالى أهلك من كان أكثر مالا وجمالا منهم وذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهى أن كل من وجد الدنيا كان حبيب الله أو على فساد المقدمة الاخرى وهى أن كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل اليه غما ثم بين أن مآل الضال الى الخزى والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله (فليمدد له الرحمن) خبر خرج على لفظ الأمر ايذانا بوجوب الامهال وأنه مفعول لامحالة لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو ليزدادوا اثما كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما أو هو فى معنى الدعاء بأن يمهله الله عز وجل وينفس فى مدة حياته والغاية أحد الأمرين المذكورين أى انقطاع العذر أو ازدياد الاثم أما قوله (حتى اذا رأوا) الى آخره فقد قال فى الكشاف انه يحتمل أن يكون متصلا بقوله أى الفريقين الى آخره وما بينهما كلين بأنه ... يقين خير مقاما وأحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى أن يشاهدوا

الموعود رأى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر وتغير أحوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيامة و يحتمل أن تتصل بما يليها والمراد أنهم لا ينفكون عن ضلالتهم وسوء مقالتهم الى أن يعاينوا عذاب الدنيا أو الساعة ومقدماتها وقوله (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم والجند الاعوان ولا ريب أن مكان القتل والاسر شر مكان فى الدنيا ومكان عذاب النار شر مكان فى الآخرة ولا شك أيضا أنه لو كان لهم فى الوقتين ناصر قوى لم يلحقهم من الخزى والنكال ما لحقهم وحين بين حال أهل الضلال أراد أن يبين حال أهل الكمال فقال (و يزيد الله الذين اهتدوا هدى) وذلك أن بعض الاهتداء يجر الى البعض الآخر كالايمان يجر الى الاخلاص فيه كما أن بعض الغواية يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو فى و يزيد للاستئناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى فليمدد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه و يزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر فى سورة الكهف أن الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هى أعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله (خير) يقتضى غيرا يكون مشاركا له فى أصل الخيرية و يكون هذا خيرا منه فان قدرنا ذلك شيأ فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة أو كسائر الأعمال الصالحة عند من يفسر الباقيات بمعنى الأخص فظاهر أنها خير (ثوابا وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم هل لهذا الأمر مرد وان قدرنا ذلك شيأ لا ثواب فيه ولا خيرية كما زعم جار الله أن المراد هى خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * و يكون وجه التفضيل فى الخير ما قيل فى قولهم الصيف أحر من الشتاء أى هو أبلغ فى حره من الشتاء فى برده ثم أردف مقالتهم الحمقاء بأخرى مثلها قائلا على سبيل التعجب (أفرأيت) كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وانما استعملوا أرأيت بمعنى أخبر لأن رؤية الشئ من أسباب صحة الخبر عنه عن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى العاص بن وائل

عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لأرجمنك يعنى رجم القول وأما قوله واهجرنى مليا فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك واهجرنى حينا طويلا ودهرا ووجهوا معنى الملى الى الملاوة من الزمان وهو الطويل منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد فى قوله واهجرنى مليا قال دهرا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مليا قال حينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن واهجرنى مليا قال طويلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واهجرنى مليا قال زمانا طويلا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واهجرنى مليا يقول دهرا والدهر الملى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير واهجرنى مليا قال دهرا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى واهجرنى مليا قال أبدا * وقال آخرون بل معنى ذلك واهجرنى سويا سالما من عقوبتى اياك ووجهوا معنى الملى الى قول الناس فلان ملى بهذا الامر اذا كان مضطلعا به غنيا فيه وكأن معنى الكلام كان عندهم واهجرنى وعرضك وافر من عقوبتى وجسمك معافى من أذاى ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس واهجرنى مليا يقول اجتنبنى سويا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واهجرنى مليا قال اجتنبنى سالما قبل أن يصيبك منى عقوبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واهجرنى مليا قال سالما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان قال ثنا قرة بن خالد عن عطية الجدلى واهجرنى مليا قال سالما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واهجرنى مليا اجتنبنى سالما لا يصيبك منى معرة * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية عندى قول من قال معنى ذلك واهجرنى سويا سليما من عقوبتى لأنه عقيب قوله لئن لم تنته لأرجمنك وذلك وعيد منه له ان لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السئ والذى هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم اليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة فأما الامر بطول هجره فلا وجه له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى عسى أن لا أكون

قال خباب بن الأرت كان لي عليه دين فاقتضيته وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فاني أوتى مالا وولدا حينئذ من قرأ ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرأ بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب والعرب فأنكر الله سبحانه عليه بقوله مستفهما (أطلع الغيب) من قولهم اطلع الجبل أي ارتقى الى أعلاه ولاختيار هذه الكلمة شأن كأنه قال أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى (٧٠) عالم الغيب الذي تفرد به علام الغيوب (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) عن الكلبي هل عهد الله اليه أن يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة (كلا) ردع وتنبيه على الخطا فيما تصوره لنفسه وتمناه وفي قوله (سنكتب) بسين التسويف مع أن الحفظة يكتبون ما قاله في الحال دليل على أن السين جردها هنا لمعنى الوعيد أو أراد سنظهر له نبأ الكتابة بالتعذيب والانتصار يؤيده قوله (ونمد له) أي نطول له (من العذاب) ما يستأهله أمثاله من المستهزئين أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد مددا وأمده بمعنى ثم أكد المدد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب أعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله (ونرثه ما يقول) أي نمنع عنه منتهى ما زعم أنه يناله في الآخرة من المال والولد لانه تألى على الله في قوله لأوتين ومن يتأل على الله يكذبه لان ذلك غاية الجراءة ونهاية الاشعبية والمراد هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في العاقبة (ويأتينا) غدا (فردا) بلا مال ولا ولد وكلام صاحب الكشاف في الوجهين ملخبط فليتأمل فيه وكذا في قوله فردا على الأول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك أن الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول أما انفراده فيتحقق حالة الاتيان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل في الاتيان منفردا لا مدخل له في المقصود فلا أدري ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل أن هذا القول انما يقوله مادام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا منفردا عنه غير قائل له أو أراد أن هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه خطبان تبعة قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد على منكري البعث شرع في الرد على عبدة

بدعاء ربي شقيا) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لأبيه حين توعده على نصيحته اياه ودعائه الى الله بالقول السيء والعقوبة سلام عليك يا أبت يقول أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت ولدعائك الى ما توعدتني عليه بالعقوبة ولكني سأستغفر لك ربي يقول ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه اياك عن عقوبتك عليها انه كان بي حفيا يقول ان ربي عهدته بي لطيفا يجيب دعائي اذا دعوته يقال منه تحفى بي فلان وقد بينت ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انه كان بي حفيا يقول لطيفا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انه كان بي حفيا قال انه كان بي لطيفا فان الحفي اللطيف وقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله يقول وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والاصنام وأدعو ربي يقول وأدعو ربي باخلاص العبادة له وافراده بالربوبية عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا يقول عسى أن لا أشقى بدعاء ربي ولكن يجيب دعائي ويعطيني ما أسأله * القول في تأويل قوله تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يقول تعالى ذكره فلما اعتزل ابراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم فوهبنا له ابنه اسحق وابن ابنه يعقوب بن اسحق وكلا جعلنا نبيا يقول وجعلناهم كلهم يعني بالكل ابراهيم واسحق ويعقوب أنبياء وقال تعالى ذكره وكلا جعلنا نبيا فوحد ولم يقل أنبياء لتوحيد لفظ كل ووهبنا لهم من رحمتنا يقول جل ثناؤه ورزقنا جميعهم يعني ابراهيم واسحق ويعقوب من رحمتنا وكان الذي وهب لهم من رحمته ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه وأغناهم بفضله وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يقول تعالى ذكره ورزقناهم الثناء الحسن والذكر الجميل من الناس كما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يقول الثناء الحسن وانما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو لان جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم والعرب تقول قد جاءني لسان فلان تعني ثناءه أو ذمه ومنه قول عامر بن الحرث

اني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر

ويروى لا كذب فيها ولا سخر

جاءت مرجمة قد كنت أحذرها * لو كان ينفعني الاشفاق والحذر

مرجمة يظن بها

* القول في تأويل قوله تعالى (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه اليك موسى بن عمران

واقصص

واقصص على قومك نبأه انه كان مخلصا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين انه كان مخلصا بكسر اللام من الخلاص بمعنى انه كان يخلص لله العبادة ويفرده بالالوهة من غير أن يجعل له فيها شريكا وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة خلا عاصم انه كان مخلصا بفتح اللام من مخلص بمعنى ان موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته وجعله نبيا مرسلا * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أنه كان صلى الله عليه وسلم مخلصا عبادة الله مخلصا للرسالة والنبوة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وكان رسولا يقول وكان لله رسولا الى قومه بنى اسرائيل ومن أرسله اليه نبيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا﴾ يقول تعالى ذكره وناديناه موسى من ناحية الجبل ويعنى بالأيمن يمين موسى لان الجبل لا يمين له ولا شمال وانما ذلك كما يقال قام عن يمين القبلة وعن شمالها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من جانب الطور الأيمن قال جانب الجبل الأيمن وقد بينا معنى الطور واختلاف المختلفين فيه ودللنا على الصواب من القول فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وقربناه نجيا يقول تعالى ذكره وأدنيناه مناجيا كما يقال فلان نديم فلان ومنادمه وجليس فلان ومجالسه وذكر أن الله جل ثناؤه أدناه حتى سمع صريف القلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقربناه نجيا قال أدنى حتى سمع صريف القلم حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال ثنا يحيى بن أبى بكر قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح قال أراه عن مجاهد فى قوله وقربناه نجيا قال بين السماء الرابعة أو قال السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب (١) وسمع صريف القلم قال رب أرنى أنظر اليك حدثنا على بن سهل قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال قربه منه حتى سمع صريف القلم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة وقربناه نجيا قال أدنى حتى سمع صريف القلم فى اللوح وقال شعبة أردفه جبرائيل عليه السلام وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وقربناه نجيا قال نجا بصدقه وقوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون يقول ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هرون نبيا يقول أيدناه بنبوته وأعناه بها كما حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس قوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان

(١) عبارة الدرحتى كان بينه وبينه حجاب فلما رأى مكانه وسمع الخ فتنبه كتبه مصححه

الاصنام فبين أولا غرضهم وذلك أن يتعززوا بآلهتهم وينتفعوا بشفاعتهم ثم أنكر عليهم وردعهم بقوله (كلا) ثم أخبر عن مآل حالهم بقوله (سيكفرون) فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملائكة كقوله قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام فلا يبعد أن ينطق الله الجماد بذلك كقوله وألقوا اليهم القول انهم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أما الضمير فى يكونون فللمعبودين وقوله عليهم فى مقابلة قوله لهم (١٧) عزا والضد العز الهوان كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويحتمل أن يراد بالضد العون لانه يضاد العدو ووحد لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وتوافقهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ومعنى كون الآلهة أضدادا أى أعوانا عليهم أنهم وقود النار وأن المشركين عذبوا بسبب عبادتها ويحتمل أن يكون الضمير فى يكونون للمشركين أى يكون المشركون كفرة بآلهتهم وأعداء لهم بعد أن كانوا يعبدونها وحيث بين مذاهب الفرق الضالة أراد أن يبين منشأها فقال (ألم تر أنا أرسلنا) الآية والأز الهز والتهييج قالت الأشاعرة فى الآية دلالة على أنه تعالى مريد لجميع الكائنات لأن قول القائل أرسلت فلانا على فلان يفيد أنه سلطه عليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سم الله وأرسل كلبك عليه ويؤيده قوله تؤزهم أى تغريهم على المعاصى وتحثهم عليها بالوسواس والتسويلات وقالت المعتزلة أراد بهذا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اذا لم يمنع الرجل من دخول بيت جيرانه وحاصل كلامهم أنه أرسل الأنبياء وأرسل الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين الا أنه خص أولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا قول الأنبياء ومنع أعداءه تلك الألطاف وهو المسمى بالخذلان فقبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سبب الهلاك الكفار عداه بعلى لا بالى قلت لا يخفى أن استناد الكل الى الله تعالى فنزاع الفريقين لفظى أو قريب منه (فلا تعجل عليهم) يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجل منه أى لا تعجل عليهم بأن يهلكوا فتستريح أنت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة قال ابن عباس نزلت فى المستهزئين وهم خمسة رهط وعنه أنه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك وآخر العدد فراق أهلك وآخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد

ولم يكن تهامدد فما أسرع ما تنفد وقال بعضهم شعر
ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
وكيف يفرح بالدنيا ولذتها * فتى يعد عليه اللفظ والنفس
ثم لما قرر أمر الحشر وأجاب عن شبه منكريه أراد أن يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال (يوم نحشر) وانتصابه بمضمر متقدم أو متأخر أي اذكر يوم كذا وكذا نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز أن ينتصب بلا يملكون خص المتقون بالجمع الى محل كرامة الرحمن وافدين يقال وفد فلان على الامير وفادة أي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يحشرون على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وخص المجرمون بالسوق الى جهنم وردا أي ورادا وهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال جار الله حقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قال بعض العلماء في الآية دلالة على أن أهوال يوم القيامة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فكيف ينالهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل أن يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن أي الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة لقوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهذا بعد امتياز الفريقين فالأمن الكلي فيما بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله (الى الرحمن) دون أن يقول الينا من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسم للتأويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم (١) وفاعله من اتخذ على البدلية لانه في معنى الجمع ويجوز أن تكون الواو علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز أن ينتصب من اتخذ على الاستثناء أو على تقدير حذف المضاف أي الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك غيرهم أن يشفعوا لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل أو بكلمة الشهادة وحدها والاول يناسب أصول المعتزلة والثاني يناسب أصول الاشاعرة وعن ابن مسعود أنا

(١) راجع الكشاف يظهر لك الخلط في الاعراب

صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد في هذا الكتاب اسمعيل بن ابراهيم فاقصص خبره انه كان لا يكذب وعده ولا يخلف ولكنه كان اذا وعد ربه أو عبدا من عباده وعدا وفى به كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله انه كان صادق الوعد قال لم يعد ربه عدة الا أنجزها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث أن سهل بن عقيل حدثه أن اسمعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه فجاء ونسي الرجل فظل به اسمعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا قال لا قال اني نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتي فبذلك كان صادقا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾ يقول تعالى ذكره وكان يأمر أهله باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وكان عند ربه مرضيا عمله محمودا فيما كلفه ربه غير مقصر في طاعته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد في كتابنا هذا ادريس انه كان صديقا لا يقول الكذب نبيا نوحي اليه من أمرنا ما نشاء ورفعناه مكانا عليا ذكر أن الله رفعه وهو حي الى السماء الرابعة فذلك معنى قوله ورفعناه مكانا عليا يعني به الى مكان ذي علو وارتفاع وقال بعضهم رفع الى السماء السادسة وقال آخرون الرابعة ذكر الرواية بذلك حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني جرير بن حازم عن سليمن الأعمش عن شمر ابن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لادريس ورفعناه مكانا عليا قال كعب أما ادريس فان الله أوحى اليه اني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم فأحب أن تزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال ان الله أوحى الي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه ادريس فقال وأين ادريس فقال هو ذا على ظهري قال ملك الموت فالعجب بعثت أقبض روح ادريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله تبارك وتعالى ورفعناه مكانا عليا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ورفعناه مكانا عليا قال ادريس رفع فلم يمت كما رفع عيسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال ولم يمت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ورفعناه مكانا عليا قال رفع الى السماء السادسة فمات فيها حدثت عن الحسين قال سمعت

أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ورفعناه مكانا عليا ادريس أدركه الموت فى السماء السادسة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال السماء الرابعة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عان عن سفيان عن أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى ورفعناه مكانا عليا قال فى السماء الرابعة حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أو غيره «شك أبو جعفر الرازى» قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم صعد به جبرائيل الى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرائيل قالوا ومن معه قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قال هذا ادريس رفعه الله مكانا عليا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ورفعناه مكانا عليا قال حدثنا أنس بن مالك أن نبى الله حدث أنه لما عرج به الى السماء قال أتيت على ادريس فى السماء الرابعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم فى هذه السورة يا محمد الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه فهداهم لطريق الرشد من الانبياء من ذرية آدم ومن ذرية من حملنا مع نوح فى الفلك ومن ذرية ابراهيم خليل الرحمن ومن ذرية اسرائيل وممن هدينا للايمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا يقول وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا فالذى عنى به من ذرية آدم ادريس والذى عنى به من ذرية من حملنا مع نوح ابراهيم والذى عنى به من ذرية ابراهيم اسحق ويعقوب واسمعيل والذى عنى به من ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا وعيسى وأمه مريم ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وان كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح فى السفينة وهو ادريس وادريس جد نوح وقوله تعالى ذكره اذا تتلى عليهم آيات الرحمن يقول اذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التى أنزلها عليهم فى كتبه خروا لله سجدا استكانة له وتذللا وخضوعا لأمره وانقيادا وبكيا يقول خروا سجدا وهم باكون والبكى جمع باك كما العتى جمع عات والجثى جمع جاث فجمع وهو فاعل على فعول كما يجمع القاعد قعودا والجالس جلوسا وكان القياس أن يكون وبكوا وعتوا ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء كما قيل فى جمع دلو أدل وفى جمع البهو أبه وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد الضمة استثقالا وفى ذلك لغتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة علماء من القراء بالقرآن بكيا وعتيا بالضم وبكيا وعتيا بالكسر وقد يجوز أن يكون البكى هو البكاء بعينه وقد حدثنا ابن بشار قال

أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك فى هذه الحياة بأنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك فلا تكلنى الى نفسى فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز أن يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها كقوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله وحين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من أثبت له ولدا من اليهود والنصارى والعرب ومنهم من خص الآية بالرد على العرب القائلين بأن الملائكة بنات الله لأن الرد على النصارى تقدم فى أول السورة وفى قوله (لقد جئتم) التفات من الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخطه والاد الامر العجيب أو المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه أدت الناقة تؤد اذا رجعت الحنين فى جوفها ويقال فطره بالتخفيف اذا شقه ومطاوعه انفطر وبالتشديد للتكثير ومطاوعه تفطر وهذا البناء للتكثير وانتصب (هدا) اما على المصدر لان الخرور فى معناه واما لأن التقدير يهد هدا أو على الحال أى مهدودة أو على العلة أى لانها تهد ومحل (أن دعوا) اما مجرور بدلا من الهاء فى منه واما منصوب بنزع الخافض أى هدا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بالدعاء واما مرفوع بأنه فاعل هدأى هدها الدعاء وخير الوجوه أوسطها كما مر فى الوقوف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى ولدا له واما بمعنى النسبة أى نسبوا الى الرحمن ولدا (وما ينبغى) لا يصح ولا يستقيم وهو فى الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا يصير مطلوبا لانه محال أما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها وأما التبنى فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد

فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن المختص به فليس أصول النعم وفروعها الا منه كما قيل
لينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه وهذا من فوائد تكرير هذا الاسم في هذا المقام * سؤال كيف تؤثر هذه الكلمة
في الجمادات حتى تنفطر وتنشق وتخر أجيب بأنه سبحانه كأنه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند دعائهم الولد لي غضبا
مني على من تفوه بها لولا حلمي أو هو تصوير للأثر هذه الكلمة في الدنيا أو المراد أن هذا الاعتقاد يوجب أن لا تكون هذه الاجرام على
ما ترى من النظام كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال أبو مسلم أراد أن هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل كادت تفعل ذلك ثم بين أن العابدين والمعبودين في السموات أو في الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا وفي الآخرة وأنه محيط بجمل أحوالهم وتفاصيلها فقال (ان كل) ان نافية أي ليس فرد من أفراد الخلائق (الا آتي الرحمن) الا وهو ملتجئ الى ربوبيته مقر بعبوديته ثم أجمل حال المؤمنين بما لا مزيد عليه في باب الكرامة قائلا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير ما سبب من الاسباب المعهودة كقرابة أو اصطناع وذلك كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب والسين اما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند اظهار الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله عز وجل يا جبرائيل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه اياها
أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في
التوراة لا محبة لأحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل
لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن أبي مسلم أن المراد أنه سيهب لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم قال قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكي يريد فأين البكاء * القول في تأويل قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) يقول تعالى ذكره فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الانبياء الذين أنعمت عليهم ووصفت صفتهم في هذه السورة خلف سوء خلفوهم في الارض أضاعوا الصلاة * ثم اختلف أهل التأويل في صفة اضاعتهم الصلاة فقال بعضهم كانت اضاعتهموها تأخيرهم اياها عن مواقيتها وتضييعهم أوقاتها ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعد الكندي قال ثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى بن سليمن عن القاسم بن مخيمرة في قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال انما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا حدثنا اسحق بن زيد الخطابي قال ثنا الفريابي عن الاوزاعي عن القاسم بن مخيمرة نحوه حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ثني الوليد بن مسلم عن أبي عمرو عن القاسم بن مخيمرة قال أضاعوا المواقيت ولو تركوها لصاروا بتركها كفارا حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن القاسم نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني عيسى عن الاوزاعي عن ابراهيم بن يزيد أن عمر بن عبد العزيز بعث رجلا الى مصر في أمر أعجله للمسلمين فخرج الى حرسه وقد كان تقدم اليهم أن لا يقوموا اذا رأوه قال فأوسعوا له فجلس بينهم فقال أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه الى مصر فقالوا كلنا نعرفه قال فليقم أحدثكم سنا فليدعه فأتاه الرسول فقال لا تعجلني أشد علي ثيابي فأتاه فقال ان اليوم الجمعة فلا تبرحن حتى تصلي وانا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها فانك مصليها لا محالة ثم قرأ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم قال لم يكن اضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن مسعود عن ابن مسعود أنه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن الذين هم عن صلاتهم ساهون وعلى صلاتهم دائمون وعلى صلاتهم يحافظون فقال ابن مسعود رضي الله عنه على مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك الا على الترك قال ذاك الكفر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عمر أبو حفص الابار عن منصور بن المعتمر قال قال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين وفي افراطهن الهلكة وافراطهن اضاعتهن عن وقتهن * وقال آخرون بل كانت اضاعتهموها تركها ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أبو صخر عن القرظي أنه قال في هذه الآية فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يقول تركوا الصلاة * قال أبو جعفر وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية قول من قال اضاعتهموها تركهم

وانما صار الى هذا القول لان المسلم التقى يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون أكثرهم وقد يحصل مثل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرزوقين بميل الناس الى اختلاطهم وصحبتهم فكيف يمكن جعله انعاما فى حق المؤمنين وأيضا ان محبتهم فى قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله فحمل الكلام على اعطاء المنافع به أولى وأجيب بأن المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين ومثل هذه لا تحصل للكافر والفاسق وبأنه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامه فى قلوبهم ثم عظم شأن ما فى هذه

السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة قائلا (فانما يسرناه) كأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فانما أنزلناه بلسانك أى بلغتك وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الألد الشديد الخصومة بالباطل كقوله فى البقرة وهو ألد الخصام يريد أهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية فى الانذار ونهاية فى التخويف لانبائه عن انقضاء القرون الخالية بالفناء أو بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع فيعلم منه أن مآل حال الباقين أيضا الى ذلك فيجتهدوا فى تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا هممهم الى ما هو بصدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفى وركز الرمح تغييب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون ۞ التأويل ويقول النفس الانسانية لجهلها بالحقائق اذا مات عن الصفات البشرية أخرج حيا بالصفات الروحانية لنحشرنهم والشياطين فالكل شخص قرين من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو واردها اوية الهوى بقدم الطبيعة حتما مقضيا لان حكمته الأزلية اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوى والسفلى ثم ننجى الذين اتقوا الهوى بقدم

ايا ها الدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك وذلك قوله جل ثناؤه الا من تاب وآمن وعمل صالحا فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله ولا يؤدون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقد قيل ان الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون فى آخر الزمان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال عند قيام الساعة وذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض فى الأزقة قال محمد بن عمرو زنا وقال الحرث زناة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال زنا كما قال ابن عمرو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبى رباح فخلف من بعدهم خلف الآية قال هم أمة محمد وحدثنى الحرث قال ثنا الأشيب قال ثنا شريك عن أبى تميم بن مهاجر فى قول الله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال هم فى هذه الامة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر فى الطرق لا يخافون الله فى السماء ولا يستحيون الناس فى الارض وأما قوله فسوف يلقون غيا فانه يعنى أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غيا وهو اسم واد من أودية جهنم أو اسم بئر من آبارها كما حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا محمد بن زياد بن (؟) زبان قال ثنا شرقى بن قطامى عن لقمان بن عامر الخزاعى قال جئت أبا أمامة صدى بن عجلان الباهلى فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعا بطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهى الى غى وأثام قال قلت وما غى وما أثام قال بئران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللتان ذكر الله فى كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله فى الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو فسوف يلقون غيا قال واديا فى جهنم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله فسوف يلقون غيا قال واديا فى النار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية فسوف يلقون غيا قال نهر فى جهنم خبيث الطعم بعيد القعر حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن أبيه فى قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال الغى نهر جهنم

الشريعة على طريق الطريقة للوصول الى الحقيقة آياتنا من الحقائق والاسرار قال الذين كفروا واستتروا الحق للذين آمنوا تحقيقا وايقانا وكم أهلكنا بحب الدنيا والاغراق فى بحر الشهوات والاحراق بنار المناصب العرضيات اما العذاب وهو الموت على الانكار والغفلة واما الساعة وهى الاماتة عن الصفات البشرية عند قيام قيامة الشوق والمحبة فسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقى من الايمان الى الايقان ومن الايقان الى العيان أن دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا أن الرحمانية أمهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا

فالالوهية مقتضية لاعدامهم فى الحال وكلهم آتيه يوم القيامة فردا عن مشيئة وارادة بخلافهم فى الدنيا فانهم يظنون أن لهم ارادة واختيارا فاعتبر يسرناه فيه أنه لولا تيسير الله درايته على قلب النبى صلى الله عليه وسلم والا فكيف يسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلامه الازلية غير المتناهية وكم أهلكنا فى تيه الضلالة أو تسمع لهم ركزا بالثناء الحسن عليهم والله أعلم بالصواب

﴿ سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون وكلماتها ألف وثلثمائة واحدى وأربعون وآياتها مائة وخمس وثلاثون ﴾

(٧٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ ۞ القراآت طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرأ أبو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وفى الكشاف أن أبا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء والآخرون بتفخيمها الاهله امكثوا بضم الهاء وكذلك فى القصص حمزة انى آنست انى أنا الله بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو لعلى آتيكم بفتح

فى النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن أبيه فى قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال الغى نهر جهنم فى النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال نهر فى النار يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات * وقال آخرون بل عنى بالغى فى هذا الموضع الخسران ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فسوف يلقون غيا يقول خسرانا * وقال آخرون بل عنى به الشر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فسوف يلقون غيا قال الغى الشر ومنه قول الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

* قال أبو جعفر وكل هذه الاقوال متقاربات المعانى وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبى صلى الله عليه وسلم والوادى الذى ذكره ابن مسعود فى جهنم فدخل ذلك فقد لاقى خسرانا وشرا حسبه به شرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ ﴾ يقول تعالى ذكره فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا الا الذين تابوا فراجعوا أمر الله والايمان به وبرسوله وعمل صالحا يقول وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه وأدى فرائضه واجتنب محارمه فأولئك يدخلون الجنة يقول فان أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة دون من هلك منهم على كفره واضاعته الصلاة واتباعه الشهوات وقوله ولا يظلمون شيأ يقول ولا يبخسون من جزاء أعمالهم شيأ ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم وقبل انابتهم الى طاعة ربهم فى جهنم ولكنهم يدخلون مدخل أهل الايمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا ﴾ يقول تعالى ذكره فأولئك يدخلون الجنة جنات عدن وقوله جنات عدن نصب ترجمة عن الجنة ويعنى بقوله جنات عدن بساتين اقامة وقد بينت ذلك فيما مضى قبل بشواهده المغنية عن اعادته وقوله التى وعد الرحمن عباده بالغيب يقول هذه الجنات هى الجنات التى وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب لانهم لم يروها ولم يعاينوها فهى غيب لهم وقوله انه كان وعده مأتيا يقول تعالى ذكره ان الله كان وعده ووعده فى هذا الموضع موعوده وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله وقال بعض نحويى الكوفة خرج الخبر على ان الوعد هو المأتى ومعناه أنه هو الذى يأتى ولم يقل وكان وعده آتيا لان كل ما أتاك فأنت تأتيه وقال ألا ترى

أنك تقول أتيت على خمسين سنة وأتت على خمسون سنة وكل ذلك صواب وقد بينت القول فيه والهاء فى قوله انه من ذكر الرحمن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ يقول تعالى ذكره لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا وهو الهذى والباطل من القول والكلام الا سلاما وهذا من الاستثناء المنقطع ومعناه ولكن يسمعون سلاما وهو تحية الملائكة اياهم وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يقول ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب فى قدر وقت البكرة ووقت العشى من نهار أيام الدنيا وانما يعنى أن الذى بين غدائهم وعشائهم فى الجنة قدر ما بين غداء أحدنا فى الدنيا وعشائه وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لانه لا ليل فى الجنة ولا نهار وذلك كقوله خلق الارض فى يومين وخلق السموات والارض فى ستة أيام يعنى به من أيام الدنيا كما حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال ليس فى الجنة ليل هم فى نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب حدثنا على قال ثنا الوليد عن خليد عن الحسن وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتفهم انفتحى انغلقى فتفعل حدثنى ابن حرب قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا عامر بن يساف عن يحيى قال كانت العرب فى زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء فذاك الناعم فى أنفسهم فأنزل الله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قدر ما بين غدائكم فى الدنيا الى عشائكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال كانت العرب اذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له فأخبرهم الله أن لهم فى الجنة بكرة وعشيا قدر ذلك الغداء والعشاء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ليس بكرة ولا عشى ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون فى الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيها ساعتان بكرة وعشى فان ذلك لهم ليس ثم ليل انما هو ضوء ونور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ يقول تعالى ذكره هذه الجنة التى وصفت لكم أيها الناس صفتها هى الجنة التى نورثها يقول نورث مساكن أهل النار فيها من عبادنا من كان تقيا يقول من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحى وقد ذكرت بعض الرواية ونذكر ان شاء الله باقى ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن أبان العجلى وقبيصة ووكيع وحدثنا سفيان بن وكيع

ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر غير ابن مجاهد على النار هدى ممالة على غير ليث وأبى حمدون وحمدويه وحمزة فى رواية ابن معدان وأبى عمرو والنجارى عن ورش وأبى عمرو وغير ابراهيم وابن حماد أنى أنا ربك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وأبو عمرو ويزيد بكسر الهمزة وفتح الياء نافع الباقون بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل لذكرى انى لى أمرى عينى برأسى (٧٧) انى بفتح الياآت أبو جعفر ونافع وأبو عمرو لى فيها بالفتح حفص والمفضل والاعشى والبرجمى والاصبهانى عن ورش غير أخى اشدد بفتح الياء موصولة ابن كثير غير الخزاعى عن ابن فليح وأبو عمرو وأشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها على التكلم ابن عامر والباقون بضم الاول وفتح الثانى على الامر سولك بالواو أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الآخرون بالهمز ۞ الوقوف طه ○ كوفى ومن قال معناه يا رجل أو يا طالب أو يا هادى لم يقف لتشقى ○ لا للاستثناء يخشى ○ لا بناء على أن تنزيلا بدل تذكرة العلى ○ لان الرحمن مبتدأ استوى ○ الثرى ○ وأخفى ○ الا هو ط الحسنى ○ حديث موسى ○ لئلا يوهم أن اذ ظرف للاتيان هدى ○ ياموسى ○ نعليك ج للابتداء بان مع اتحاد القول طوى ○ ط الا لمن قرأ أنا اخترناك يوحى ○ فاعبدنى ○ لا للعطف لذكرى ○ تسعى ○ فتردى ○ ياموسى ○ عصاى ج لامكان أن يجعل أتوكأ مستأنفا أو حالا والعامل أضمر أو أشير بناء على أن هى بمعنى هذه أخرى ○ ياموسى ○ تسعى ○ ولا تخف قد يلحق السين الاولى ○ آية أخرى ○ لا لتعلق اللام الكبرى ○ ج للآية والاستئناف بالامر على أن المقول متصل طغى ○ صدرى ○ أمرى ○ لا لسانى ○ لا قولى ص لطول الكلام أهلى ○ لا أخى ○ لا وقف لمن قرأ أشدد بفتح الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح الياء فله الوصل ومن قرأ أشدد بضم الهمزة فله الجواز لاتساق الدعاء على الدعاء بلا عاطف أزرى ○ لا أمرى ○ لا لتعلق كى كثيرا ○ بصيرا ○ ياموسى ○ ۞ التفسير فى طه قولان للمفسرين أحدهما أنه من حروف التهجى وقد سلف البحث فى أمثالها والذى زادوه ههنا أمور منها قول الثعلبى الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية

وكأنه أقسم بالجنة والنار ومنها ماروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن الطاء طهارة أهل الدين والهاء هدايتهم وقيل أراد ياطاهرا من الذنوب ياهاديا الى علام الغيوب ومنها قول سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادى وقيل الطاء تسعة فى الحساب والهاء خمسة ومعناه ياأيها البدر القول الثانى أنها كلمة مفيدة ومعناها يارجل مروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبى ثم قال سعيد بن جبير بلسان

القبطية وقال قتادة بلسان اليونانية والسريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبى بلسان عك وهو عك ابن عدنان أخو معد وهو اليوم فى اليمن وعن الحسن أن طه أمر وأصله طأ أمر بالوطء فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه فأمر بأن يطأ الارض بقدميه معا ويؤكده ماروى أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه أى تورمتا فقال له جبرائيل ارفق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى أى تتعب بالعبادة ولكنك بعثت بالحنيفية السهلة وعند الاكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وتحسرك على أن يؤمنوا والشقاء يجىء بمعنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر وأتعب وقيل ان أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك تشقى لانك تركت دين آبائك فرد الله عليهم بأن القرآن هو السبب فى نيل كل سعادة قال جار الله ان جعلت طه تعديدا لأسماء الحروف فقوله ماأنزلنا ابتداء الكلام وان جعلته اسما للسورة فمبتدأ وما بعده خبر وقد أقيم الظاهر وهو القرآن مقام الضمير الرابط وان جعلته قسما فما يتلوه جواب وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا أن الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل والثانى جاز قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن أن تحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى فيه الا بمعنى لكن وفى قوله لتشقى والا تذكرة وجه آخر وهو أنه ماأنزلنا عليك القرآن لتتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة أى ماأنزلنا عليك هذا التعب الشاق الا لهذا الغرض كما يقال ماشافهناك بذلك الكلام لتتأذى الا ليعتبر بك غيرك فانتصب

قال ثنا أبى جميعا عن عمر بن ذر قال سمعت أبى يذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن محمدا قال لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا قال هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن معمر قال ثنا عبد الملك بن عمرو قال ثنا عمر بن ذر قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما نتنزل الا بأمر ربك الى وما كان ربك نسيا قال احتبس جبرائيل عن النبى صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن فأتاه جبرائيل فقال يا محمد وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لبث جبرائيل عن النبى صلى الله عليه وسلم فكأن النبى استبطأه فلما أتاه قال له جبرائيل وما نتنزل الا بأمر ربك الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا قال هذا قول جبرائيل احتبس جبرائيل فى بعض الوحى فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما جئت حتى اشتقت اليك فقال له جبرائيل وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى وما نتنزل الا بأمر ربك قال قول الملائكة حين استراثهم محمد صلى الله عليه وسلم كالتى فى الضحى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال لبث جبرائيل عن محمد اثنتى عشرة ليلة ويقولون قلى فلما جاءه قال أى جبرائيل لقد رثت على حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما نتنزل الا بأمر ربك احتبس عن نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون فى ذلك واشتد ذلك على نبى الله فأتاه جبرائيل فقال اشتد عليك احتباسنا عنك وتكلم فى ذلك المشركون وانما انا عبد الله ورسوله اذا أمرنى بأمر أطعته وما نتنزل الا بأمر ربك يقول بقول ربك ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فقال بعضهم يعنى بقوله ما بين أيدينا من الدنيا وبقوله وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع له ما بين أيدينا يعنى الدنيا وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال ما بين أيدينا من الدنيا وما خلفنا

من

تذكرة على أنه حال أو مفعول له وإذا كانت حالا جاز أن يكون (تنزيلا) بدلا منها وإذا كانت مفعولا لأجله لم يجز أن يكون تنزيلا بدلا منها لان الشيء لا يعلل بنفسه فالانزال لا يعلل بالتنزيل في الظاهر ويجوز أن ينتصب تنزيلا بمضمر أي نزل تنزيلا أو بأنزلنا لان معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة أو على المدح والاختصاص أو بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل أي لمن يؤل أمره إلى الخشية لانه هو المنتفع به ومعنى كون القرآن تذكرة أنه صلى الله عليه وسلم (٧٩) كان يعظهم به وببيانه و(ممن خلق) متعلق بتنزيلا فيكون الظرف لغوا أو بكائنا صفة له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا أمور منها الافتنان في الكلام على عادتهم ومنها تنسيق الصفات مع لفظ الغيبة ومنها التفخيم بالاسناد أولا الى ضمير المتكلم المطاع في أنزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل أنزلنا حكاية كلام جبرائيل فلا التفات و(العلى) جمع العليا تأنيث الاعلى وفي وصف السموات بها دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ويحصل منه تعظيم شأن القرآن بالضرورة فعلى قدر المرسل يكون حال الرسالة ومنه قول الحكماء عقول الرجال تحت لسان أقلامهم وارتفع (الرحمن) على المدح على تقدير هو الرحمن أو هو مبتدأ مشار بلامه الى من خلق والبحث في الاستواء على العرش من جانبي المشبهة والموحدة قد مر مشبعا في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وفي الاعراف في قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم أكد كمال ملكه وملكه بقوله (له ما في السموات) الآية عن محمد بن كعب أن ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وقيل الثور أو الحوت والتحقيق أن الثرى هو التراب الندى وهو ما جاوز البحر من جرم الارض فالذي تحته هو ما بقي من جرم الارض الى المركز فيحتمل أن يكون هنالك أشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب أن الكل لله سبحانه ثم بين كمال علمه بقوله (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) فالسر ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك ما أخطرته ببالك أو السر هذا وأخفى منه ما ستسره وقيل أخفى فعل ماض أي يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلم هو قلت هذا المعنى صحيح لانه تعالى محيط بجميع الاشياء فلا يعزب

من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين * وقال آخرون ما بين أيدينا الآخرة وما خلفنا الدنيا وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بين أيدينا الآخرة وما خلفنا من الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة وما كان ربك نسيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة له ما بين أيدينا من الآخرة وما خلفنا من الدنيا وما بين ذلك ما بين النفختين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله له ما بين أيدينا من الآخرة وما خلفنا من الدنيا * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ما بين أيدينا قال ما مضى أمامنا من الدنيا وما خلفنا ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة وما بين ذلك قال ما بين ما مضى أمامهم وبين ما يكون بعدهم وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأول ذلك له ما بين أيدينا قبل أن نخلق وما خلفنا بعد الفناء وما بين ذلك حين كنا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة لان ذلك لم يجئ وهو جاء فهو بين أيديهم فان الاغلب في استعمال الناس اذا قالوا هذا الامر بين يديك أنهم يعنون به ما لم يجئ وأنه جاء فلذلك قلنا ذلك أولى بالصواب وما خلفنا من أمر الدنيا وذلك ما قد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم اياه وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه ووراءه وما بين ذلك ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا الى الآخرة لان ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين وانما قلنا ذلك أولى التأويلات به لان ذلك هو الظاهر الأغلب وانما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له فتأويل الكلام اذا فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك فانا لا نتنزل من السماء الى الارض الا بأمر ربك لنا بالنزول اليها لله ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا وما بين وقتنا هذا الى قيام الساعة بيده ذلك كله وهو مالكه ومصرفه لا يملك ذلك غيره فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا الا بأمره ايانا به وما كان ربك نسيا يقول ولم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولي اليك بنسيانه اياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الارض تبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه جل ثناؤه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وما كان ربك نسيا قال ما نسيك ربك * القول في تأويل قوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) يقول تعالى ذكره لم يكن ربك يا محمد رب السموات والارض وما بينهما نسيا لانه لو كان نسيا لم يستقم ذلك ولهلك لولا حفظه اياه فالرب مرفوع ردا على قوله ربك

عنه شئ قط ولا يحيط به شئ من الاشياء فلا يطلع على غيوبه أحد الا أن اللفظ يحصل فيه بشاعة اذا حمل على هذا التفسير فلهذا قال صاحب الكشاف وليس بذاك وكيف طابق الجزاء الشرط وأجيب بأن معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك واما أن يكون تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر كأن يقتدى غيره به ومن فوائد الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة وترغيبه في الطاعات ظاهرة و باطنة وقد شرحنا شيأ من حقيقة علمه تعالى في تفسير قوله وعلم آدم الاسماء كلها وفي غير ذلك من المواضع المناسبة فلنقتصر الآن على ذلك ثم ذكر أن الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة دون غيره واعلم أن مراتب التوحيد أربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تأكيد ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يدور في خاطره سوى الاحد الصمد والاول بدون الثاني نفاق والثاني بدون الاول غير مفيد الا اذا لم يجد مهلة كما اذا نظر وعرف ومات و يروى أن ملك الموت مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى اذا رآه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه ذلك و يؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان والاقرار بدون الثالث ايمان المقلد وفيه خلاف مشهور والاصح أنه مقبول وأما المقام الرابع فهو مقام الصديقين والخاصة من عباد الله ومبتداه تفريق ونقض وترك ورفض على ما قرره المحققون وآخره الفناء في الله والبقاء به قال النحويون لا اله الا الله تقديره لا اله في الوجود الا الله وقال أهل العرفان معناه لا اله في الامكان الا الله روى أن موسى بن عمران قال يارب علمني شيأ أذكرك به فقال قل لا اله الا الله فقال كل عبادك يقول فقال قل لا اله الا الله قال انما أردت شيأ تخصني به قال ياموسى لو أن السموات السبع ومن فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله والبحث عن أسماء الله تعالى قد سلف في تفسير البسملة وعن أسمائه الحسنى قد مر في آخر الاعراف في قوله ولله الاسماء الحسنى واعلم أن الموجودات على ثلاثة أقسام كامل لا يحتمل الزيادة والنقصان وهو الله تقدس وتعالى وناقص لا يحتمل الكمال سوى الصورة الكمالية التي جبل عليها كصغير

وقوله فاعبده يقول فالزم طاعته وذل لامره ونهيه واصطبر لعبادته يقول واصبر نفسك على النفوذ لامره ونهيه والعمل بطاعته تفز برضاه عنك فانه الاله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله هل تعلم له سميا يقول هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته والصبر على طاعته مثلا في كرمه وجوده فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ماذلك بموجود * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هل تعلم له سميا يقول هل تعلم للرب مثلا أو شبيها حدثني سعيد بن عثمان التنوخي قال ثنا ابراهيم بن مهدي عن عباد بن عوام عن شعبة عن الحسن ابن عمارة عن رجل عن ابن عباس في قوله هل تعلم له سميا قال شبيها حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مجاهد في هذه الآية هل تعلم له سميا قال هل تعلم له شبيها هل تعلم له مثلا تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تعلم له سميا لا سمي لله ولا عدل له كل خلقه يقر له و يعترف أنه خالقه و يعرف ذلك ثم يقرأ هذه الآية ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله هل تعلم له سميا قال يقول لا شريك له ولا مثل

※ القول في تأويل قوله تعالى ﴿و يقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ﴾ يقول تعالى ذكره و يقول الانسان الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حيا فأبعث بعد الممات و بعد البلاء والفناء انكارا منه ذلك يقول الله تعالى ذكره أولا يذكر الانسان المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على احيائه بعد فنائه وايجاده بعد عدمه في خلق نفسه أن الله خلقه من قبل مماته فأنشأه بشرا سويا من غير شئ ولم يك من قبل انشائه اياه شيأ فيعتبر بذلك و يعلم أن من أنشأه من غير شئ لا يعجز عن احيائه بعد مماته وايجاده بعد فنائه وقد اختلفت القراء في قراءة قوله أولا يذكر الانسان فقرأه بعض قراء المدينة والكوفة أولا يذكر بتخفيف الذال وقد قرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة والحجاز أولا يذكر بتشديد الذال والكاف بمعنى أولا يتذكر والتشديد أعجب الي وان كانت الاخرى جائزة لان معنى ذلك أولا يتفكر فيعتبر

※ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فوربك يا محمد لنحشرن هؤلاء القائلين أئذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا والجثي جمع الجاثي كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا يعني القعود وهو مثل قوله وترى كل أمة جاثية

※ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ يقول تعالى ذكره ثم لنأخذن من كل جماعة

منهم

الانسان من المخلوقات وناقص يتقلب بين الامرين فتارة يصعد الى حيث يخبر عنه بأنه في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتارة يسفل الى أن يقال له ثم رددناه أسفل سافلين والكمال بالحقيقة لما ليس معرض الزوال فلا كمال في الصحة والجاه والمال وانما الكمال في الانتساب الى الكبير المتعال وهو تحقيق نسبة العبدية المنبئة عن عزة الربوبية وكل منتسب الى بلد أو قبيلة فانه يبالغ في مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف أن يذكر ربه بالاسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره (٨١) الهنا حسن الاسم دليل حسن المسمى وحسن المسمى يدل على أنه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الاحسان كما قيل

يا حسن الوجه توق الخنا * لا تخلطن الزين بالشين

فيا حسن الأسماء والصفات لا تردنا عن خوان احسانك محرومين ذكر أن صيادا اصطاد سمكة وكانت له بنت فأخذتها وألقتها في البحر وقالت انها ما وقعت في الشبكة الا لغفلتها الهنا تلك المرأة رحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن قد اصطادنا ابليس وأخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا الى بحرنا وأنت أرحم الراحمين عن محمد بن كعب القرظي أن موسى عليه السلام قال يارب أي خلقك أكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطبا من ذكري قال أي خلقك أعلم قال الذي يلتمس علما الى علمه قال وأي خلقك أعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال وأي خلقك أعظم جرما قال الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا انا لا نتهمك فانا نعلم أن كل ما أحسنت فهو فضل وكل ما لا تفعله بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من أهل الكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي أين الحامدون لله على كل حال ثم تكون التبعة والحساب على من بقي الهي فنحن حمدناك وأثنينا عليك بمقدار قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك وحسن أسمائك وحين عظم شأن القرآن وبين حال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما كلف من أعباء الرسالة قفاه بقصة موسى تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبي معنى (وهل أتاك) أي لم يأتك الى الآن وقد أتاك الآن فتنبه له ويقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا ليتطلع السامع لما يومي اليه وعن مقاتل والضحاك عن ابن

منهم أشدهم على الله عتوا وتمردا فلنبدأن بهم * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا قال نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا يقول أيهم أشد للرحمن معصية وهي معصيته في الشرك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أيهم أشد على الرحمن عتيا يقول عصيا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من كل شيعة قال أمة وقوله عتيا قال كفرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وزاد فيه ابن جريج فلنبدأن بهم * قال أبو جعفر والشيعة هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور يقال من ذلك تشايع القوم اذا تعاونوا ومنه قولهم للرجل الشجاع انه لمشيع أي معان فمعنى الكلام ثم لننزعن من كل جماعة تشايعت على الكفر بالله أشدهم على الله عتوا فلنبدأن باصلائه جهنم والتشايع في غير هذا الموضع التفرق ومنه قول الله عز ذكره وكانوا شيعا يعني فرقا ومنه قول ابن مسعود أو سعد أني أكره أن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول شيعت بين أمتي يعني فرقت * القول في تأويل قوله تعالى (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) يقول تعالى ذكره ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كل شيعة أولاهم بشدة العذاب وأحقهم بعظيم العقوبة وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا قال أولى بالخلود في جهنم * قال أبو جعفر وهذا الذي قاله ابن جريج قول لا معنى له لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعة من الكفرة أشدهم كفرا ولا شك أنه لا كافر بالله الا مخلد في النار فلا وجه وجميعهم مخلدون في جهنم لأن يقال ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المخلدين ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا وقد يحتمل أن يكون معناه ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا والصلي مصدر صليت تصلى صليا والصلي فعول ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل فصارت ياء مشددة * القول في تأويل قوله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) يقول تعالى ذكره وان منكم أيها الناس الا وارد جهنم كان على ربك يا محمد ايرادهموها قضاء مقضيا قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم الدخول ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو قال أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الازرق فقال ابن عباس الورود

عباس أن المراد منه تقرر الخبر فى قلبه أى قد أتاك ذلك فى الزمان المتقدم واذ ظرف للحديث لانه حدث أو المراد اذكر وقت كذا ومظروفه محذوف أى حين رأى نارا كان كيت وكيت قال أهل السير استأذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى أمه وخرج بأهله وولده فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدى ظن أنها من نيران الرعاة وقال الآخرون انه رآها فى شجرة واختلفوا أيضا فى أن الذى رآه كان نارا أم لا قالوا والصحيح أنه كان نارا ليكون صادقا فى خبره اذ الكذب لايجوز على الانبياء ويمكن أن يقال اطلاق اللفظ على ما يشبه مسماه ليس بكذب قيل النار أربعة أقسام نار تأكل ولا تشرب وهى نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهى نار الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تأكل وتشرب وهى نار المعدة ونار لا تأكل ولا تشرب وهى نار موسى عليه السلام وبعبارة أخرى نور بلا حرقة وهى نار موسى وحرقة بلا نور وهى نار جهنم وحرقة ونور وهى نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهى نار الاشجار (فقال لأهله امكثوا) انما جمع لان أهله جمع وهم المرأة والخادم والولد ويجوز أن يخاطب المرأة وحدها ولكن أخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وأيضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تفخيما أى أقيموا فى مكانكم فقد (آنست نارا) أى أبصرت ابصارا لاشبهة فيه أو ابصارا يؤنس به والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك انسان العين لانه يظهر الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الأنس ضد الوحشة لظهور المطلوب وهو المأنوس به قال جار الله لما وجد الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة إن ليوطن أنفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم قائلا (لعلى آتيكم) قال المحققون فيه دلالة على أن ابراهيم عليه السلام لم يكذب البتة لان موسى قبل نبوته احترز عن الكذب المظنون فلم يقل انى آتيكم لئلا يعد ما لم يستيقن الوفاء به فابراهيم وهو أبو الانبياء أولى بالاحتراز من الكذب الصريح والقبس النار المقتبسة فى رأس عود أو فتيلة ونحوهما و(هدى) على حذف المضاف أى ذوى هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى والظاهر أنه أراد قوما يهدونه الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما يهدونه بهداهم فى أبواب الدين وذلك أن همم الابرار معقودة فى جميع أحوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء فى على النار وهو مفعول ثان لاجد أو حال من ذوى هدى أن أهل النار يشغلون المكان القريب منها أو المصطلون بها تكنفوها قياما

الدخول وقال نافع لا فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أوردوها أم لا وقال يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود أوردوها أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك قال فضحك نافع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح قال قال أبو راشد الحرورى ذكروا هذا فقال الحرورى لا يسمعون حسيسها قال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله وان منكم الا واردها والله ان كان دعاء من مضى اللهم أخرجنى من النار سالما وأدخلنى الجنة غانما قال ابن جريج يقول الورود الذى ذكره الله فى القرآن الدخول ليردنها كل بر وفاجر فى القرآن أربعة أوراد فأوردهم النار وحصب جهنم أنتم لها واردون ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله وان منكم الا واردها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا يعنى البر والفاجر ألم تسمع الى قول الله تعالى لفرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وقال ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فسمى الورود فى النار دخولا وليس بصادر حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبى مروان عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررتم عليها وهى خامدة * قال ابن عرفة قال مروان بن معاوية قال بكار بن أبى مروان أو قال جامدة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا مرحوم بن عبد العزيز قال ثنى أبو عمران الجونى عن أبى خالد قال تكون الارض يوما نارا فما أعددتم لها قال فذلك قول الله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار للناس كأنها متن اهالة حتى يستوى عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد أن أمسكى أصحابك ودعى أصحابى قال فيخسف بكل ولى لها ولهى أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم قال وقال كعب ما بين منكبى الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود له شعبتان يدفع به الدفعة فيصرع به فى النار سبعمائة ألف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبى اسحق قال كان أبو ميسرة اذا أوى الى فراشه قال ياليت أمى لم تلدنى ثم يبكى فقيل وما يبكيك يا أبا ميسرة قال أخبرنا أنا واردوها ولم يخبرنا أنا صادرون عنها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن اسمعيل عن قيس قال بكى

وقعودا فهم مشرفون عليها وان كان المكانان مستويين (فلما أتاها) أى أتى النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى أنها أوقدت فأخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كأنها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن أسرع من خمودها فكأنها لم تكن ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرته ساطعة فى السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الأبصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودى (ياموسى) من (٨٣) قرأ (أنى) بالفتح فتقديره نودى بأنى ومن قرأ بالكسر فلأن النداء فى معنى القول أولان التقدير نودى فقيل ياموسى وتكرير الضمير فى انى (أنا ربك) لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى أنه لما نودى ياموسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انى أنا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمعه من جميع جهاتى الست وأسمعه بجميع أعضائى حتى كأن كل جارحة منى صارت أذنا وقيل لعله سمع النداء من جماد كالحصا والشجرة فيكون معجزا وأيضا انه رأى النار فى الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة فعرف أنه لا يقدر عليه أحد الا الله وجوز الاشاعرة أن يكون قد خلق الله تعالى علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوا منه قالوا ان حصول العلم الضرورى بأن ذلك المتكلم هو الله يستلزم العلم الضرورى بوجود الصانع لاستحالة أن تكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلوما بالاستدلال وحصول العلم الضرورى بوجود الصانع ينافى التكليف وبالاتفاق لم يخرج موسى عن التكليف قال القاضى ان كانت النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام فى حصول هذه الخوارق والا وجب أن تكون المعجزات لغيره من الانبياء فى زمانه كشعيب مثلا قال وهذا أولى لان قوله وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى دليل على أنه أول وحى يوحى اليه وعند أهل السنة الارهاص جائز فلم يوجبوا احالة تلك الخوارق الى غيره وعندهم أن الله تعالى أسمعه الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت والمعتزلة أنكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى خلق ذلك النداء فى جسم من الاجساد كالشجرة وهو قادر على ذلك وأهل السنة مما وراء النهر أثبتوا الكلام القديم الا أنهم زعموا أن الذى سمعه موسى صوت خلقه الله فى الشجرة لانه تعالى رتب النداء على أنه أتى النار والمرتب على المحدث محدث ومثله استدلال المعتزلة بقوله (فاخلع نعليك) على أن كلامه تعالى ليس بقديم

عبد الله بن رواحة فى مرضه فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت رأيتك تبكى فبكيت قال ابن رواحة انى قد علمت أنى وارد النار فما أدرى أناج منها أنا أم لا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان قال سمعت السدى يذكر عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وان منكم إلا واردها قال داخلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وان منكم الا واردها قال يدخلها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه فى حجر امرأته فبكى فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكى فبكيت قال انى ذكرت قول الله وان منكم إلا واردها فلا أدرى أنجو منها أم لا ☼ وقال آخرون بل هو المر عليها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منكم إلا واردها يعنى جهنم مر الناس عليها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان منكم الا واردها قال هو المر عليها حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا أبو اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله فى قوله وان منكم إلا واردها قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم ☼ وقال آخرون بل الورود هو الدخول ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة قال أخبرنى عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها وان منكم إلا واردها يعنى الكفار قال لا يردها مؤمن حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمر بن الوليد الشنى قال سمعت عكرمة يقول وان منكم إلا واردها يعنى الكفار ☼ وقال آخرون بل الورود عام لكل مؤمن وكافر غير أن ورود المؤمن المرور وورود الكافر الدخول ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان منكم إلا واردها ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة دعواهم يومئذ ياألله سلم سلم ☼ وقال آخرون ورود المؤمن ما يصيبه فى الدنيا من حمى ومرض ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وان منكم الا واردها حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم قال ثنا اسمعيل بن عبيد الله عن أبى صالح عن أبى هريرة

لان الامر والمأمور معدوم سفه فلا بد أن يكون هذا الامر عند وجود موسى فيكون محدثا أجابت الاشاعرة بأن كلامه الازلى ليس بأمر ولا نهى ولو سلم فأمره بالازل مستمر الى أن صار الشخص مأمورا من غير تغير فى أمره كالقدرة الازلية تتعلق بالمقدور الحادث وأما الحكمة فى الامر بخلع النعلين قال المفسرون لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وهو قول على ومقاتل والكلبى والضحاك وقتادة والسدى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل عظم البقعة عن وطئها الا حافيا يؤيده قوله (انك بالواد المقدس) ومن هنا كره بعضهم الصلاة والطواف فى النعل وكان السلف يطوفون بالكعبة حفاة ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا وقع منه ذلك تصدق وعلى القول الاول لا يكره الا اذا كان غير مدبوغ وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم فى نعليه ثم خلعهما فى الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال مالكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبرائيل أخبرنى أن فيهما قذرا وروى أن موسى خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادى قال الجوهرى (طوى) بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشأم فمن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشئ المثنى أى طوى مرتين أى قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل أن يراد نودى نداءين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه العلى وعن ابن عباس أنه مر بذلك الوادى ليلا فطواه فكان المعنى بالواد المقدس الذى طويته طيا أى قطعته حتى ارتفعت الى أعلاه (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة قيل فيه دلالة على أن النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هى ابتداء عطية من الله وفى هذه الأخبار غاية اللطف والرحمة ولكن فى قوله (فاستمع) نهاية الجلال والهيبة ففى الاول رجاء وفى الثانى خوف كأنه قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له واجعل جميع همتك مصروفة اليه و (لما يوحى) أى للذى هو يوحى أو للوحى متعلق باستمع أو باخترتك ثم قال (انى أنا الله لا اله الا أنا) ورتب عليه (فاعبدنى) ليعلم أن عبادته انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه أمره بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وأيضا قال (وأقم الصلاة) ولم يبين هيآتها أجاب القاضى عن هذا الأخير بأنه لا يمتنع أن موسى عليه السلام قد عرف الصلاة التى تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بأن حمل الخطاب متوجها الى

قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال ان الله يقول هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار فى الآخرة ❊ وقال آخرون يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم ❊ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثنى السدى عن مرة عن عبد الله وان منكم الا واردها قال يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن السدى عن مرة عن عبد الله بنحوه حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أرأيت قول الله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها أم لا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسئل عن الورود فقال نحن يوم القيامة على كوى أو كرى فوق الناس فتدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالاول فينطلق بهم ويتبعونه قال ويعطى كل انسان منافق ومؤمن نورا ويغشى ظلمة ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله فيطفأ نور المنافق وينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا حساب عليهم ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم فى السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة فيشفعون ويخرج من النار من قال لا اله الا الله ممن فى قلبه وزن شعيرة من خير ثم يلقون تلقاء الجنة ويهريق عليهم أهل الجنة الماء فينبتون نبات الشئ فى السيل ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن المبارك عن الحسن قال قال رجل لأخيه هل أتاك بأنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك صادر عنها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رؤى ضاحكا حتى لحق بالله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن بكيرا حدثه أنه قال لبسر بن سعيد ان فلانا يقول ان ورود النار القيام عليها قال بسر أما أبو هريرة فسمعته يقول اذا كان يوم القيامة يجتمع الناس نادى مناد ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون فيقوم هذا الى الحجر وهذا الى الفرس وهذا الى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله فيأتيهم الله فاذا رأوه قاموا اليه فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط وفيه عليق فعند ذلك يؤذن بالشفاعة فيمر الناس والنبيون يقولون اللهم سلم سلم قال بكير فكان ابن عميرة يقول فناج مسلم ومنكوس فى جهنم ومخدوش ثم ناج ❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوى فيها الكفار وورودهموها

هوما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكدس فيها * ذكر الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقالت حفصة يا رسول الله أليس الله يقول وان منكم إلا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجي الله الذين اتقوا حدثنا الحسن بن مدرك قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت يا رسول الله أليس الله يقول وان منكم إلا واردها قال فلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن محمد بن اسحق قال ثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب عن سليمن بن عمرو بن عبد العتواري أحد بني ليث وكان في حجر أبي سعيد قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومجروح به ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم ويحجون حجهم ويغزون غزوهم فيقولون أي ربنا عباد من عبادك كانوا معنا في الدنيا يصلون صلاتنا ويزكون زكاتنا ويصومون صيامنا ويحجون حجنا ويغزون غزونا لا نراهم فيقول اذهبوا الى النار فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم فمنهم من أخذته النار الى قدميه ومنهم من أخذته الى نصف ساقيه ومنهم من أخذته الى ركبتيه ومنهم من أخذته الى ثدييه ومنهم من أخذته الى عنقه ولم تغش الوجوه فيستخرجونهم منها فيطرحونهم في ماء الحياة قيل وما ماء الحياة يا رسول الله قال غسل أهل الجنة فينبتون كما تنبت الزرعة في غثاء السيل ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا اله الا الله مخلصا فيستخرجونهم منها ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من الايمان الا أخرجه منها حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث بن خالد عن يزيد ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله

التأسيس أولى قال لعله قد بين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر ورد بأن البيان أكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان أولى بالحكاية ولقائل أن يقول سلمنا أن المبين أكثر فائدة للمخاطب ولكن لا نسلم أن حكاية المبين أولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغيره لصيرورة بعض هيآت ذلك التكليف منسوخا وان كان أصله باقيا وفي قوله (لذكرى) وجوه لأن اللام اما بمعنى الوقت أو هي للتعليل والذكر اما باللسان أو هو ضد النسيان وياء المتكلم فاعل في الاصل أو مفعول وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف أم لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فمنها أن اللام للتعليل والياء منصوب أي لتذكرني فان ذكرى أن أعبد ويصلى لي أو أراد لتذكرني في الصلاة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والفرق أن اطلاق الذكر على العبادة والصلاة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجاز أو نقول في الاول تكون نفس الصلاة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر أو أراد لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيري ومنها أن المضاف مع ذلك محذوف أي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها أن الياء فاعل أي لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق ومنها أن اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا أي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة ومنها أن يحمل الذكر على ضد النسيان أي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطاب اللسان في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو أراد ذكر الصلاة بعد نسيانها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها فلعل المضاف محذوف أي لذكر صلاتي أو ذكر الصلاة هو ذكر الله فالياء في الاصل منصوب أو الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعي من فاتته صلاة يستحب أن يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب أن يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلاة الوقت جاز الا اذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلاة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلاة الوقت أتمها ثم قضى الفائتة ويستحب أن يعيد صلاة الوقت بعدها وقال أبو حنيفة يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم تزد على صلاة يوم وليلة حتى لو تذكر خلال صلاة الوقت بطلت الا أن يكون الوقت ضيقا فلا تبطل حجة الشافعي ما روي في حديث قتادة أنهم ناموا عن صلاة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يقودوا رواحلهم

ثم صلاها ولو كان وقت الانتباه متعينا للصلاة لما فعل كذلك نعم انه وقت لتقرير الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة أبي حنيفة قوله تعالى أقم الصلاة لذكرى وقوله صلى الله عليه وسلم فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر أن عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق يسب كفار قريش و يقول يارسول الله ماصليت صلاة العصر حتى كادت تغيب الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا والله ماصليتها بعد قال فنزل في البطحاء وصلى العصر بعد ماغابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها وأما القياس فهما صلاتان فريضتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلاتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب أن يكون كذلك حكم الفوائت فيما دون اليوم والليلة وأما اذا دخل في حد الكثرة فيسقط هذا الترتيب ثم لما أمر موسى بالعبادة عامة و بالصلاة التي هي أفضلها خاصة علل ذلك بقوله (ان الساعة آتية) * سؤال كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله (أكاد أخفيها) يكون معناه لا أخفيها وهو باطل لقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله (لتجزى كل نفس) انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيامة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية والجواب لانسلم أن كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بأنها آتية وان كان وقتها غير معين كأنه قال أكاد لا أقول هي آتية لفرط ارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به و بالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال أراد أكاد أخفيها من نفسي أي لو صح اخفاؤها من نفسي لأخفيتها مني وأكدوا ذلك بأنهم وجدوه في مصحف أبي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المخاطبة اذا بالغوا في كتمان الشئ قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب وأراد أنا أخفيها من الخلق كقوله عسى أن يكون قريبا أي هو قريب قاله الحسن وعن أبي مسلم أن أكاد بمعنى أريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا أفعل ذلك ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله وقيل أكاد صلة والمعنى أن الساعة آتية أخفيها وقال أبو الفتح الموصلي الهمزة للازالة أي أكاد أظهرها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ماروى عن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا أظهره وقوله (لتجزى) متعلق بأخفيها كما قلنا أو بآتية فلولا القيامة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وذلك خلاف قضية العدالة والحكمة واحتجاج المعتزلة بالآية ظاهر لانه قال (بما تسعى) أي بسعيها فلو لم يكن

عليه وسلم قال يؤتى بالجسر يعني يوم القيامة فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يارسول الله وما الجسر قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان يمر المؤمنون عليها كالطرف والبرق وكالريح وكأجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس في جهنم ثم يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم بأشد مناشدة لي في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار تبارك وتعالى اذا رأوهم قد نجوا وبقي اخوانهم **حدثني** أحمد بن عيسى قال ثنا سعيد بن كثير بن عفير قال ثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير قال سألت جابر بن عبد الله عن الورود فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو الدخول يردون النار حتى يخرجوا منها فآخر من يبقى رجل على الصراط يزحف فيرفع الله له شجرة قال فيقول أي رب أدنني منها قال فيدنيه الله تبارك وتعالى منها قال ثم يقول أي رب أدخلني الجنة قال فيقول سل قال فيسأل قال فيقول ذلك لك وعشرة أضعافه أو نحوها قال فيقول يارب تستهزئ بي قال فيضحك حتى تبدو لهواته وأضراسه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن أيوب ح **وحدثنا** أبو كريب قال ثنا محمد بن زيد عن رشدين جميعا عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان بحرس لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فان الله تعالى يقول وان منكم الا واردها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات له ثلاثة لم تمسه النار الا تحلة القسم يعني الورود وأما قوله كان على ربك حتما مقضيا فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه كان على ربك قضاء مقضيا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حتما قال قضاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتما مقضيا قال قضاء * وقال آخرون بل معناه كان على ربك قسما واجبا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان قال سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني عن ابن مسعود كان على ربك حتما مقضيا قال قسما واجبا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كان على ربك حتما مقضيا يقول قسما واجبا * قال أبو جعفر وقد بينت القول في ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) يقول تعالى ذكره ثم ننجي من النار بعد ورود جميعهم اياها الذين

اتقوا

أعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب أن اعتبار الوسط لا ينافى انتهاء الكل الى الله واسناد الجزاء الى عنايته الأزلية التى لا علة لها ومعنى الفاء فى (فلا يصدنك) أنه اذا صح عندك انى أخبرتك باتيان الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذى يصدك عن التصديق بالساعة لان قوله ناشئ عن الهوى واتباعه وجوّز أبو مسلم أن يكون الضمير فى (عنها) للصلاة والعرب تذكر شيئين ثم ترمى بضميرهما الى السامع اعتمادا على أنه يرد كلا منهما الى ما هو له وزيف بأن هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا وأما الخطاب فالظاهر أنه لموسى لان الكلام أجمع معه وجوّز بعضهم أن يكون لنبينا عليه السلام والمقصود الامة والنهى عن الصد فى الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهى لموسى عن التكذيب والوجه فيه أن صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب أو صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كأنه قيل كن فى الدين صلبا حتى لا يطمع فى اغوائك الكافر والذى دعا الى هذا النهى البالغ فى معناه هو أن فى المبطلين والجاحدين كثرة وهى مزلة قدم فعلى المرء أن يكون مع المحقين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوى عن التقليد وانذار بأن الردى والهلاك مع اتباع الهوى * وههنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه وزعم القاضى أن فى نسبة الصد الى الكافر بالبعث دليلا على أن القبائح انما تصدر عن العباد وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا قال أهل التحقيق قوله أوّلا لموسى اخلع نعليك اشارة الى التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغى تحصيله وأصول ذلك ترجع الى علم المبدا وهو قوله انى أنا الله والى علم الوسط وهو قوله فاعبدنى وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكرى وهو مشتمل على الأعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة آتية وأيضا انه افتتح الخطاب بقوله وأنا اخترتك وهو غاية اللطف وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى آخره وهو قهر تنبيها على أن رحمته سبقت غضبه وأن العبد لا بد أن يكون سلوكه على قدمى الرجاء والخوف قوله (وما تلك) مبتدأ وخبر و (بيمينك) حال منتصب بمعنى الاشارة أو الاستفهام وجوّز الكوفيون أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك أى ما التى بيمينك قيل لم يقل بيدك لأنه يحتمل أن يكون فى يساره خاتم أو شئ آخر وكان يلتبس عليه الجواب ﴿ أسئلة ما الفائدة فى ...

اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ يقول جل ثناؤه وندع الذين ظلموا أنفسهم فعبدوا غير الله وعصوا ربهم وخالفوا أمره ونهيه فى النار جثيا يقول بروكا على ركبهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونذر الظالمين فيها جثيا قال الجثى شر الجلوس لا يجلس الرجل جاثيا الا عند كرب ينزل به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ان الناس وردوا جهنم وهى سوداء مظلمة فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم فأنجوا منها وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم واحتبسوا بذنوبهم

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أىّ الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على الناس آياتنا التى أنزلناها على رسولنا محمد بينات يعنى واضحات لمن تأملها وفكر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده قال الذين كفروا بالله وبكتابه وآياته وهم قريش للذين آمنوا بذلك فصدقوا به وهم أصحاب محمد أىّ الفريقين خير مقاما يعنى بالمقام موضع اقامتهم وهى مساكنهم ومنازلهم وأحسن نديا وهو المجلس يقال منه ندوت القوم أندوهم ندوا اذا جمعتهم فى مجلس ويقال هو فى ندىّ قومه وفى ناديهم بمعنى واحد ومن الندىّ قول حاتم

ودعيت فى أولى الندىّ ولم * ينظر الىّ بأعين خزر

وتأويل الكلام واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أىّ الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا وأنعم بالا وأفضل مسكنا وأحسن مجلسا وأجمع عددا وغاشية فى المجلس نحن أم أنتم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قوله خير مقاما وأحسن نديا قال المقام المنزل والندىّ المجلس حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى ظبيان عن ابن عباس مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أىّ الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال المقام المسكن والندىّ المجلس والنعمة والبهجة التى كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم فى القرآن فقال كم تركوا من

جوابه أن الصانع الماهر اذا أراد أن يظهر من الشيء الحقير كقطعة من حديد شيأ شريفا كاللبوس المسرد عرضه على الحاضرين ويقول ما هذا حتى انه بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويقول خذوا هذا من ذلك الذى قلتم فكأنه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما فى يمينك وأنه خشبة يابسة حتى اذا قلبه ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة وقال أهل الخطابة انه سبحانه لما أطلعه على تلك الأنوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه تسبيح الملائكة ثم أسمعه كلام نفسه ممازجا باللطف والقهر والتكاليف تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك (٨٨) ياموسى ليعرف موسى أن يمينه هى التى فيها العصا وأيضا انه لما تكلم معه بالكلام الالهية وقرب موسى أن يدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة لا لأن المسؤل عنه مما يقع فيه الغلط كما أن السائل لا يجوز عليه الغلط نظيره حال المؤمن فى القبر يغلبه الوجل والخجل والحياء فيسئل عن أمر لا يشك فيه فى الدنيا وهو التوحيد دفعا للايحاش وجلبا للاستئناس وأيضا لما عرف موسى كمال الالهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر ما ذكر فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أجل مما ذكر تنبيها على أن عقول البشر قاصرة عن خفيات الأمور لولا التوفيق والارشاد * آخر خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بواسطة جبرائيل فيلزم أن يكون موسى أفضل وجوابه المنع بدليل فأوحى الى عبده ما أوحى وبيان الأفضلية أن كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سر لم يتأهل له سواه وأيضا حصل لأمته فى الدنيا شرف التكليم المصلى يناجى ربه وفى الآخرة شرف التسليم والتسليم سلام قولا من رب رحيم وأيضا ان موسى كان عند استغراقه فى بحر المحبة متعلقا بالعصا ومنافعها ومحمد عليه السلام لم يلتفت الى الكونين حين عرضا عليه ما زاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار ولهذا لم يزد فى الثناء حينئذ على قوله أنت كما أثنيت على نفسك * وههنا نكت منها أنه سبحانه لما أشار الى العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك ياموسى حصل فى كل منهما برهان باهر ومعجز قاهر فصار أحدهما وهو الجماد حيوانا والآخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فأى عجب أن ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا ومنها أن العصا صارت بين عين موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذى هو بين اصبعين من أصابع الرحمن حيا ومنها أن العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت سحر السحرة كلهم

جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين فالمقام المسكن والنعيم والندى المجلس والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه وقال الله فيما قص على رسوله فى أمر لوط اذ قال وتأتون فى ناديكم المنكر والعرب تسمى المجلس النادى حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأحسن نديا يقول مجلسا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أى الفريقين قال قريش تقولها لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأحسن نديا قال مجالسهم يقولونه أيضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة وفيهم قشافة فعرض أهل الشرك بما تسمعون قوله وأحسن نديا يقول مجلسا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال الندى المجلس وقرأ قول الله تعالى فليدع ناديه قال مجلسه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) يقول تعالى ذكره وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين اذا تتلى عليهم آيات الرحمن أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا فأهلكنا أموالهم وغيرنا صورهم ومن ذلك قول علقمة بن عبدة

كميت كلون الارجوان نشرته * لبيع الرئى فى الصوان المكعب

يعنى بالصوان التخت الذى تصان فيه الثياب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس أحسن أثاثا ورئيا قال الرئى المنظر والاثاث المتاع حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال الرئى المنظر حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أحسن أثاثا ورئيا يقول منظرا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أحسن أثاثا ورئيا الاثاث المال والرئى المنظر حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله أثاثا ورئيا قال الاثاث أحسن المتاع والرئى قال المال حدثنا

بشر

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بقول الله تبارك وتعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا أي أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا فأهلك الله أموالهم وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله أحسن أثاثا ورئيا قال أحسن صورا وأكثر أموالا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أثاثا قال المتاع ورئيا قال فيما يرى الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ قالا ثنا جرير بن قابوس عن أبيه عن ابن عباس الأثاث المال والرئي المنظر الحسن حدثنا القاسم قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ورئيا منظرا في اللون والحسن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحسن أثاثا ورئيا قال الرئي المنظر والأثاث المتاع أحسن متاعا وأحسن منظرا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله أحسن أثاثا يعني المال ورئيا يعني المنظر الحسن * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وريا غير مهموز وذلك اذا قرئ كذلك يتوجه لوجهين أحدهما أن يكون قارئه أراد الهمزة فأبدل منها ياء فاجتمعت الياء المبدلة من الهمز والياء التي هي لام الفعل فأدغمتا فجعلتا ياء واحدة مشددة ليلحقوا ذلك اذ كان رأس آية بنظائره من سائر رؤس الآيات قبله وبعده والآخر أن يكون من رويت أروي روية وريا واذا أريد به ذلك كان معنى الكلام وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن متاعا وأحسن نظرا لماله ومعرفة لتدبيره وذلك أن العرب تقول ما أحسن روية فلان في هذا الأمر اذا كان حسن النظر فيه والمعرفة به وقرأ ذلك عامة قراء العراق والكوفة والبصرة ورئيا بهمزها بمعنى رؤية العين كأنه أراد أحسن متاعا ومرآة وحكي عن بعضهم أنه قرأ أحسن أثاثا وزيا بالزاي كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا وذلك أن الزي هو الهيئة والمنظر من قولهم زييت الجارية بمعنى زينتها وهيأتها * قال أبو جعفر وأولى القراآت في ذلك بالصواب قراءة من قرأ أثاثا ورئيا بالراء والهمز لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه المنظر وذلك هو من رؤية العين لا من الروية فلذلك كان المهموز أولى به فان قرأ قارئ ذلك بترك الهمز وهو يريد هذا المعنى فغير مخطئ في قراءته وأما قراءته بالزاي فقراءة خارجة عن قراءة القراء فلا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءتهم وان كان لها في التأويل وجه صحيح واختلف أهل العربية في الأثاث أجمع هو أم واحد فكان الأحمر فيما ذكر لي عنه يقول هو جمع واحدتها أثاثة كما الحمام جمع

فقلب المؤمن أولى أن يصير عند نظر الرب في كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى عليه السلام يتم بقوله (هي عصاي) الا أنه زاد على ذلك لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كأنه سئل فما تصنع بها فأخذ في ذكر منافعها وقيل خاف أن ينكر عليه استصحاب العصا كالنعلين ومعنى (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة والتركيب يدور على الشد والايثاق (وأهش بها) أي أخبط الورق بها على رؤس غنمي لتأكله والتركيب يدل على الرخاوة واللين ومنه رجل هش المكسر أي سهل الشأن فيما يطلب من الحوائج وهو مدح وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان ينكسر لرخاوته قال المحققون ان موسى عليه السلام كان يتوكأ على العصا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا مع أمته حسبنا الله ونعم الوكيل فورد في حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أي حسبك وحسب من اتبعك وأيضا انه بدأ بمصالح نفسه في قوله أتوكأ عليها ثم بمصالح رعيته بقوله وأهش بها على غنمي ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل في الدنيا الا باصلاح أمر أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول موسى يوم القيامة نفسي نفسي ومحمد يقول أمتي أمتي ثم قال (ولي فيها مآرب) هي جمع المأربة بضم الراء الحاجة وقد تفتح الراء وحكى ابن الاعرابي وقطرب بكسر الراء أيضا ومثله الارب بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال (أخرى) لان المآرب في معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن آياتنا الكبرى قالوا انما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فتطول مكالمته وقالوا انقطع بالهيبة كلامه فأجمل وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والجراب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عليه السلام كان أحس بأنه تعالى انما سأله عن أمر العصا لمنافع عظيمة فقال الهي ما هذه العصا الا كغيرها ولكنك لما سألت عنها وكانني بسببها عرفت أن لي فيها مآرب أخرى وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين

باللبن واذا ظهر عدو حارب عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام وان كانت قبلها ففى صحة الرواية بعد والا كان الأنسب تقديمها عند تعداد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص أو من معجزات شعيب على ما روى أنه كان قد أعطاها اياه قال أهل النكت ان موسى لما قال ولى فيها مآرب أخرى أراد الله سبحانه أن يعرفه أن فيها مآربة أخرى لا يفطن لها و (قال ألقها يا موسى) و بوجه آخر كان فى رجله شئ وهو النعل وفى يده شئ وهو العصا والرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فأمر بتركهما تنبيها على أن السالك مادام فى مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه وطالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق فى بحر العرفان وفيه أن موسى عليه السلام مع جلالة منصبه وعلو شأنه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل وألقى العصا فأنت مع ألف وقر من المعاصى كيف يمكنك الوصول الى جنابه قال الكعبى الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما أن توجد والعصا فى يده فذلك قولنا أو توجد وهى خارجة عن يده وذلك تكليف بأنه يلقى من يده ما ليس فى يده ويمكن أن يجاب بأن القدرة مع القاء العصا قوله (فاذا هى حية تسعى) وفى موضع آخر فاذا هى ثعبان وفى آخر كأنها جان عبارات عن معبر واحد لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم وأما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف فى الظاهر لا فى التحقيق لانها حين انقلابها كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا آخر الامر أو أنها كانت فى شخص ثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعى وهو المشى بسرعة وخفة حركة والعجب أن موسى قال أتوكأ عليها فصدقه الله تعالى فى ذلك وجعلها متكأه بأن كانت أعظم معجزاته وانما قلبها حية فى ذلك الوقت لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه فان النداء والنور والكلام لم يكن فى ظهور الدلالة كهذه ولان توالى المعجزات كتتابع الخلع والكرامات وأيضا لانه عرضها عليه ليشاهدها و يوطن نفسه عليها حتى لا يخافها عند عدوه فالولى يستر العيوب والعدو يبرز المناقب فى صورة المثالب فكيف اذا وجد مجالا لطعن وقدح وقد مر فى الأعراف أن الحية كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها أربعون ذراعا فلما رأى ذلك الامر العجيب فمما

واحدتها حمامة والسحاب جمع واحدتها سحابة وأما الفراء فانه كان يقول لا واحد له كما أن المتاع لا واحد له قال والعرب تجمع المتاع أمتعة وأماتيع ومتع قال ولو جمعت الاثاث لقلت ثلاثة آثة وأثث وأما الرئى فان جمعه آراء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم القائلين اذا تتلى عليهم آياتنا أى الفريقين منا ومنكم خير مقاما وأحسن نديا من كان منا ومنكم فى الضلالة جائرا عن طريق الحق سالكا غير سبيل الهدى فليمدد له الرحمن مدا يقول فليطول له الله فى ضلالته وليمله فيها املاء ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فليدعه الله فى طغيانه وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة يقول تعالى ذكره قل لهم من كان منا ومنكم فى الضلالة فليمدد له الرحمن فى ضلالته الى أن يأتيهم أمر الله اما عذاب عاجل أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التى وعد الله خلقه أن يجمعهم لها فانهم اذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين فسيعلمون من هو شر مكانا ومسكنا منكم ومنهم وأضعف جندا أهم أم أنتم ويتبينون حينئذ أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾ يقول تعالى ذكره ويزيد الله من سلك قصد المحجة واهتدى لسبيل الرشد فآمن بربه وصدق بآياته فعمل بما أمره به وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدد له من الايمان بالفرائض التى يفرضها عليه ويقر بلزوم فرضها اياه ويعمل بها فذلك زيادة من الله فى اهتدائه بآياته هدى على هداه وذلك نظير قوله واذا أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقد كان بعضهم يتأول ذلك ويزيد الله الذين اهتدوا هدى بناسخ القرآن ومنسوخه فيؤمن بالناسخ كما آمن من قبل بالمنسوخ فذلك زيادة هدى من الله له على هداه من قبل والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا يقول تعالى ذكره والاعمال التى أمر الله بها عباده ورضيها منهم الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات خير عند ربك جزاء لأهلها وخير مردا عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله وأنديتهم التى يفتخرون بها على أهل الايمان فى الدنيا ۞ وقد بينا معنى الباقيات الصالحات وذكرنا اختلاف المختلفين فى ذلك ودللنا على الصواب من القول فيه

فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمر بن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال جلس النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأخذ عودا يابسا فحط ورقه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء اذا ذكر هذا الحديث قال لأهللن الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى اذا رآنى الجاهل حسب أنى مجنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفرأيت يا محمد الذى كفر بآياتنا حججنا فلم يصدق بها وأنكر وعيدنا من أهل الكفر وقال وهو بالله كافر برسوله لأوتين فى الآخرة مالا وولدا وذكر أن هذه الآيات أنزلت فى العاص بن وائل السهمى أبى عمرو بن العاص ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو السائب وسعيد بن يحيى قالا ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب قال كنت رجلا قينا وكان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فقال فاذا أنا مت ثم بعثت كما تقول جئتنى ولى مال وولد قال فأنزل الله تعالى أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا الى قوله ويأتينا فردا حدثنى به أبو السائب وقرأ فى الحديث وولدا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمى بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون أن فى الجنة فضة وذهبا وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذى جئتم به فضرب الله مثله فى القرآن فقال أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا الى قوله ويأتينا فردا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لأوتين مالا وولدا قال العاص بن وائل يقوله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا فذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا فقال أليس يزعم صاحبكم أن

الهائل ملكه من الفزع والنفار ما علك البشر عند الاهوال حتى ذهل عن الدلائل وأخذ يفر ولو أنه بلغ حينئذ مقام ففروا الى الله لم يفر عن شئ أو لعله لما حصل له مقام المكالمة بقى فى قلبه عجب فأراه الله تعالى أنه بعد فى نقص الامكان ولم يفاوت عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده فقد روى أنه لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها قال الشيخ أبو القاسم الانصارى ذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه فى النبوة لان الساحر يعلم أن الذى أتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم أنه خافها لانه عرف ما لقى آدم منها قلت يحتمل أن يكون خوف موسى وهجره اياها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله (سنعيدها سيرتها الاولى) قال جار الله السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أى فى طريقتها الاولى حال ما كانت عصا أو يكون أعاد منقولا بالهمزة من عاده بنزع الخافض بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين أو يكون المراد بالاعادة الانشاء ثانيا ونصب سيرتها بفعل مضمر فى موضع الحال أى سنعيدها تسير سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها ثم قوى أمره بمعجزة ثانية فقال (واضمم يدك الى جناحك) يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيهما والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران أى يميلهما فقيل المراد بالآية تحت العضد بدليل قوله (تخرج) وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بأنه لا يطابقه قوله تخرج قلت لاشك أن الصدر مستور بالقميص فيظهر عند ذلك معنى الخروج ويفسره قوله فى موضع آخر وأدخل يدك فى جيبك والسوء الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة والبرص أبغض شئ عند العرب بحيث تمجه أسماعهم فكان جديرا بأن يكنى عنه ومعنى (بيضاء) أنها تنور كشعاع الشمس قال فى الكشاف من غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعله أراد أن من للتعليل أى ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته ترجع الى الابتداء وبيضاء وآية حالان معا أو متداخلتان واحتمل أن ينتصب آية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ ودونك وقوله (لنريك) اما أن يتعلق بهذا المحذوف أو بمحذوف آخر أى لنريك (من آياتنا) فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندى أن يتعلق بالامرين المذكورين أى ألقها واضمم لنريك قال الحسن اليد فى الاعجاز أعظم

في الجنة حريرا وذهبا قالوا بلى قال فيعادكم الجنة فوالله لا أؤمن بكتابكم الذي جئتم به استهزاء بكتاب الله ولأوتين مالا وولدا يقول الله أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال خباب بن الأرت كنت قينا بمكة فكنت أعمل للعاص بن وائل فاجتمعت لي عليه دراهم فجئت لأتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد قال قلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاذا بعثت كان لي مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الى ويأتينا فردا * واختلفت القراء في قراءة قوله وولدا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وولدا بفتح الواو من الولد في كل القرآن غير أن أبا عمرو بن العلاء خص التي في سورة نوح بالضم فقرأها ماله وولده وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم فانهم قرؤا من هذه السورة من قوله مالا وولدا الى آخر السورة واللتين في الزخرف والتي في نوح بالضم وسكون اللام * وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك اذا ضمت واوه فقال بعضهم ضمها وفتحها واحد وانما هما لغتان مثل قولهم العدم والعدم والحزن والحزن واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر

فليت فلانا كان في بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار

وبقول الحرث بن حلزة

ولقد رأيت معاشرا * قد ثمروا مالا وولدا

وقول رؤبة

الحمد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شيء ولدا

وتقول العرب في مثلها ولدك من دمى عقبيك قال وهذا كله واحد بمعنى الولد وقد ذكر لي أن قيسا تجعل الولد جمعا والولد واحدا ولعل الذين قرؤا ذلك بالضم فيما اختاروا فيه الضم انما قرؤه كذلك ليفرقوا به بين الجمع والواحد * قال أبو جعفر والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي أن الفتح في الواو من الولد والضم فيها بمعنى واحد وهما لغتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب غير أن الفتح أشهر اللغتين فيهما فالقراءة به أعجب الي لذلك وقوله أطلع الغيب يقول عز ذكره أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب فعلم أن له في الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه أم اتخذ عند الرحمن عهدا يقول أم آمن بالله وعمل بما أمر به وانتهى عما نهاه عنه فكان له بذلك عند الله عهدا أن يؤتيه ما يقول من المال والولد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

عن

من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بأنه ليس في اليد الا تغير اللون وأما في العصا ففيه تغير اللون والزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى وجوز في الكشاف أن يكون المراد لنريك بهما الكبرى من آياتنا ورد عليه لزوم أن تكون الآيات الكبرى منحصرة فيهما وليس كذلك فان معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكبر من الكل وكفاك بالقرآن شاهدا على ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال (اذهب الى فرعون) وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة في ذلك فقال (انه طغى) وعن وهب أن الله تعالى (٩٣) قال لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وبسمعي وان معك يدي وبصري واني ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وأنكر تقديسي واني أقسم بعزتي لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار شديدة ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا تغتر بلباس الدنيا وان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة أيام ثم جاءه ملك فقال له أجب ربك فيما أمرك فعند ذلك (قال رب اشرح لي صدري) قال علماء المعاني أبهم أولا بقوله رب اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين فرفع الابهام بذكر الصدر والامر وكان أوكد من جهة الاجمال ثم التفصيل كان في صدر موسى ضيق كما جاء في موضع آخر ويضيق صدري فسأل الله أن يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما أنزل عليه من الوحي وقيل أراد شجعني على مخاطبة فرعون وعلى تحمل أعباء الرسالة واعلم أن الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق في سياق البقرة في تفسير قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني فاني قريب ولنذكر ههنا نكتا شريفة الأولى أنه تعالى كامل في الازل الا أنه غير مكمل في الازل لان التكميل هو جعل الشيء كاملا ولا شيء معه في الازل فلا تكميل وذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم عددا مفصلا لحركات أهل الجنة لان كل ماله عدد مفصل فهو متناه وحركات أهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا لقصور في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول ولما كان الغرض من التكوين تكميل الناقصين وكان الوجود أول صفة من صفات الكمال أجلس الله سبحانه على [illegible] بعض المعدومات لا على [illegible] أجلس الكل علم المدخل في الوجود مالا نهاية له ولانتهت القدرة الذاتية لامتناع ايجاد الموجود وكما

أن رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات دون بعض حتى صار ذلك البعض حيا مدركا للمنافى والملائم واللذة والألم والخير والشر فقال الأحياء عند ذلك يا رب الأرباب شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحياة ولكن ازدادت حاجتنا لانا حال العدم وحال الجمادية ما كنا نحتاج الى الملائم والمخالف والموافق وما كنا نخاف المنافى والمؤذى والآن احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافى فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد فى الطريق عرضة للآفات وهدفا للسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص بعض الموجودات بالحياة فقال القادرون عند ذلك الهنا الجواد الكريم ان الحياة والقدرة بلا عقل لا تكون الا للبهائم المسخرة فى حمل الاثقال فأفض علينا من العقل الذى هو أشرف مخلوقاتك فأعطى بعضهم العقل فحصل فى أرواحهم نور البصيرة وجوهر الهداية ختامه مسك كما أن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كان أفضل المخلوقات فنظر العقل فى نفسه فرأى نفسه كالحقة المملوءة من الجواهر بل كسماء مزينة بالزواهر وهى العلوم الضرورية البديهية المركوزة فى بداية العقول وصرائح الأذهان يهتدى بها السائرون فى ظلمات بر الشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الأرقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فغلبته دهشة الأنوار الأزلية وكاد يغرق فى بحر الفكر ويضيق عليه نطاق التأمل والتدبر ويقع فى تجاذب أيدى الأعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى فانتهاء جميع الحوادث اليه وتيسير الأمور الكلية والجزئية من عنده وهو الذى يعطى القابل قابليته والفاعل فاعليته * الثانية انه تعالى خاطبه أولا بالتوحيد انني أنا الله لا اله الا أنا وثانيا بالعبادة فاعبدنى وثالثا بمعرفة المعادات الساعة آتية ورابعا بمعرفة الحكمة فى جملة أفعاله وما تلك بيمينك وخامسا بعرض المعجزات الباهرة عليه لنريك من آياتنا الكبرى وسادسا بارساله الى أعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا لضيق العطن وانحلال عقدة الصبر فلا جرم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وههنا دقيقة هى أن شرح الصدر مقدمة لسطوع الأنوار الالهية فى القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما أعطى موسى المقدمة بقوله فاستمع نسج موسى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لى صدرى ولما آل الأمر الى محمد وكان خاتم النبيين ومقصودا من الكائنات وخاطبا بقوله ألم نشرح لك صدرك أوتى النتيجة فقيل له وقل رب زدنى علما ووصف بقوله وسراجا منيرا

عن قتادة أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا بعمل صالح قدمه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله كلا ليس الأمر كذلك ما اطلع الغيب فعلم صدق ما يقول وحقيقة ما يذكر ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالايمان بالله ورسوله والعمل بطاعته بل كذب وكفر ثم قال تعالى ذكره سنكتب ما يقول أى سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه القائل لأوتين فى الآخرة مالا وولدا ونمد له من العذاب مدا يقول ونزيده من العذاب فى جهنم بقيله الكذب والباطل فى الدنيا زيادة على عذابه بكفره بالله وقوله ونرثه ما يقول يقول عز ذكره ونسلب هذا القائل لأوتين فى الآخرة مالا وولدا ماله وولده ويصير لنا ماله وولده دونه ويأتينا هو يوم القيامة فردا وحده لا مال معه ولا ولد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل * ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ونرثه ما يقول ماله وولده وذلك الذى قال العاصى ابن وائل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونرثه ما يقول ويأتينا فردا لا مال له ولا ولد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ونرثه ما يقول قال ما عنده وهو قوله لأوتين مالا وولدا وفى حرف ابن مسعود ونرثه ما عنده حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونرثه ما يقول قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال ويأتينا فردا قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ونرثه ما يقول (١) نرثه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ يقول تعالى ذكره واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزا يمنعونهم من عذاب الله ويتخذون عبادتهموها عند الله زلفى وقوله كلا يقول عز ذكره ليس الامر كما ظنوا وأملوا من هذه الآلهة التى يعبدونها من دون الله فى أنها تنقذهم من عذاب الله وتنجيهم منه ومن سوء ان أراده بهم ربهم وقوله سيكفرون بعبادتهم يقول عز ذكره ولكن سيكفر الآلهة فى الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة اياها وكفرهم بها قيلهم لربهم تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك وتبرؤا منهم وذلك كفرهم بعبادتهم وأما قوله ويكونون عليهم ضدا فان

(١) كذا فى ابن كثير أيضا والذى فى الدر عن ابن عباس ونرثه ما يقول ماله وولده كتبه مصححه

أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وتكون آلهتهم عليهم عونا وقالوا الضد العون ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويكونون عليهم ضدا يقول أعوانا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويكونون عليهم ضدا قال عونا عليهم تخاصمهم وتكذبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويكونون عليهم ضدا قال أوثانهم يوم القيامة في النار * وقال آخرون بل عني بالضد في هذا الموضع القرناء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويكونون عليهم ضدا يقول يكونون عليهم قرناء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويكونون عليهم ضدا قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ضدا قال قرناء في النار * وقال آخرون معنى الضد ههنا العدو ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ويكونون عليهم ضدا قال أعداء * وقال آخرون معنى الضد في هذا الموضع البلاء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويكونون عليهم ضدا قال يكونون عليهم بلاء الضد البلاء والضد في كلام العرب هو الخلاف يقال فلان يضاد فلانا في كذا اذا كان يخالفه في صنيعه فيفسد ما أصلحه ويصلح ما أفسده واذ كان ذلك معناه وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرؤن منهم وينتفون يومئذ صاروا لهم أضدادا فوصفوا بذلك * وقد اختلف أهل العربية في وجه توحيد الضد وهو صفة لجماعة فكان بعض نحويي البصرة يقول وحد لانه يكون جماعة وواحدا مثل الرصد والأرصاد قال ويكون الرصد أيضا الجماعة وقال بعض نحويي الكوفة وحد لان معناه عونا وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك الأزدي يقرأ كلا سيكفرون يعني الآلهة كلها انهم سيكفرون بعبادتهم * القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله تؤزهم يقول تحركهم بالاغواء والاضلال فتزعجهم الى معاصي الله وتغريهم بها حتى يواقعوها أزا ازعاجا واغواء

فشرح الصدر هو أن يصير الصدر قابلا للنور والسراج المشير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين الآخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من أمة محمد * الثالثة انه تعالى ذكر عشرة أشياء ووصفها بالنور أحدها وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذي أنزل معه ورابعها الايمان يريدون أن يطفؤا نور الله وخامسها عدل الله وأشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فكأن موسى عليه السلام قال أولا رب اشرح لي صدري بمعرفة أنوار جلال كبريائك وثانيا رب اشرح لي صدري بالتخلق بأخلاق رسلك وأنبيائك وثالثا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال أمرك ونهيك ورابعا رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بالهيتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على أسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا رب اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى أنوار جلالك وعزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لي صدري عن مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع آياتك ومعاقد بيناتك في أرضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري في أن أكون خلف صدق أنبيائك المتقدمين متشبها بهم في الانقياد لحكم رب العالمين وعاشرا رب اشرح لي صدري بأن تجعل سراج الايمان كالمشكاة التي فيها المصباح * الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج يحتاج الى سبعة أشياء زند وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق * ونحو منع الهوى ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وأنيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلاة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لأزيدنكم والدهن الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا اصلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي أن تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء فقال رب اشرح لي صدري فهنالك تسمع قد أوتيت سؤلك ياموسى * الخامسة هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر أفضل من الشمس الجسمانية لوجوه أحدها الشمس يحجبها الغيم وشمس المعرفة لا تحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب

* وبنحوماقلنافى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أزا يقول تغريهم اغراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تؤز الكافرين اغراء فى الشرك امض امض فى هذا الامر حتى توقعهم فى النار امضوا فى الغى امضوا حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس عن جويبر عن الضحاك فى قوله تؤزهم أزا قال تغريهم اغراء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تؤزهم أزا قال تزعجهم ازعاجا فى معصية الله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قول الله تؤزهم أزا قال تزعجهم الى معاصى الله ازعاجا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تؤزهم أزا قال تزعجهم ازعاجا فى معاصى الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال تؤزهم أزا قال تشليهم اشلاء على معاصى الله تبارك وتعالى وتغريهم عليها كما يغرى الانسان الآخر على الشئ يقال منه أززت فلانا بكذا اذا أغريته به أؤزه أزا وأزيزا وسمعت أز القدر وهو صوت غليانها على النار ومنه حديث مطرف عن أبيه أنه انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يقول عز ذكره فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك يا محمد انما نعد لهم عدا يقول فانما نؤخر اهلاكهم ليزدادوا اثما ونحن نعد أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما نعد لهم عدا يقول أنفاسهم التى يتنفسون فى الدنيا فهى معدودة كسنهم وآجالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾ يقول تعالى ذكره يوم نجمع الذين اتقوا فى الدنيا فخافوا عقابه فاجتنبوا لذلك معاصيه وأدوا فرائضه الى ربهم وفدا يعنى بالوفد الركبان يقال وفدت على فلان اذا قدمت عليه وأوفد القوم وفدا على أميرهم اذا بعثوا من قبلهم بعثا والوفد فى هذا الموضع بمعنى الجمع ولكنه وحد لانه مصدر واحدهم وافد وقد يجمع الوفد الوفود كما قال بعض بنى حنيفة

انى لممتدح فما هو صانع * رأس الوفود مزاحم بن جساس

وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذى أسرى بعبده ليلا الليل للعاشقين ستير ياليت أوقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى أصلها ثابت وفرعها فى السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر انكسفت وشمس توحيد المعرفة وهى أشهد أن لا اله الا الله اذا لم تقرن بقمر النبوة وهى أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل نوره الى عالم الجوارح وخامسها الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجوه يوم تبيض وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجى من الاحراق جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وسابعها الشمس تصعد والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها فى الدنيا والمعرفة منفعتها فى الدارين فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وبوجه آخر الشمس زينة لأهل الارض والمعرفة زينة لأهل السماء وتاسعها الشمس فوقانى الصورة تحتانى المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه أن الخيبة مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف أحوال الخلق والمعرفة توصل القلب الى الخالق والشمس تقع على الولى والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولى ولما كان شرح الصدر الذى هو أول مراتب الروحانيات أشرف من أعلى مراتب الجسمانيات بدأ موسى بطلبه قائلا رب اشرح لى صدرى السادسة الشمس سراج أوقدها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقده للبقاء يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والذى خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق يجد له شهابا رصدا والذى خلقه للبقاء كيف يقرب منه الشيطان رب اشرح لى صدرى وأيضا الشمس فى السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها الا انها فى قلبك أولى أن تزيل ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وأيضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان أفلا يمده وهو معنى قوله رب اشرح لى صدرى وأيضا اذا كان فى البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانه سبحانه قد أوقد سراج المعرفة فى قلبك فكيف يقرب الشيطان منه رب اشرح لى صدرى وأيضا المجوس اذا أوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا أوقد سراج المعرفة فى قلبك كيف يرضى باطفائها رب اشرح لى صدرى * السابعة أنه سبحانه أعطى قلب المؤمن تسع كرامات أحدها أومن كان ميتا فأحييناه وقال صلى الله

عليه وسلم من أحيا أرضا ميتة فهي له فيعلم أنه لما خلق أرض القلب فأحياها بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب. وثانيها الشفاء و يشف صدور قوم مؤمنين وفيه أنه اذا وضع الشفاء في العسل بقيت تلك الخاصية فيه أبدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى أبدا وثالثها الطهارة أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه أن الصائغ اذا امتحن الذهب فبعد ذلك لا يدخله في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعده ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يهدي نفسك والقرآن يهدي روحك والمولى يهدي قلبك والاول قد يحصل وقد لا يحصل انك لا تهدي من أحببت وكذا الثاني يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا وأما هداية القلب فلا تزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة أولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه أن القرطاس اذا كتب فيه القرآن لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع أحكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وأيضا ان بشرا الحافي أكرم قرطاسا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله أولى بذلك وأيضا ان القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم قدره حتى انه لا يجوز للجنب والحائض مسه فالقلب الذي فيه أكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث أن يمسه وسادسها هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين وفيه أن أبا بكر لما نزلت عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا بد أن يقال له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفيه أن الدهقان اذا ألقى في الارض حبة فهو لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين ألقى حبة المحبة في أرض القلب كيف يحرقها وثامنها وألف بين قلوبكم وفيه أن محمدا حين ألف بين قلوب أصحابه ما تركهم غيبة ولا حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فأكرم الاكرمين وأرحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها الطمأنينة ألا بذكر الله تطمئن القلوب وفيه أن الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي للمهمات لا يكون الا من له كمالات غير متناهيات فلا يزيل قلق الحوائج واضطراب الاماني الا الله سبحانه و بازاء هذه الكرامات وردفي حق الكفار اضدادها فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم في قلوبهم مرض قلوبهم قاسية انا جعلنا

وقد يكون الوفود في هذا الموضع جمع وافد كما الجلوس جمع جالس * و بنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا ابن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن اسمعيل عن رجل عن أبي هريرة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يقول ركبانا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس الملائي قال ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة وأطيبها ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الى الرحمن وفدا قال وفدا الى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على النجائب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال سمعت سفيان الثوري يقول يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل النوق وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يقول تعالى ذكره ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا الى جهنم عطاشا والورد مصدر من قول القائل وردت كذا أرده وردا ولذلك لم يجمع وقد وصف به الجمع * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يقول عطاشا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن اسمعيل عن رجل عن أبي هريرة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا حدثني يعقوب والفضل بن صباح قالا ثنا اسمعيل بن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن يونس عن الحسن مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الى جهنم وردا قال ظماء الى النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا سوقوا اليها وهم ظماء عطاش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال سمعت سفيان [illegible]ل في قوله

ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يقول تعالى ذكره لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد يوم يحشر الله المتقين اليه وفدا الشفاعة حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم لبعض إلا من اتخذ منهم عند الرحمن فى الدنيا عهدا بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار بما جاء به والعمل بما أمر به كما حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال العهد شهادة أن لا اله الا الله ويتبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال عملا صالحا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا أى بطاعته وقال فى آية أخرى لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان فى أمتى رجلا ليدخلن الله بشفاعته الجنة أكثر من بنى تميم وكنا نحدث أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى المليح عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شفاعتى لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيأ ومن فى قوله الا من فى موضع نصب على الاستثناء ولا يكون خفضا بضمير اللام ولكن قد يكون نصبا فى الكلام فى غير هذا الموضع وذلك كقول القائل أردت المرور اليوم الا العدو فانى لا أمر به فيستثنى العدو من المعنى وليس ذلك كذلك فى قوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا لأن معنى الكلام لا يملك هؤلاء الكفار الا من آمن بالله فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا فانه ينبغى أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا فيكون معناه عند ذلك إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا فأما اذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين فان من تكون حينئذ نصبا على أنه استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لا يملكون الشفاعة لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه لقد جئتم أيها الناس شيأ عظيما من القول منكرا ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال

على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ختم الله على قلوبهم أم على قلوب أقفالها بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والهرب من أضدادها قال موسى رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ۞ الثامنة فى حقيقة شرح الصدر وذلك أن لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بأن يكون متعلق القلب الاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بأن يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل فى موضع واحد ظهر أثرها وقويت فائدتها فسأل موسى ربه أن يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها (٩٧) بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لى صدرى أو نقول انه لما كلف بضبط الوحى فى قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق فى قوله فاعبدنى فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لى صدرى أو نقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم فى الدارين صغروا فى عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة الى شئ مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شئ من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب بل الصدر النور رب اشرح لى صدرى ۞ التاسعة لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والفؤاد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذى يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهيد الذى يشتغل بالضرب والتأديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك مطاع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا أخرج الروح وزيره وهو العقل أخرج الشيطان فى مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو الى الله تعالى والهوى الى الشيطان ثم ان الروح أخرج الفطنة اعانة للعقل فأخرج الخصم فى مقابلته الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحسن لذات الدنيا ثم ان الروح أمد الفطنة بالفكرة لتوقفك على الحاضر والغائب من المعايب على ما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة فأخرج الشيطان فى مقابلة الفكرة الغفلة ثم أخرج

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله شيئا إدا يقول قولا عظيما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لقد جئتم شيئا إدا يقول لقد جئتم شيئا عظيما وهو المنكر من القول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله شيئا إدا قال عظيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله شيئا إدا قال عظيما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد جئتم شيئا إدا قال جئتم شيئا كبيرا من الامر حين دعوا الرحمن ولدا وفى الإد لغات ثلاث يقال لقد جئت شيأ إدا بكسر الالف وأدا بفتح الالف وآدا بفتح الالف ومدها على مثال ماد فاعل وقرأه قراء الامصار بكسر الالف وبها نقرأ وقد ذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ ذلك بفتح الالف ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قراء الامصار والعرب تقول لكل أمر عظيم إد وإمر ونكر ومنه قول الراجز

لقد لقى الاعداء منى نكرا * داهية دهياء إدا إمرا

ومنه قول الآخر (١) * فى لهث منه وحبل إدا *

وقوله تكاد السموات يتفطرن منه يقول تعالى ذكره تكاد السموات يتشققن قطعا من قيلهم اتخذ الرحمن ولدا ومنه قيل فطر نابه اذا انشق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا الرحمن ولدا قال ان الشرك فزعت منه السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك احسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة قالوا يارسول الله فمن قالها فى صحته قال تلك أوجب وأوجب ثم قال والذى نفسى بيده لو جىء بالسموات والأرضين ومن فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن فى كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا اله الا الله فى الكفة الأخرى لرجحت بهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا

(١) لم نعثر عليه محرره

ذكر

الروح الحلم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فأخرج الشيطان بازالة العجلة والسرعة فلهذا قال صلى الله عليه وسلم ما دخل الرفق فى شئ الا زانه وما دخل الخرق فى شئ الا شانه وخلق السموات والارض فى ستة أيام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه هى الخصومة الواقعة بين الصفين وقلبك ومدركك هو المعركة ثم ان لهذا الصدر الذى هو القلعة خندقا وهو الزهد فى الدنيا وله سور وهو الرغبة فى الآخرة فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده فانهزموا وان كان بالضد دخل الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء الظن بالله ومن النميمة والغيبة وسائر الخصال الذميمة ويحصر الملك فى القصر ويضيق الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق وأخرج هذا العسكر من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لى صدرى * النكتة العاشرة فى الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام أفمن شرح الله صدره للاسلام والقلب مقر الايمان حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد انما يتذكر أولو الالباب أى الذين خرجوا من قشر الوجود المجازى وبقوا بلب الوجود الحقيقى ثم ان القلب كاللوح المحفوظ فى العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة التوفيق وألقاها فى بحار أمواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رخاء السعادة تارة ودبور الادبار أخرى فحينئذ يضطر الراكب الى التماس أنوار الهدايات وطلب انفتاح أبواب السعادات فيقول رب اشرح لى صدرى وانما سأل موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وأيضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والجواد يكفيه الاشارة فاذا علم أنه طالب للمقدمة فلا يليق بكرمه أن يمنعه النتيجة وأيضا انه راعى الادب فى الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم أعطى المقصود فقال قد أوتيت سؤلك ياموسى وحين اجترأ فى طلب الرؤية بقوله أرنى أنظر اليك أجيب بقوله لن ترانى واعلم أن جميع الماهيات الممكنة كالبلور الصافى الموضوع فى مقابلة شمس القدس ونور العظمة ومشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة اليها بأسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحرق القلب ومعلوم أن المحرق كلما كان أكثر كان الاحتراق أتم فلهذا قال موسى رب اشرح لى صدرى حتى أقوى على ادراك درجات الممكنات وأصل الى مقام الاحتراق بأنوار الجلال كما قال

نبينا صلى الله عليه وسلم أرني الاشياء كما هي وههنا دقيقة وهي أن موسى لما زاد لفظة لي في قوله رب اشرح لي دون أن يقول رب اشرح صدري علم أنه أراد أن تعود منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيامة نفسي نفسي وان نبينا صلى الله عليه وسلم لما لم ينس أمته في مقام القرب اذ قيل له السلام عليك أيها النبي فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيامة أمتي أمتي وشتان ما بين نبي يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لي صدري وبين نبي يخاطب أولا بقوله ألم نشرح لك صدرك ولا يخفى أن المراد بالشرح والتيسير عند أهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الالطاف المسهلة فانه يحتمل أن يكون هنالك من الالطاف ما لا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال أما قوله سبحانه (واحلل عقدة من لساني) فاعلم أن النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بغير توسط العاطف كأنه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفي لسان الشاعر وهو زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وعن علي كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة مصورة أو بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء بأصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفي مناظرة آدم والملائكة لم تظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق وهذا النطق وان كان في التحقيق هو ادراك المعاني الكلية لكن النطق اللساني لا ريب أنه أظهر خواص الآدمي وقد نيط به أمر تمدنه والتعبير عما في ضميره فقول موسى رب اشرح لي صدري اشارة الى طلب النور الواقع في القلب وقوله ويسر لي أمري رمز الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب لسهولة أسباب التكميل لان اللسان آلة الافاضة والافادة وبه يتيسر ذلك الخطب الجسيم والمنصب العظيم

وحسبك بالفتى شرفا وفخرا * سكوت الحاضرين وأنت قائل

ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم الصمت حكمة وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفي نوابغ الكلم يا بني ق فالك لا تقرع فمالك ومنها أن الكلام خمسة أقسام فالذي ضرره خالص أو غالب أو مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذي نفعه خالص أو غالب عسر المراعاة فالاولى تركه ومنها أنه ما من موجود أو معدوم معلوم أو موهوم الا واللسان يتناوله باثبات أو نفي بحق أو بباطل بخلاف سائر الاعضاء فالعين لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات والحروف واليد لا تصل الا الى الاجسام وكذا باقي الجوارح أما اللسان فانه رحب الميدان واسع

ذكر لنا أن كعبا كان يقول غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا وقوله وتنشق الارض يقول وتكاد الارض تنشق فتتصدع من ذلك وتخر الجبال هدا يقول وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطا والهد السقوط وهو مصدر هددت فأنا أهده هدا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وتخر الجبال هدا يقول هدما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وتخر الجبال هدا قال الهد الانقضاض حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتخر الجبال هدا قال غضبا لله قال ولقد دعاه هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذي غضبت السموات والارض والجبال من قولهم لقد استتابهم ودعاهم الى التوبة فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قالوا هو وصاحبته وابنه جعلوهما الهين معه وما من اله الا اله واحد الى قوله ويستغفرونه والله غفور رحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا﴾ يقول تعالى ذكره وتكاد الجبال أن تخر انقضاضا لأن دعوا للرحمن ولدا فأن في موضع نصب في قول بعض أهل العربية لاتصالها بالفعل وفي قول غيره في موضع خفض بضمير الخافض وقد بينا الصواب من القول في ذلك في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقال أن دعوا للرحمن ولدا يعني بقوله أن دعوا أن جعلوا له ولدا كما قال الشاعر

ألا رب من تدعو نصيحا وان تغب * تجده بغيب غير منتصح الصدر

وقال ابن أحمر

أهوى لها مشقصا حشرا فشبرقها * وكنت أدعو قذاها الاثمد القردا

وقوله وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا يقول وما يصلح لله أن يتخذ ولدا لأنه ليس كالخلق الذين تغلبهم الشهوات وتضطرهم اللذات الى جماع الاناث ولا ولد يحدث الا من أنثى والله يتعالى عن أن يكون كخلقه وذلك كقول ابن أحمر

في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * ما ينبغي دونها سهل ولا جبل

يعني لا يصلح ولا يكون ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا يقول ما جميع من في السموات من الملائكة وفي الارض من البشر والانس والجن الا آتي الرحمن عبدا يقول الا يأتي ربه يوم القيامة عبدا له ذليلا خاضعا مقرا له بالعبودية لا نسب بينه وبينه وقوله آتي الرحمن انما هو

المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى آلات وأدوات للمعصية به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصاف أن الصمت في نفسه ليس بفضيلة لانه أمر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عددها ذلك القائل فيرجع الحق الى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قال خيرا فغنم أو سكت فسلم قالوا ترك الكلام له أربعة أسماء الصمت وهو أعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق كقولهم مال ناطق أو صامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وأنصتوا (١٠٠) والاصاخة وهو الاستماع الى ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد أما العقدة فقيل انها كانت في أصل خلقته وعن ابن عباس أنه في حال صباه أخذ بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده فقالت آسية انه صبي لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمرة والجمرة وقيل بالياقوت والجمر فأحضرا بين يديه فأراد مد اليد الى الياقوت فحول جبرائيل يده الى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه فظهر به تعقد وتحبس عن بعض الحروف فان صحت هذه الرواية فالنار انما أحرقته وأثرت فيه اطفاء لثائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكما في حق موسى حين ألقي في التنور ويروى أن يده احترقت أيضا وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم يبرأ ولما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء أنه لم تبرأ يده لئلا ينعقد بينه وبين فرعون حرمة المؤاكلة من قصعة واحدة وقيل لم تحرق يده لان الصولة ظهرت باليد وانما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا أبت * وما الحكمة في طلب حل العقدة الأظهر كيلا يقع في أداء الرسالة خلل فلهذا (قال يفقهوا قولي) وقيل لان العقدة في اللسان قد تقتضي الاستخفاف بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار المعجزة فكما أن حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله (قد أوتيت سؤلك يا موسى) والاصح أنه بقي بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين أي يقارب أن لا يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنه رتة أي عجمة في الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وفي تنكير عقدة أي عقدة من عقد دلالة على أنه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة وقال أهل

يعمل

فاعل من أتيته فانا آتيه * القول في تأويل قوله تعالى (لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) يقول تعالى ذكره لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم وعدهم عدا فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم وعرف عددهم فلا يعزب عنه منهم أحد وكلهم آتيه يوم القيامة فردا يقول وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله ولا دافع عنه فيقضي الله فيه ما هو قاض ويصنع به ما هو صانع * القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا بالله ورسله وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم فعملوا به فأحلوا حلاله وحرموا حرامه سيجعل لهم الرحمن ودا في الدنيا في صدور عباده المؤمنين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن مسلم الملائي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال حبا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق حدثني يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن عبيد المكتب عن مجاهد في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في المسلمين في الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى خلقه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا علي بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يحبهم ويحببهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن قتادة في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال ما أقبل عبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وزاده من عنده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا إي والله في قلوب أهل الايمان ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه الى الله الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن عثمان بن عفان كان يقول ما من الناس عبد

التحقيق وذلك لان حل العقدة بالكلية نصيب محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن فلما كان ذلك حقا اليتيم أبى طالب لا جرم مادار حوله ومن مطالب موسى قوله (واجعل لى وزيرا من أهلى هرون) قال أهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره أو من الموازرة وهى المعاونة فيكون من الأزر والقوة ومنه قوله تعالى (اشدد به أزرى) أى ظهرى لانه محل القوة قال الجوهرى آزرت فلانا أى عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس أزيرا بالهمز على ما حكى عن الاصمعى ووجه القلب حمل فعيل على مفاعل لاتحاد معنيهما فى نحو عشير وجليس وصديق وغيرها وحمله على أخواته من نحو الموازرة ويوازر والاستعانة بالوزير وتحسين رأيه دأب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال اذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه عليه وان أراد شرا كفه وكان أنوشروان يقول لا يستغنى أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة منقبة وفخرا وشرفا وذكرا أن النبى صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه فى مقام القرب والمكالمة بطلبه منه فيجب على من أوتى هذه الرتبة أن يؤدى الى الله حقها ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزرع فى أرض الوزارة مالم يندم عليه وقت حصاده وقيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والأظهر أنه رأى أن التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية أبعد عن التهمة وأعون على الغرض ولهذا حكى عن عيسى أنه قال من أنصارى الى الله وخوطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لى فى السماء وزيرين وفى الارض وزيرين فاللذان فى السماء جبرائيل وميكائيل واللذان فى الارض أبو بكر وعمر ثم ان موسى طلب أن يكون ذلك الوزير من أهله أى من أقاربه لتكون الثقة به أكثر وليكون الشرف فى بيته أوفر وانه كان واثقا بأخيه هرون فأراد أن يخصه بهذا المنصب الشريف قضاء لحقوق الاخاء فمن منع المستوجبين فقد ظلم وكان أفصح منه لسانا وأكبر سنا وألين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون مفعولا اجعل قدم ثانيهما عناية بأمر الوزارة أو لى ووزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير وأخى فى الوجهين بدل من هرون أو عطف بيان

يعمل خيرا ولا شرا الا كساه الله رداء عمله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة * وذكر أن هذه الآية نزلت فى عبد الرحمن بن عوف حدثنى محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى قال أخبرنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن أبى سليمن بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن أمه أم ابراهيم ابنة أبى عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيها عن عبد الرحمن بن عوف أنه لما هاجر الى المدينة وجد فى نفسه على فراق أصحابه بمكة منهم شيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف فأنزل الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين يقول تعالى ذكره فانما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بالجنة وتنذر به قوما لدا يقول ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش فانهم أهل لدد وجدل بالباطل لا يقبلون الحق واللد شدة الخصومة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لدا قال لا يستقيمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتنذر به قوما لدا يقول لتنذر به قوما ظلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتنذر به قوما لدا أى جدالا بالباطل ذوى لدد وخصومة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله وتنذر به قوما لدا قال فجارا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله قوما لدا قال جدالا بالباطل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتنذر به قوما لدا قال الألد الظلوم وقرأ قول الله وهو ألد الخصام حدثنا أبو صالح الضرارى قال ثنا العلاء بن عبد الجبار قال ثنا مهدى بن ميمون عن الحسن فى قول الله عز وجل وتنذر به قوما لدا قال صما عن الحق حدثنى ابن سنان قال ثنا أبو عاصم عن هرون عن الحسن مثله وقد بينا معنى الألد فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) يقول تعالى ذكره وكثيرا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركى قريش من قرن يعنى من جماعة من الناس اذ سلكوا فى خلاف

وركوب معاصى مسلكهم هل تحس منهم من أحد يقول فهل تحس أنت منهم أحدا يا محمد فتراه وتعاينه أو تسمع لهم ركزا يقول أو تسمع لهم صوتا بل بادوا وهلكوا وخلت منهم دورهم وأوحشت منهم منازلهم وصاروا الى دار لا ينفعهم فيها الا صالح من عمل قدموه فكذلك قومك هؤلاء صائرون الى ما صار اليه أولئك ان لم يعاجلوا التوبة قبل الهلاك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو تسمع لهم ركزا قال صوتا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا قال هل ترى عينا أو تسمع صوتا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا يقول هل تسمع من صوت أو ترى من عين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو تسمع لهم ركزا يعنى صوتا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال ركز الناس أصواتهم قال أبو كريب قال سفيان هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا قال أو تسمع لهم حسا قال والركز الحس * قال أبو جعفر والركز فى كلام العرب الصوت الخفى كما قال الشاعر

فتوجست ركز الأنيس فراعها * عن ظهر غيب والأنيس سقامها

(آخر تفسير سورة مريم والحمد لله رب العالمين)

(تفسير سورة طه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى) قال أبو جعفر محمد بن جرير اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله طه فقال بعضهم معناه يا رجل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس طه بالنبطية يا رجل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فان قومه قالوا لقد شقى هذا الرجل بربه فأنزل الله تعالى ذكره طه يعنى يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

حدثنا

آخر وقيل يجوز فيمن قرأ اشدد على الامر أن يجعل أخى مرفوعا على الابتداء واشدد خبره فيوقف على هرون وشد الازر به عبارة عن تقويته به وأن يجعله ناصرا له فيما عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله وسيلة له فى أمر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك فى قوله وأشركه فى أمرى ثم ذكر غاية الادعية فان المقصد الاسنى هو الاستغراق فى بحر التوحيد ونفى الاشراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال (كى نسبحك كثيرا) أى تسبيحا كثيرا (ونذكرك) ذكرا (كثيرا) وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفى مقدم على الاثبات فبالأول تزول العقائد الفاسدة وبالثانى ترتسم النقوش الحسنة المفيدة ثم ختم الادعية بقوله (انك كنت بنا بصيرا) وفيه فوائد منها أنه فوض استجابة الدعوات الى علمه بأحوالهما وأنهما بصدد أهلية الاجابة أم لا وفيه من حسن الادب ما لا يخفى ومنها أنه عرض فقره واحتياجه على علمه وأنه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سأل ما سأل ومنها أنه أعلم بأحوال أخيه هل يصلح لوزارته أم لا وأن وزارته هل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من دقائق الادب وأنواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلا جرم أجاب الله تعالى مطالبه وأنجح مآربه قائلا (قد أوتيت سؤلك) والسؤل بمعنى المسؤل كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول وزيادة قوله (يا موسى) بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التمييز والتعيين والله أعلم بمصالح عبيده * التأويل يا من طاب بطهارته بساط النبوة ما أنزلنا عليك القرآن الا لتسعد بتخلقك بخلقه ويسعد بسببك الاولون والآخرون من أهل السموات وأهل الارضين تنزيلا ممن خلق أرض بشريتك وسموات روحانيتك التى هى أعلى الموجودات الممكنات كما قال أول ما خلق الله روحى استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك ليكون معه وقت لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل له ما فى السموات الروحانية من الصفات الحميدة وما فى الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما أى بين سماء الروح وأرض النفس وهو القلب بما فيه من الايمان والايقان والصدق والاخلاص وما تحت الثرى أى ما هو مركوز فى جبلة الانسانية وان تجهر بالقول ان يظهر شئ من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سيرتك وأخفى هو ما أخفى الله من خفياتك * والسر فى اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط أنوار الربوبية وأسرارها وجلتها المعقولات وقد يحصل لكل انسان عند نشأته الاولى وان كان كافرا والأخفى

اللطيفة بين الروح والحضرة الالهيــة ويكون عند نشأته الاخرى ولا يحصــل الالمؤمن موحد صار مهبط الانوار الربانية ومحلها المشاهدات والمكاشفات وحقائق العلوم اللدنية ولهذا قال عقيبه الله لا اله الا هو لان مظهر الالوهيــة وصفاته العليا وأسماته الحسـنى هو الخفى الذى لاشئ أقرب الى الحضرة منه الا وهو سر وعلم آدم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق آدم فتجلى فيــه وهل أتاك حديث موسى القلب إذ رأى نارا هو نور فى الحقيقة ما نوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا فى ظلمة الطبيعة الحيوانية انى آنست نار المحبة التى لا تبقى ولا تذر من حطب الوجود المجازى شيأ لعلى آتيكم منها بقبس (١٠٣) يخرجكم من ظلمات الطبيعة الى أنوار الشريعة أو أجـد على النار هـدى باداب الطريقــة الى الحقيقــة فلما أتاها نودى من شجرة القـدس بخطاب الانس فاخلــع نعليـك أى اترك الالتفات الى الزوجــة والولد فان النعل يعـبر فى الرؤيا بهما أو اترك الالتفات الى الكونين انك واصل الى جناب القدس أو هما المقدمتان فى نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموحد وذلك أنه اذا غرق فى لجة العرفان بقيت المقـدمات على ساحـل الوسـائل وأنا اخـترتك ياموسى القلب من سائر خلـــق وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع بسمع الطاعة والقبول انى لما تجليت بأنانية الوهيتى لأنانية وجودك المجـازى لا يبقى الا أنا فاعبدنى بافناء وجودك وأدم المناجاة معى لنيـل ذكرى اياك بالتجلى ان قيامة العشق آتيــة أكاد أخفيها لعظم شأنها الا أن متقاضى الكرم اقتضى اظهارها لأخص عبــادى لتجزى كل نفس بما تسعى فى العبودية من الروح والسر والقلب والنفس والقالب فلما كان سعى الروح بجذب الوطن الاصلى للرجـوع الى أمكن اضافة ونفخت فيه من روحى فجزاؤه من تجلى صـفات الجلال بانعدام الناسوتية فى اللاهوتية وكان سعى السـعى بالخلو عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه بافاضة الفيض

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن مسلم أو يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال طه يارجل بالسريانية * قال ابن جريج وأخبرنى زمعة ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس بذلك أيضا * قال ابن جريج وقال مجاهد ذلك أيضا حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا عمارة عن عكرمة فى قوله طه قال يارجل كلمة بالنبطية حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد الله عن عكرمة فى قوله طه قال بالنبطية يا انسان حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم عن قرة بن خالد عن الضحاك فى قوله طه قال يارجل بالنبطية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن عكرمة فى قوله طه قال يارجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طه قال يارجل وهى بالسريانية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله طه قال يارجل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد يعنى ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله طه قال يارجـل * وقال آخرون هو اسم من أسماء الله وقسم أقسم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله طه قال فانه قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله * وقال آخرون هو حروف هجاء * وقال آخرون هو حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى واختلفوا فى ذلك اختلافهم فى الم وقد ذكرنا ذلك فى مواضعه وبينا ذلك بشـواهده والذى هو أولى بالصواب عنـدى من الاقوال فيــه قول من قال معناه يارجل لانها كلمة معروفة فى عك فيما بلغنى وأن معناها فيهم يارجل أنشدت لمتمم بن نويرة

هتفت بطه فى القتال فلم يجب * فخفت عليه أن يكون موائلا

(وقال آخر)

ان السفاهة طه من خلائقكم * لا بارك الله فى القوم الملاعين

فاذا كان ذلك معروفا فيهم على ماذكرنا فالواجب أن يوجه تأويله الى المعروف فيهم من معناه ولا سيما اذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين فتأويل الكلام اذا يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النصب والعناء والسهر فى قيام الليل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء

الالهى عليه وسعى القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلى صفات الجمال والجلال فجزاؤه بدوام التجلى فأين يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذى يزيل لوث الحـدوث عن لوح القـلوب لكشف حقائق القلوب وسعى النفس بتبديل الاخـلاق وانتفاء الاوصاف الحيوانية فجزاؤه باشراق نور ربها لازالة ظلمة صـفاتها لاطمئنانها الى ذكر ربها لتصير قابلة لجذبة ارجعى الى ربك وسعى القالب باستعمال أركان الشريعـة وآداب الطريقـة فجزاؤه رفعـة الدرجات ونيل الكرامات فى الدارين فلا يصدنك عن هـذه السعادات النفس الامارة بالسوء التى لا تؤمن بها ويحتمل أن يقال أكاد أخفى الساعة ودخول الجنة والنار لئلا تكون عبادتى مشوبة

يطمع الجنة وخوف النار قالوا أخطأ موسى فى قوله هى عصاى وكان عليه أن يقول أنت أعلم بها الهامنى وفى قوله أتوكأ عليها وكان عليه أن يتكئ على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له ألقها ياموسى وفى قوله وأهش بها على غنمى اذ نسى ان العصا لا تكون واسطة لرزق أغنامه وانما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا رجاؤك الا به واضمم يدهمتك الى جناح قنوعك تخرج بيضاء نقية عن درن السؤال وعن الطمع وباقى الحقائق مذكور فى التفسير وفى قوله قد أوتيت بلفظ الماضى اشارة الى أنه أعطى ذلك بالتقدير الازلى لا بالتدبير العملى والله أعلم بالصواب (١٠٤) ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن

جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال هى مثل قوله فاقرؤا ما تيسر منه فكانوا يعلقون الحبال فى صدورهم فى الصلاة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال فى الصلاة كقوله فاقرؤا ما تيسر منه فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم فى الصلاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لا والله ما جعله الله شقيا ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا الى الجنة وقوله الا تذكرة لمن يخشى يقول تعالى ذكره ما أنزلنا عليك هذا القرآن الا تذكرة لمن يخشى عقاب الله فيتقيه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تذكرة لمن يخشى وان الله أنزل كتبه وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه فقال تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تذكرة لمن يخشى قال الذى أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى فمعنى الكلام اذا يا رجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به ما أنزلناه الا تذكرة لمن يخشى * وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب تذكرة فكان بعض نحويى البصرة يقول قال الا تذكرة بدلا من قوله لتشقى فجعله ما أنزلنا عليك القرآن الا تذكرة وكان بعض نحويى الكوفة يقول نصبت على قوله ما أنزلناه الا تذكرة وكان بعضهم ينكر قول القائل نصبت بدلا من قوله لتشقى ويقول ذلك غير جائز لان لتشقى فى الجحد والا تذكرة فى التحقيق ولكنه تكرير وكان بعضهم يقول معنى الكلام ما أنزلنا عليك القرآن الا تذكرة لمن يخشى لا لتشقى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن تنزيل من الرب الذى خلق الارض والسموات العلى والعلى جمع علياء واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله تنزيلا فقال بعض نحويى البصرة نصب ذلك بمعنى نزل الله ذلك تنزيلا وقال بعض من أنكر ذلك من قيله هذا من كلامين ولكن المعنى هو تنزيل ثم أسقط هو واتصل بالكلام الذى قبله فخرج منه ولم يكن من لفظه * قال أبو جعفر والقولان جميعا عندى غير خطا وقوله الرحمن على العرش استوى يقول تعالى ذكره الرحمن على عرشه ارتفع وعلا وقد بينا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وللرفع فى الرحمن وجهان أحدهما بمعنى قوله تنزيلا فيكون معنى الكلام نزله من خلق الارض والسموات نزله الرحمن الذى على العرش استوى والآخر بقوله

اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى اذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى منها

خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم

يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا (١٠٥) قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى

على العرش استوى لان فى قوله استوى ذكر الرحمن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ يقول تعالى ذكره لله ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ملكا له وهو مدبر ذلك كله ومصرف جميعه ويعنى بالثرى الندى يقال للتراب الرطب المبتل ثرى منقوص يقال منه ثريت الارض تثرى ثرى منقوص والثرى مصدر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تحت الثرى والثرى كل شئ مبتل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما تحت الثرى ما حفر من التراب مبتلا وانما عنى بذلك وما تحت الارضين السبع كالذى حدثنى محمد بن ابراهيم السليمى المعروف بابن صدران قال ثنا أبو عاصم قال ثنا محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب وما تحت الثرى قال الثرى سبع أرضين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ يقول تعالى ذكره وان تجهر يا محمد بالقول أو تخف به فسواء عند ربك الذى له ما فى السموات وما فى الارض فانه يعلم السر يقول فانه لا يخفى عليه ما استسررته فى نفسك فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك ولم تنطق به وأخفى ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله وأخفى فقال بعضهم معناه وأخفى من السر قال والذى هو أخفى من السر ما حدث به المرء نفسه ولم يعمله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعلم السر وأخفى قال السر ما علمته أنت وأخفى ما قذف الله فى قلبك مما لم تعمله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يعلم السر وأخفى يعنى بأخفى ما لم يعمله وهو عامله وأما السر فيعنى ما أسر فى نفسه حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يعلم السر وأخفى قال السر ما أسر ابن آدم فى نفسه وأخفى قال ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله فالله يعلم ذلك فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقى علم واحد وجميع الخلائق عنده فى ذلك كنفس واحدة وهو قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال سعيد بن جبير عن ابن عباس السر ما أسر الانسان فى نفسه وأخفى ما لا يعلم الانسان مما هو كائن حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يعلم السر وأخفى قال أخفى الوسوسة زاد ابن عمرو والحرث فى حديثهما والسر العمل الذى

۞ القراآت ولتصنع بسكون اللام والعين على الأمر يزيد الآخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسى اذهب فى ذكرى اذهبا بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو خلقه بفتح اللام على أنه فعل نصير الباقون بالسكون مهدا وكذلك فى الزخرف عاصم وحمزة وعلى وخلف وروح الآخرون مهادا سوى بكسر السين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعلى الآخرون بالضم لا نخلفه بالجزم جوابا للامر يزيد يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلى وخلف ورويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان مخففة ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذين أبو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير الباقون بالتخفيف فأجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم أمرا من الجمع أبو عمرو والآخرون على لفظ الامر من الاجماع وقد أفلح بنقل الحركة الى الدال حيث كان ورش وعباس وحمزة فى الوقف تخيل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالتحتانية تلقف بالتشديد والرفع على الاستئناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرأ البزى وابن فليح مشددة التاء كيد سحر على المصدر حمزة وعلى وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال آمنتم بالمد أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وأبو جعفر ونافع وابن كثير عن ابن مجاهد وأبى عون عن قنبل قال آمنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون ءآمنتم بزيادة همزة الاستفهام ومن يأته مختلسة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو عن طريق الهاشمى عن اليزيدى ومن يأته بسكون الهاء خلا دورجاء والعجلى وشجاع واليزيدى غير أبى شعيب ويحيى

وحمادالياقوت بأنه بالاشباع ۞ الوقوف أخرى ○ لا لأن اذ تفسير المرة مايوحى ○ لا لأن مابعده تفسير مايوحى وعدوله ط منى ج
لأن الواو قد تكون مقحمة وتعلق اللام بألقيت وقد تكون عاطفة على محذوف أى لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على منى لامحالة على
عينى م لئلا يوهم أن اذ ظرف لتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على أن فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا
تحزن ط لابتداء منة أخرى فتونا ○ ط ياموسى ○ لنفسى ○ لاتساق الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكرى ○ ج لمثل ماقلنا والمضمر واو
طغى ○ للآية مع الفاء يخشى ○ يطغى ○ (١٠٦) وأرى ○ ولاتعذبهم ط لان قد لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على أن
اتحاد المقول يجيز الوصل من ربك
ط لذلك فان الواو للابتداء فى
كتاب ج لاحتمال مابعده الصفة
والاستئناف ولاينسى ○ بناء
على أن الذى صفة الرب والاحسن
تقدير هو الذى أو أعنى الذى ماء
ط للالتفات شتى ○ أنعامكم ط
النهى ○ أخرى ○ وأبى ○
ياموسى ○ سوى ○ ضحى
○ أتى ○ بعذاب ج لاختلاف
الجملتين افترى ○ النجوى ○
المثلى ○ صفا ○ استعلى ○
ألقى ○ ألقوا ج لان التقدير
فألقوا ما ألقوا فاذا حبالهم مع فاء
التعقيب واذا المفاجأة المنافيين
للوقف تسعى ○ موسى ○ الأعلى
○ ماصنعوا ط كيد ساحر ط
أتى ○ وموسى ○ لكم ط السحر
ق القسم المحذوف ولانقطاع
النظم مع فاء التعقيب واتمام
مقصود الكلام النخل ج لابتداء
معنى القسم ولفظ استفهام يعقبه
مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام
وأبقى ○ قاض ط الحياة الدنيا
ط من السحر ط وأبقى ○ جهنم
ط ولايحيى ○ العلى ○ لا
لأن مابعده بدل فيها ط تزكى
○ ۞ التفسير من عليه منا
أنعم ومن عليه منة أى امتن عليه
كأن الله سبحانه قال لموسى انى
راعيت صلاحك قبل سؤالك فكيف لاأعطيك مرادك بعد السؤال أو كنت ربيتك من غير سابقة حق فلو منعتك ولم
الحال مطلوبك لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا بعد الاحسان وذلك ينافى الكرم الذاتى قالوا المنة تهدم الصنيعة فهى نوع من الأذى
فقوله (ولقد مننا عليك) يكون من المن لا من المنة قلت يحتمل أن لا تكون المنة من المنعم المطلق أذية وانما تكون تنبيها على النعم وايقاظا
من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال (مرة أخرى) لان الجملة قصة واحدة وان كانت مشتملة على منن كثيرة
والوحى الى أم موسى اما أن يكون على لسان نبى فى عصرها كشعيب مثلا أو عن لسان ملك لا على طريق النبوة كالوحى الى مريم فى قوله واذ

يسرون من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
وأخفى قال الوسوسة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله يعلم
السر وأخفى قال أخفى حديث نفسك حدثنا ابن بشار قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر
قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله يعلم السر وأخفى قال
السر ما يكون فى نفسك اليوم وأخفى ما يكون فى غد وبعد غد لا يعلمه الا الله * وقال آخرون
بل معناه وأخفى من السر مالم تحدث به نفسك ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح
قال ثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير فى قوله يعلم السر وأخفى قال السر ما أسررت
فى نفسك وأخفى من ذلك مالم تحدث به نفسك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى كنا نحدث أن السر ما حدثت به نفسك وأن
أخفى من السر ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن بن
حرب قال ثنا أبو هلال قال ثنا أبو قتادة فى قوله يعلم السر وأخفى قال يعلم ما أسررت
فى نفسك وأخفى مالم يكن وهو كائن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يعلم السر وأخفى قال أخفى من السر ما حدثت به نفسك ومالم
تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا
عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يعلم السر وأخفى أما السر فما أسررت فى نفسك وأما أخفى
من السر فما لم تعمله وأنت عامله يعلم الله ذلك كله * وقال آخرون بل معنى ذلك انه يعلم سر العباد
وأخفى سر نفسه فلم يطلع عليه أحدا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله يعلم السر وأخفى قال يعلم أسرار العباد وأخفى سره فلا يعلم * قال أبو جعفر
وكأن الذين وجهوا تأويل ذلك الى أن السر هو ما حدث به الانسان غيره سرا وأن أخفى معناه
ما حدث به نفسه وجهوا تأويل أخفى الى الخفى وقال بعضهم قد توضع أفعل موضع الفاعل
واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

* والصواب من القول فى ذلك قول من قال معناه يعلم السر وأخفى من السر لان ذلك هو الظاهر
من الكلام ولو كان معنى ذلك ما تأوله ابن زيد لكان الكلام وأخفى الله سره لأن أخفى فعل واقع
متعد اذ كان بمعنى فعل على ما تأوله ابن زيد وفى انفراد أخفى من مفعوله والذى يعمل فيه لو كان
بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل وأن تأويل الكلام فانه يعلم السر وأخفى منه فاذ كان
ذلك تأويله فالصواب من القول فى معنى أخفى من السر أن يقال هو ما علم الله مما أخفى عن العباد

قالت الملائكة يا مريم أو أراها فى المنام أنه وضع ولدها فى التابوت وقذف فى البحر ثم رده الله اليها أو ألهمها بذلك أو لعل الانبياء المتقدمين كابراهيم واسحق و يعقوب أخبروا بذلك وانتهى خبرهم اليها ومعنى (ما يوحى) ما يجب أن يوحى لما فيه من المصلحة الدينية ولانه أمر عظيم ولانه مما لا يعلم الا بطريق الوحى وأن هى المفسرة لان الايحاء فى معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع أى ضعيه فى التابوت وقدم معناه فى البقرة فى قصة طالوت قال جار الله الضميران الباقيان فى قوله فاقذفيه فى اليم فليلقه عائدان الى موسى أيضا لئلا يؤدى الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو فى جوف التابوت لزم أن يكون التابوت

أيضا مقذوفا وملقى و يؤيده أن الضمير فى قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة واذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالانسب باعجاز القرآن أن يكون الضمير المتوسط أيضا له لان المعنى صحيح واللفظ متناسب فلا حاجة الى العدول اعتمادا على القرينة واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل شاطئ البحر وأصل السحل القشر ولهذا قال ابن دريد هو مقلوب لان الماء سحله فهو مسحول قال أهل الاشارة من خصوصية انشراح الصدر بنور الوحى أن يقذف فى قلبه قذف الولد الذى هو أعز الأشياء فى تابوت التوكل وبحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل ارادة الله ومشيئته يروى أنها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فاذا صبى أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ يدل على أن التابوت التقط من الساحل فلعل اليم ألقاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فأداه النهر الى البركة أما كون فرعون عدو الله من جهة كفره وعتوه فظاهر وأما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المآل أو لانه لو ظهر له حاله لقتله فسبحان من ربى حبيبه فى حجر عدوه قالوا كان بحضرة فرعون حينئذ أربعمائة غلام وجارية فحين أشار بأخذ التابوت ووعد من يسبق الى ذلك الاعتاق تسابقوا جميعا ولم يظفر بأخذه الا واحد منهم فأعتق الكل والنكتة فيه أن عدو الله لم يجوز من كرمه حرمان البعض اذ عزم الكل على الاخذ فأكرم الاكرمين كيف لا يعتبر عزائم المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم تقصير فى العمل قوله (منى) اما أن يتعلق بالقيت أو يكون صفة للمحبة أى محبة حاصلة منى وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن أحبه الله أحبته القلوب واما محبة

ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن لأن ما ظهر وكان فغير سر وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شئ وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السر لأن ذلك لا يعلمه الا الله ثم من أعلمه ذلك من عباده وأما قوله تعالى ذكره الله لا اله الا هو فانه يعنى به المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له يقول فاياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والاوثان له الأسماء الحسنى يقول جل ثناؤه لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى فقال الحسنى فوحد وهو نعت للاسماء ولم يقل الأحاسن لأن الأسماء تقع عليها هذه فيقال هذه أسماء وهذه فى لفظة واحدة ومنه قول الأعشى

وسوف يعقبنيه ان ظفرت به ٭ رب غفور وبيض ذات أطهار

فوحد ذات وهو نعت البيض لانه يقع عليها هذه كما قال حدائق ذات بهجة ومنه قوله جل ثناؤه مآرب أخرى فوحد أخرى وهى نعت لمآرب والمآرب جمع واحدتها مأربة ولم يقل أخر لما وصفنا ولو قيل أخر لكان صوابا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقى من الشدة من مشركى قومه ومعرفه ما اليه صائر أمره وأمرهم وأنه معليه عليهم وموهن كيد الكافرين ويحثه على الجد فى أمره والصبر على عبادته وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مشركى قومه وغيرهم وفيما يزاول من الاجتهاد فى طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه ثم من قومه ومن بنى اسرائيل وما لقى فيه من البلاء والشدة طفلا صغيرا ثم يافعا مترعرعا ثم رجلا كاملا وهل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران اذ رأى نارا ذكر أن ذلك كان فى الشتاء ليلا وأن موسى كان أضل الطريق فلما رأى ضوء النار قال لأهله ما قال ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس قال لما قضى موسى الأجل سار بأهله فضل الطريق قال عبد الله بن عباس كان فى الشتاء ورفعت لهم نار فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله قال لأهله امكثوا انى آنست نارا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه اليمانى قال لما قضى موسى الأجل خرج ومعه غنم له ومعه زند له وعصاه فى يده يهش بها على غنمه نهارا فاذا أمسى اقتدح بزنده نارا فبات عليها هو وأهله وغنمه فاذا أصبح غدا بأهله و بغنمه فتوكأ على عصاه فلما كانت الليلة التى أراد الله بموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لا يدرى أين يتوجه فأخرج زنده ليقتدح نارا لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح و يعلم وجه سبيله فأصلد زنده فلا يورى له نارا فقدح حتى أعياه لاحت

الناس التى زرعها الله فى قلوبهم فقد روى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه قال القاضى هذا الوجه أقرب لأنه فى الصغر لا يوصف بمحبة الله التى يرجع معناها الى ايصال الثواب ورد بأن محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو أعم من أن يكون جزاء على العمل أولا يكون ولهذا بين المحبة بقوله (ولتصنع على عينى) أى لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الشئ بالعينين اذا عنى بحفظه ولما كان العالم بالشئ لا رساله عن الآفات كما أن الناظر اليه يحرسه أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه وأيضا العين سبب الحراسة (١٠٨) فأطلق السبب وأريد المسبب ويقال عين الله عليك اذا دعى له بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور فى موضع الحال من ضمير المبنى للمفعول فى لتصنع وجوز فى الكشاف أن يكون اذ تمشى ظرفا لتصنع وليس بذلك وانما هو ظرف لألقيت أو بدل من اذ أوحينا على أن الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا ثم تقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو فى أولها وأنت فى آخرها يروى أنه لما فشا الخبر أن آل فرعون أخذوا غلاما فى اليم وأنه لا يرتضع من ثدى امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت أخت موسى عليه السلام واسمها مريم متنكرة فقالت (هل أدلكم على من يكفله) فجاءت بالأم فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك الى أمك) وقال فى القصص فرددناه الى أمه تصديقا لقوله انا رادوه اليك (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) بسبب وصول لبن غيرها الى معدتك (وقتلت) وأنت ابن اثنتى عشرة سنة (نفسا) هو القبطى الذى يجئ ذكره فى القصص (فنجيناك من الغم) وهو اقتصاص فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغة قريش أو أراد بالغم خوف عقاب الله وذلك قوله فاغفر لى فغفر له (وفتناك فتونا) مصدر على فعول فى المتعدى كالشكور والكفور أو جمع فتن كالظنون الظن أو جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كبدور فى بدرة وحجوز فى حجزة والفتنة المحنة والابتلاء بخير أو شر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وفيها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب اذا أردت تخليصه عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن الفتون فقال أى خلصناك من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله تعالى وان جاء وفتناك لأنه صفة ذم فى العرف وسيجئ قصة منها

النار فرآها فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى وعنى بقوله آنست نارا وجدت ومن أمثال العرب بعد اطلاع ايناس ويقال أيضا بعد طلوع ايناس وهو مأخوذ من الانس وقوله لعلى آتيكم منها بقبس يقول لعلى أجيئكم من النار التى آنست بشعلة والقبس هو النار فى طرف العود أو القصبة يقول القائل لصاحبه أقبسنى نارا فيعطيه اياها فى طرف عود أو قصبة وانما أراد موسى بقوله لأهله لعلى آتيكم منها بقبس لعلى آتيكم بذلك لتصطلوا به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه لعلى آتيكم منها بقبس قال بقبس تصطلون وقوله أو أجد على النار هدى دلالة تدل على الطريق الذى أضللناه اما من خبر هاد يهدينا اليه واما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو أجد على النار هدى يقول من يدل على الطريق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أو أجد على النار هدى قال هاديا يهديه الطريق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو أجد على النار هدى أى هداة يهدونه الطريق حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبى يحدث عن قتادة عن صاحب له عن حديث ابن عباس أنه زعم أنها (٣) ايلة أو أجد على النار هدى وقال أبى وزعم قتادة أنه هدى الطريق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو أجد على النار هدى قال من يهدينى الى الطريق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه أو أجد على النار هدى قال هدى عن علم الطريق الذى أضللنا بنعت من خبر حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن أبى سعيد عن عكرمة قال قال ابن عباس لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى قال كانوا أضلوا عن الطريق فقال لعلى أجد من يدلنى على الطريق أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى﴾ يقول تعالى ذكره فلما أتى النار موسى ناداه ربه يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه قال خرج موسى نحوها يعنى نحو النار فاذا هى فى شجر من العليق وبعض أهل الكتاب يقول فى عوسجة فلما دنا استأخرت عنه فلما رأى استئخارها رجع عنها وأوجس فى نفسه

لبثه فى أهل مدين وأنه على ثمان مراحل من مصر فى سورة القصص ان شاء العزيز قوله (على قدر) أى فى وقت سبق فى قضائى وقدرى أن أكلمك وأستنبئك فيه أو على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس أربعين سنة أو على موعد قد عرفته باخبار شعيب أو غيره والصنع بالضم مصدر صنع اليه معروفا أو قبيحا أى فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله فى الخير أكثر واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعة واصطنعت فلانا لنفسى اذا اصطنعته وخرجته ومعناه أحسنت اليه حتى انه يضاف الى وقوله (لنفسى) أى لاصرفن جوامع همتك فى أوامرى حتى لا تشتغل بغير ما أمرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله (١٠٩) بحال من يراه بعض الملوك أهلا للتقريب والتكريم لخصائص فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا يسمع الا باذنه ولا يأتمن على مكنون سره سواه وقال غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه أن يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سمعا فلو لم يصطنعه للرسالة لبقى فى عهدة الواجب فهذا أمر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج عن عهدة ما يجب عليه ولما عد عليه المنن السابقة بازاء الادعية المذكورة رتب على ذكر ذلك أمرا ونهيا أما الامر فقوله (اذهب أنت وأخوك) وفيه بيان ما لاجله اصطنعه وهو الابلاغ وأداء الرسالة (بآياتى) أى مع آياتى لانهما لو ذهبا بدونها لم يلزمه الايمان وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وما هذه الآيات غير العصا واليد لانه لم يجر الا ذكرهما فاطلق الجمع على الاثنين أو لان كلا منهما مشتملة على آيات أخر أو لانه يستدل بكل منهما على وجود اله قادر على الكل عالم بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا والمظلم مستنيرا ومثله قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل أراد اذهبا انى أمدكما بآياتى وأظهرها على أيديكما متى وقع الاحتياج اليها وأما النهى فقوله (ولا تنيا) بكسر النون مثل تعدا وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة أيضا للاتباع والونى بفتحتين الضعف والفتور والكلال والاعياء والمعنى لا تنسيانى بل اتخذا ذكرى وسيلة فى تحصيل المقاصد واعتقدا ان أمرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكرى فان المداومة على ذكر الله توجب عدم الخوف من غيره وأن يستحقر فى نظره ما سواه لقوة نفسه واستنارة باطنه وقيل أراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات فضلا عن أعظمها فائدة وأتمها عائدة وقيل اذكرانى عند فرعون وقومه بأنى لا أرضى بالكفر وأعاقب عليه وأثيب على الايمان وأرتضيه وبالجملة كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب ما الفائدة فى تكرير قوله (اذهبا

منها خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم من الشجرة فلما سمع الصوت استأنس وقال الله تبارك وتعالى له ياموسى اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى فخلعها فألقاها واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه فقال بعضهم أمره بذلك لأنهما كانتا من جلد حمار ميت فكره أن يطأ بهما الوادى المقدس وأراد أن يمسه من بركة الوادى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى قلابة عن كعب أنه رآهم يخلعون نعالهم فى الصلاة فقال أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقرئ عليه اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى فقال كانت من جلد حمار ميت فأراد الله أن يمسه القدس حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال حدثنا أن نعليه كانتا من جلد حمار فخلعهما ثم أتاه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار فقيل له اخلعهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج * قال وأخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة وأبو سفيان عن معمر عن جابر الجعفى عن على بن أبى طالب فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار فقيل له اخلعهما * قال وقال قتادة مثل ذلك * وقال آخرون كانتا من جلد بقر ولكن الله أراد أن يطأ موسى الارض بقدميه ليصل اليه بركتها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال الحسن كانتا يعنى نعلى موسى من بقر ولكن انما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الارض وكان قد قدس مرتين قال ابن جريج وقيل لمجاهد زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة قال لا ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الارض حدثنى يعقوب قال قال أبو بشر يعنى ابن علية سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى قال يقول أفض بقدميك الى بركة الوادى * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادى اذ كان واديا مقدسا وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لانه لا دلالة فى ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة وان فى قوله انك بالوادى المقدس بعقبه دليلا واضحا على أنه انما أمره بخلعهما لما ذكرنا ولو كان الخبر الذى حدثنا به بشر قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحرث عن ابن مسعود عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كلم الله موسى كانت عليه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير

الى فرعون) والجواب بعد التقرير والتأكيد أمرهما أن يشتغلا بأداء الرسالة معا لا أن ينفرد به موسى أو الاول أمر بالذهاب الى كل بنى اسرائيل
والقبط والثانى مخصوص بفرعون الطاغى ثم انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لانه أصل أو هو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم
ويحتمل أن هرون قد حضر وقتئذ فقد روى أن الله عز وجل أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل ألهم بذلك وقيل سمع بخبره
فتلقاه ✻ سؤال لم أمر بتليين القول للعدو المعاند جوابه لان من عادة الجبابرة اذا أغلظ لهم فى الكلام أن يزدادوا عتوا وعلوا وقيل لما له من حق
تربية موسى شبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح أنه نحو قوله تعالى هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى
لان ظاهره الاستفهام والمشورة
وعرض ما فيه صلاح الدارين
وقيل أراد عده شبابا لا يهرم
بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت
وأن يبقى له لذة المطعم والمشرب
والمنكح الى حين موته حكى عمرو
ابن دينار قال بلغنى أن فرعون عمر
أربعمائة وتسعا وستين سنة فقال
له موسى ان أطعتنى فلك مثل
ما عمرت فاذا مت فلك الجنة وقيل
أراد كنياه وهو من ذوى الكنى
الثلاث أبو العباس وأبو الوليد
وأبو مرة ويحتمل أن يكون أمر
بالقول اللين لانه كان فى موسى
حدة وخشونة بحيث اذا غضب
اشتعلت قلنسوته نارا فعالج حدته
باللين ليكون حليما فى أداء الرسالة
ومعنى الترجى فى لعله يعود الى موسى
وأخيه أى اذهبا على رجائكما وباشرا
الامر مباشرة من يرجو أن يثمر
سعيه فهو يتذكر بأن يرجع
من الانكار الى الحق رجوعا كليا
اذا تأمل فأنصف (أو يخشى) فيقل
انكاره واصراره قالت المعتزلة
جدوى ارسالهما اليه مع العلم بأنه
لن يؤمن قطع المعذرة والزامه الحجة
وقالت الاشاعرة العقول قاصرة
عن معرفة سر القدر ولا سبيل الا
التسليم وترك الاعتراض والسكوت
بالقلب واللسان قالوا انه كمن يدفع
سكينا الى من علم قطعا أنه عزق بطن نفسه ثم يقول انى ما أردت بدفع السكين اليه الا الاحسان ويروى عن كعب انه ذلك
قال والذى يحلف به كعب انه مكتوب فى التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسى قلبه فلا يؤمن (قالا ربنا) فيه دليل على أن هرون أيضا كان حاضرا
وقتئذ كما روينا وسئل أنه اذا شرح صدره ويسر أمره فكيف قالا (اننا نخاف) فان حصول الخوف ينافى شرح الصدر وأجيب بأن المراد من
شرح الصدر ضبط الاوامر والنواهى وحفظ الشرائع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل وتحريف وهذا شئ آخر مغاير لزوال الخوف
قلت لعلهما خافا أن لا يتمكنا من أداء الرسالة بدليل قوله (أن يفرط علينا) أى يسبق رسالتنا ويبادرنا بالعقوبة (أو أن يطغى) أى يجاوز الحد

مذكى صحيحا لم نعده الى غيره ولكن فى اسناده نظر يجب التثبت فيه واختلفت القراء فى قراءة
قوله انى أنا ربك فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة نودى ياموسى أنى بفتح الالف من انى فأن
على قراءتهم فى موضع رفع بقوله نودى فان معناه كان عندهم نودى هذا القول وقرأه بعض
عامة قراء المدينة والكوفة بالكسر نودى ياموسى انى على الابتداء وان معنى ذلك قيل ياموسى انى
✻ قال أبو جعفر والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل
فى ان قوله ياموسى وحظ قوله نودى أن يعمل فى ان لو كانت قبل قوله ياموسى وذلك أن يقال نودى
أن ياموسى انى أنا ربك ولا حظ لها فى ان التى بعد ياموسى وأما قوله انك بالوادى المقدس فانه
يقول انك بالوادى المطهر المبارك كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية
عن على عن ابن عباس قوله انك بالوادى المقدس يقول المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله انك بالوادى المقدس طوى قال قدس بورك
مرتين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انك بالوادى المقدس طوى
قال بالوادى المبارك واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله طوى فقال بعضهم معناه انك بالوادى
المقدس طويته فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه كأنه قال طويت
الوادى المقدس طوى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انك بالوادى المقدس طوى يعنى الارض
المقدسة وذلك أنه مر بواديها ليلا فطواه يقال طويت وادى كذا وكذا طوى من الليل وارتفع
الى أعلى الوادى وذلك نبى الله موسى صلى الله عليه وسلم ✻ وقال آخرون بل معنى ذلك مرتين
وقال ناداه ربه مرتين فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه وذلك أن معناه عندهم
نودى ياموسى مرتين نداءين وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى أنه بمعنى مرتين قول عدى
ابن زيد العبادى

أعاذل ان اللوم فى غير كنهه ✻ على طوى من غيك المتردد

وروى ذلك آخرون على ثنى أى مرة بعد أخرى وقالوا طوى وثنى بمعنى واحد ذكر من قال ذلك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس
طوى كنا نحدث أنه واد قدس مرتين وأن اسمه طوى ✻ وقال آخرون بل معنى ذلك انه قدس
طوى مرتين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال
ابن جريج قال الحسن كان قد قدس مرتين ✻ وقال آخرون بل طوى اسم الوادى ذكر من قال

بأن يقول فيك ما لا ينبغي أو يجاوز حد الاعتدال في معاقبتنا ان لم يعاجل بنا فلا نتمكن من اقامة وظائف الأداء وأيضا الدليل النقلي السمعي اذا انضاف الى الدليل العقلي زاده ايقانا وطمأنينة ولهذا (قال لا تخافا انني معكما) أي بالنصرة والتأييد (أسمع وأرى) ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل بكما ما يوجب عنايتي وحراستي فلا يذهب وهمكما الى أن مواد كرامتي انقطعت عنكما اذا فارقتما مقام المكالمة فصار هذا الوهم سبب خوفكما ويجوز أن يكون الفعلان متروكي المفعول كأنه قيل أنا سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الأصوليين في الآية دلالة على أن الامر لا يقتضي الفور والا كان تعللهما بالخوف معصية وانها غير جائزة على الرسل في الاصح وقال بعض المتكلمين فيها دليل على أن السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم والالزم التكرار فان معنيه هي بالعلم ولقائل أن يقول الخاص يغاير العام ولكن لا يباينه ثم كرر الامر قائلا (فأتياه فقولا) فسئل انهما أمرا بأن يقولا له قولا لينا فكيف غلظاه أولا بقوله (انا رسولا ربك) ففيه ايجاب انقيادهما له واكراهه على طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبار وثانيا بقوله (فأرسل معنا بني اسرائيل) وفيه ادخال النقص في ملكه لأنه كان يستخدمهم في الاعمال الشاقة وثالثا بقوله (ولا تعذبهم) وفيه منعه عما يريده بهم وأجيب بأن هذا القدر من التغليظ ضروري في أداء الرسالة قيل أليس الاولى أن يقولا انا رسولا ربك قد جئناك بآية من ربك فأرسل معنا بني اسرائيل فيكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب أن قوله فأرسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله بآية ومعه آيتان بل آيات لقوله اذهب أنت وأخوك بآياتي لانه أراد الجنس كأنه قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه أيضا نوع من الأدب كما لو قلت أنا رجل قد حصلت شيأ من العلم ولعل عندك علوما جمة على أن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وأيضا الاصل في معجزات موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما أن الاصل في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القرآن فوقع لذلك في حيز التحدي (والسلام) أي جنس السلامة أو سلام خزنة الجنة (على من اتبع الهدى) يحتمل أن يكون هذا أيضا مما أمرا بأن يقولاه لفرعون ويحتمل أن تكون الرسالة قد تمت عند قوله بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن آمن وصدق قالت الأشاعرة في قوله (أن العذاب) أي جنسه أو كل فرد منه (على من كذب وتولى) دليل على أنه لا يعاقب أحدا من المؤمنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب أن

ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله طوى اسم للوادي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد طوى قال اسم الوادي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بالوادي المقدس طوى قال ذاك الوادي هو طوى حيث كان موسى وحيث كان اليه من الله ما كان قال وهو نحو الطور ※ وقال آخرون بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا صالح بن اسحق عن جعفر بن برقان عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى قال طأ الوادي حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى قال ثنا الحسن عن يزيد عن عكرمة في قوله طوى قال طأ الوادي حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن سعيد بن جبير في قول الله طوى قال طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا يقول من بركة الوادي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد طوى طأ الارض حافيا ※ واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة طوى بضم الطاء وترك التنوين كأنهم جعلوه اسم الارض التي بها الوادي كما قال الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره ※ بحنين يوم تواكل الابطال

فلم يجر حنين لانه جعله اسما للبلدة لا للوادي ولو كان جعله اسما للوادي لاجراه كما قرأت القراء ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم وكما قال الآخر

ألسنا أكرم الثقلين رحلا ※ وأعظمه ببطن حراء نارا

فلم يجر حراء وهو جبل لانه جعله اسما للبلدة فكذلك طوى في قراءة من لم يجره جعله اسما للارض وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة طوى بضم الطاء والتنوين وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل فأما من أراد به المصدر من طويت فلا مؤنة في تنوينه وأما من أراد أن يجعله اسما للوادي فانه انما ينونه لانه اسم ذكر لا مؤنث وان لام الفعل منه ياء فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله ويوم حنين اذ كان حنين اسم واد والوادي مذكر ※ قال أبو جعفر وأولى القولين عندي بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين لانه ان يكن اسما للوادي فحظه التنوين لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك وان كان مصدرا أو مفسرا فكذلك

يبقى على أصله فى نفى الدوام على أن العقاب المتناهى لانسبة له الى النعيم المقيم الذى لانهاية له فكانه لم يعاقب أصلا وأيضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب أن يكون من أهل السلامة (قال فمن ربكما ياموسى) خاطب الاثنين ووجه النداء الى موسى لانه الاصل فى ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز أنه خص موسى عليه السلام بالنداء لما عرف من فصاحة هرون والرتة التى كانت فى لسان موسى فأراد أن يعجز عن الجواب قال أهل الأدب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يبدأ بالسفاهة والشغب بل شرع فى المناظرة وطلب الحجة فدل على أن الشغب من غير حجة شئ ما كان يرتضيه فرعون مع كمال (١١٣) جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعى الاسلام والعلم وفى اشتغال موسى باقامة الدلالة على المطلوب دليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بأن معرفة الله تستفاد من قول الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وفيه أن المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم أن العلماء اختلفوا فى كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا أنه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله فى سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس فيه الا انكار المعاد دون انكار المبدا وقوله فى الشعراء وما رب العالمين الى قوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى أنا أطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على أنه اعترف بأصل الوجود وأيضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لاتخف نجوت من القوم الظالمين فكيف يعتقد مثل هذا الشخص أنه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة أنه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وأيضا انه سأل ههنا عن طالبا الكيفية وفى الشعراء عما طالبا الماهية فكأن موسى لما أقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه فى هذا المقام لظهوره وشرع فى مقام أصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر وأيضا انه قال فى الجواب (ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه) وصلة الذى لا بد أن تكون جملة معلومة الانتساب ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على أن العاقل لا يجوز أن يعتقد فى نفسه أنه خالق السموات والارض وما فيهما فمنهم من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر أصلا ومنهم من قال انه فلسفى قائل بالعلة الموجبة أو هو من عبدة الكواكب أو من الحلولية والمجسمة وأما ادعاء الالهية والربوبية فبمعنى أنه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء انما قال

أيضا حكمه التنوين وهو عندى اسم الوادى واذ كان ذلك كذلك فهو فى موضع خفض ردا على الوادى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء الذين قرؤا وانا بتشديد النون وأنا بفتح الالف من أنا ردا على نودى ياموسى كأن معنى الكلام عندهم نودى ياموسى انى أنا ربك وأنا اخترتك وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفة وأما عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرؤه وأنا اخترتك بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء أهل العلم بالقرآن مع اتفاق معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وتأويل الكلام نودى أنا اخترتك فاجتبيناك لرسالتنا الى من نرسلك اليه فاستمع لما يوحى يقول فاستمع لوحينا الذى نوحيه اليك وعه واعمل به انى أنا الله يقول تعالى ذكره اننى أنا المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له لا اله الا أنا فلا تعبد غيرى فانه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواى فاعبدنى يقول فأخلص العبادة لى دون كل ما عبد من دونى وأقم الصلاة لذكرى * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أقم الصلاة لى فانك اذا أقمتها ذكرتنى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أقم الصلاة لذكرى قال اذا صلى ذكر ربه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وأقم الصلاة لذكرى قال اذا عبد ذكر ربه * وقال آخرون بل معنى ذلك وأقم الصلاة حين تذكرها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله وأقم الصلاة لذكرى قال يصليها حين يذكرها حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال ثنى يونس ومالك بن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال الله أقم الصلاة لذكرى وكان الزهرى يقرؤها أقم الصلاة لذكرى بمنزلة فعلى * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من قال معناه أقم الصلاة لتذكرنى فيها لان ذلك أظهر معنييه ولو كان معناه حين تذكرها لكان التنزيل أقم الصلاة لذكركها وفى قوله لذكرى دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد فى تأويل ذلك ولو كانت القراءة التى ذكرناها عن الزهرى قراءة مستفيضة فى قرأة الامصار كان صحيحا تأويل من تأوله بمعنى أقم الصلاة حين تذكرها

تذكرها وذلك أن الزهري وجه بقراءته أقم الصلاة لذكرى بالالف لا بالاضافة (١) اذ أقم لذكراها لأن الهاء والالف حذفتا وهما مرادتان في الكلام ليوفق بينها وبين سائر رؤس الآيات اذ كانت بالالف والفتح ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرناعنه انما قصد الزهري بفتحها تصييره الاضافة ألفا للتوفيق بينه وبين رؤس الآيات قبله وبعده لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالاضافة وقال انما ذلك كقول الشاعر

أطوف ما أطوف ثم آوى * الى أماو يرويني النقيع

وهو يريد الى أمي وكقول العرب يا أباو أما وهي تريد يا أبي وأمي كان له بذلك مقال ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ يقول تعالى ذكره ان الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية أكاد أخفيها فعلى ضم الالف من أخفيها قراءة جميع قراء أمصار الاسلام بمعنى أكاد أخفيها من نفسي لئلا يطلع عليها أحد وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أكاد أخفيها يقول لا أظهر عليها أحدا غيري حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال لا تأتيكم الا بغتة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال من نفسي حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أكاد أخفيها قال من نفسي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أكاد أخفيها قال من نفسي حدثني عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا محمد بن عبيد الطنافسي قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله أكاد أخفيها قال يخفيها من نفسه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أكاد أخفيها وهي في بعض القراءة أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الانبياء المرسلين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال في بعض الحروف ان الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي * وقال آخرون انما هو أكاد أخفيها بفتح الألف من أخفيها بمعنى أظهرها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا

(١) لعله اذ أصلها أقم الصلاة لذكراها وان الألف والهاء حذفت الخ فتأمل كتبه مصححه

من ربكما ولم يقل فمن الهكما تعريضا بانه رب موسى كما قال ألم نربك فينا وليدا قلت يحتمل أن يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا المعنى ولم يعلم الكافر أن الربوبية التي ادعاها موسى لله في قوله انا رسولا ربك غير هذه في الحقيقة ولا مشاركة بينهما الا في اللفظ وهذا كما عارض نمرود ابراهيم صلوات الرحمن عليه في قوله أنا أحيي وأميت ولم يعلم أن احياءه واماتته ليسا من الاحياء والاماتة في شئ ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع بأحوال المخلوقات وفيه دلالة على أن موسى كان أصلا في النبوة وأن هرون راعى الأدب فلم يشتغل بالجواب قبله لأن الاصل في النبوة هو موسى ولأن فرعون خصص موسى بالنداء من قرأ خلقه بسكون اللام فاما بمعنى الخليقة والضمير المجرور لله وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى والخليقة أي أعطى الخلائق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال واللآلئ من البحار ويركبون الاغذية والادوية والاسلحة والامتعة ونظير هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابراهيم الذي خلقني فهو يهدين واما أن يكون الخلق بمعنى الصورة والشكل أي أعطى كل شئ صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فأعطى العين هيئتها التي تطابق الابصار والاذن ما يوافق الاستماع والانف الشم واليد للبطش والرجل للمشي بل أعطى رجل الآدمي شكلا يوافق مشيه ورجل الحيوانات الأخر شكلا يطابق مشيها بل أعطى ذوات القرون رجلا توافق حاجتهن وكذا الخف والحافر وذوات المخالب وقيل أراد أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل الحصان والحجر زوجين وكذا البعير والناقة والرجل والمرأة ومن قرأ خلقه بفتح اللام صفة للمضاف أو المضاف اليه والمفعول الثاني متروك أي كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه واعلم أن عجائب حكمة الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دوّن العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر ههنا واحدا منها هو أن الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء اذا ذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه جعل العظم والشعر أصلب الاعضاء على طبيعة الارض وجعل مكانهما فوق البدن وجعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذي هو الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية في القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهري والطبيعي *

وبسائر الكفار وأيضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب وهداية اما أن يكون واجبا أو جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغيير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان جائز الوجود افتقر في اتصافه بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم انه يستغني عن سمات النقص وشوائب الافتقار وليس الا الله الواحد القهار قال أهل النظم ان موسى عليه السلام لما قرر عليه أمر المبدأ (قال) فرعون ان كان وجود الواجب في هذا الحد من الظهور (فما بال القرون الاولى) لم يؤمنوا وجحدوا فعارض الحجة بالتقليد والبال الحال أو أنه (١١٤) لما هدده بالعذاب في قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فأجاب بأن هذا مما استأثر الله بعلمه وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما يخبرني به علام الغيوب أو أنه سأله عن أحوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من أن يميل قلوب ملئه الى حجته الباهرة ودلائله الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل (قال علمها عند ربي) ولا يتعلق غرضي بأحوالهم ويجوز أن يكون الكلام قد انجر ضمنا أو صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شئ فنازعه الكافر قائلا ما بال سوالف القرون في تمادي كثرتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله علمها عند ربي مع قوله في كتاب لا يتنافيان بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المغيبات مطلع على الكليات والجزئيات من أحوال الموجودات والمعدومات ومع ذلك فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل أن يقول لعلها أثبتت في اللوح لاحتمال الخطإ والنسيان فتدارك ذلك بقوله (لا يضل ربي ولا ينسى) قال مجاهد هما واحد المراد أنه لا يذهب عنه شئ ولا يخفى عليه والأكثرون على الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم أي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه يقال ضللت الشئ اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال أبو عمرو لا يغيب عن شئ ولا يعزب عنه شئ وقال ابن جرير لا يخطئ في التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده

يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن سهل قال سألني رجل في المسجد عن هذا البيت

داب شهرين ثم شهرا دميكا ✳ بأريكين يخفيان غميرا

فقلت يظهران فقال ورقاء بن اياس وهو خلفي أقرأنيها سعيد بن جبير أكاد أخفيها بنصب الالف وقد روى عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا معناها أكاد أخفيها من نفسي ذكر الرواية عنه بذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير ومنصور عن مجاهد قالا ان الساعة آتية أكاد أخفيها قالا من نفسي حدثني عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير أكاد أخفيها قال من نفسي ✳ قال أبو جعفر والذي هو أولى بتأويل الآية من القول قول من قال معناه أكاد أخفيها من نفسي لان تأويل أهل التأويل بذلك جاء والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الالف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا فان قال قائل ولم وجهت تأويل قوله أكاد أخفيها بضم الالف الى معنى أكاد أخفيها من نفسي دون توجيهه الى معنى أكاد أظهرها وقد علمت أن للاخفاء في كلام العرب وجهين أحدهما الاظهار والآخر الكتمان وأن الاظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام اذ كان الاخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه اذ كان محالا أن يخفى أحد عن نفسه شيأ هو به عالم والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية قيل الامر في ذلك بخلاف ما ظننت وانما وجهنا معنى أخفيها بضم الالف الى معنى أسترها من نفسي لان المعروف من معنى الاخفاء في كلام العرب الستر يقال قد أخفيت الشئ اذا سترته وأن الذين وجهوا معناها الى الاظهار اعتمدوا على بيت لامرئ القيس بن عابس الكندي حدثت عن معمر بن المثنى أنه قال أنشدنيه أبو الخطاب عن أهله في بلده

فان تدفنوا الداء لا نخفه ✳ وان تبعثوا الحرب لا نقعد

بضم النون من لا نخفه ومعناه لا نظهره فكان اعتمادهم في توجيه الاخفاء في هذا الموضع الى الاظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت على ما وصفت من ضم النون من نخفه وقد أنشدني الثقة عن الفراء فان تدفنوا الداء لا نخفه بفتح النون من نخفه من خفيته أخفيه وهو أولى بالصواب لانه المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك وكان الفتح في الالف من أخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا ثبت وصح الوجه الآخر وهو أن معنى ذلك أكاد أسترها من نفسي وأما وجه صحة القول في ذلك فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به

خطابهم

حتى يجاريه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات السموات والارضيات من الانسان وسائر الحيوانات وأنواع النباتات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال (الذى جعل لكم الارض مهدا) أى كالمهد وهو ما يمهد للصبى قال أبو عبيدة الذى أختاره مهاد لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد اسم والمهاد جمع وقال المفضل هما مصدران (وسلك) أى حصل (لكم فيها سبلا) ووسطها بين الجبال والأودية والبرارى يقال سلكت الشئ فى الشئ سلكا بالفتح أى أدخلته فيه (فأخرجنا به) أى بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين الأقدمين من أنكر تأثير الوسائط أساو (أزواجا) أى أصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترن بعضها ببعض و (شتى) صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى أو صفة للنبات لا مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعنى أنها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون والرائحة والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا أو قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) وذلك أن بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم واباحة الاكل تتضمن اباحة سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا أموالكم ومن نعم الله تعالى أن أرزاق العباد انما تتحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله قال الجوهرى النهية بالضم واحدة النهى وهى العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز أبو على الفارسى أن يكون مصدرا كالهدى وخص أرباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها (منها خلقناكم) لأن آدم مخلوق من الارض أولان بنى آدم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية أو لما ورد فى الخبر أن الملك يأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه الآدمى فيذرها على النطفة (وفيها نعيدكم) لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله الى السماء وهو أيضا يحتمل أن يعاد اليها بعد ذلك (ومنها نخرجكم تارة أخرى) بالحشر والبعث أو بأن نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد الاخراج أو المراد الاحياء فى القبر وههنا بحث وهو أن يكون قوله الذى جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى أو هو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن أن يوجه قوله فأخرجنا بأن المراد فأخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع أزواجا من نبات شتى الا أن قوله كلوا وارعوا الى قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه وان قيل ان كلام موسى يتم عند قوله وأنزلنا من السماء ماء لم يصلح قوله فأخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب فالصواب أن يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال الذى أى

خطابهم بينهم فلما كان معروفا فى كلامهم أن يقول أحدهم اذا أراد المبالغة فى الخبر عن اخفائه شيئا هو له مسر قد كدت أن أخفى هذا الامر عن نفسى من شدة استسرارى به ولو قدرت أخفيه عن نفسى أخفيته خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم فى ذلك من الكلام بينهم وما قد عرفوه فى منطقهم وقد قيل فى ذلك أقوال غير ما قلنا وانما اخترنا هذا القول على غيره من الاقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين اذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به منهم وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر فأما الذين قالوا فى ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب من غير أن يعزوه الى امام من الصحابة أو التابعين وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف فانهم اختلفوا فى معناه بينهم فقال بعضهم يحتمل معناه أريد أخفيها قال وذلك معروف فى اللغة وذكر أنه حكى عن العرب أنهم يقولون أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم وقال معناه لا أنزل الا عليهم قال وحكى أكاد أبرح منزلى أى ما أبرح منزلى واحتج ببيت أنشده لبعض الشعراء

كادت وكدت وتلك خير ارادة * لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

وقال يريد بكادت أرادت قال فيكون المعنى أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال ومما يشبه ذلك قول زيد الخيل

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه * فما ان يكاد قرنه يتنفس

وقال كأنه قال فما يتنفس قرنه والا ضعف المعنى قال وقال ذو الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال وليس المعنى لم يكد يبرح أى بعد يسر ويبرح بعد عسر وانما المعنى لم يبرح أو لم يرد يبرح والا ضعف المعنى قال وكذلك قول أبى النجم

وان أتاك نعى فاندبن أبا * قد كاد يضطلع الاعداء والخطبا

وقال يكون المعنى قد اضطلع الاعداء والا لم يكن مدحا اذا أراد كاد ولم يرد يفعل * وقال آخرون بل معنى ذلك ان الساعة آتية أكاد قال وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه أكاد أن آتى بها قال ثم ابتدأ فقال ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال وذلك نظير قول ابن ضابئ

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى أقاربه

فقال كدت ومعناه كدت أفعل * وقال آخرون معنى أخفيها أظهرها وقالوا الاخفاء والاسرار

هو الذي جعل الى آخره وعلى هذا يكون قوله فأخرجنا من قبيل الالتفات افتننا بالكلام وايذانا بأنه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره تخصيصا بأن مثل هذا لا يدخل تحت قدرة أحد سواه والحاصل أنه تعالى عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يتقلبون بها في أسفارهم وأنبت فيها أصناف النبات متاعا لهم ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالأم التي منها أنشؤا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث خروج الأجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض أي ارقدوا واسجدوا عليها من غير حائل أو تيمموا بها فانها بكم برة أي انها لكم كالام ومنها خلقنا كم وفيها معايشكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا (ولقد أريناه آياتنا) أي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف يستلزم حصول المعرفة فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والا كان كفر جهالة وضلالة *سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولاسيما اذا أكد بالكل لكنه تعالى ما أراه جميع الآيات لأن من جملتها ما أظهرها على الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف الاضافي محذو به حذو التعريف العهدي أو قيل الآيات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ولو سلم العموم فالمراد أنه أراه الآيات الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة وعلى المعادلان تسليم القدرة على الانشاء يستلزم تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى أو أراد أنه أراه آياته المختصة به وعدد عليه سائر آيات الانبياء واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان أو اراءة بعض الآيات كاراءة الكل كما أن تكذيب بعض الآيات يستلزم تكذيب الكل كما قال (فكذب أي الآيات كلها (وأبى) قول الحق قال القاضي الاباء الامتناع وانه لا يوصف به الا من يتمكن من الفعل والترك والالم يتوجه الذم وجواب الاشاعرة أنه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف أن تميل قلوب ملئه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح في نبوته لادعاء امكان معارضته قائلا (أجئتنا لتخرجنا) فان الاخراج من الديار قرينة القتل بدليل قوله أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ثم طالب للمعارضة موعدا فان جعلته زمان الوعد بدليل قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا الى الوعد المعلوم من الموعد أو الى زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على أنه ظرف للوعد المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون

قد توجههما العرب الى معنى الاظهار واستشهد بعضهم لقيله ذلك ببيت الفرزدق

فلما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحروري الذي كان أضمرا

وقال عنى بقوله أسر أظهر قال وقد يجوز أن يكون معنى قوله وأسروا الندامة وأظهروها قال وذلك أنهم قالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم جائز أن يكون قول من قال معنى ذلك أكاد أخفيها من نفسي أن يكون أراد أخفيها من قبلي ومن عندي وكل هذه الاقوال التي ذكرناها عمن ذكرنا توجيه منهم للكلام الى غير وجهه المعروف وغير جائز توجيه معاني كلام الله الى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطا ما ذهبوا اليه فيه وقوله لتجزى كل نفس بما تسعى يقول تعالى ذكره ان الساعة آتية لتجزى كل نفس يقول لتثاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى يقول بما تعمل من خير وشر وطاعة ومعصية وقوله فلا يصدنك عنها يقول تعالى ذكره فلا يردنك ياموسى عن التأهب للساعة من لا يؤمن بها يعني من لا يقر بقيام الساعة ولا يصدق بالبعث بعد الممات ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا وقوله واتبع هواه يقول اتبع هوى نفسه وخالف أمر الله ونهيه فتردى يقول فتهلك ان أنت انصددت عن التأهب للساعة وعن الايمان بها وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصد من كفر بها وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله فلا يصدنك عنها كناية عن ذكر الايمان قال وانما قيل عنها وهي كناية عن الايمان كما قيل ان ربك من بعدها لغفور رحيم يذهب الى الفعلة ولم يجر للايمان ذكر في هذا الموضع فيجعل ذلك من ذكره وانما جرى ذكر الساعة فهو بأن يكون من ذكرها أولى

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما تلك بيمينك ياموسى﴾ يقول تعالى ذكره وما هذه التي في يمينك ياموسى فالباء في قوله بيمينك من صلة تلك والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي ومنه قول يزيد بن مفرغ

عدس مالعباد عليك امارة * أمنت وهذا تحملين طليق

كأنه قال والذي تحملين طليق ولعل قائلا أن يقول وما وجه استخبار الله موسى عما في يده ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا قيل له ان ذلك على غير الذي ذهبت اليه وانما قال ذلك عز ذكره له اذ أراد أن يحولها حية تسعى وهي خشبة فنبهه عليها وقرره بأنها خشبة يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ليعرفه قدرته على ما يشاء وعظم سلطانه ونفاذ أمره فيما أحب بتحويله اياها حية تسعى اذ أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته الى فرعون وقومه

القول في تأويل قوله تعالى

قوله مكانا بدلا منه ووجه عود الضمير في لانخلفه مثل ما قلنا ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مطابقا له معنى لانه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم
الزينة في مكان مشتهر عندهم وكأنه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدرا لصح وصفه بعدم الاخلاف من غير
ارتكاب اضمار أو تجوز انتصب مكانا على أنه ظرفه ثم من قرأ (يوم الزينة) بالنصب فظاهر أي وعدكم أو انجاز وعدكم في يوم الزينة أو وقت
وعدكم في يوم الزينة وفي يوم يحشر الناس هو ضحى أي ضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فبتقدير مضاف محذوف أي وعدكم وعد يوم الزينة
ومعنى (سوى) بالكسر والضم عدلا ووسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد فوصف المكان بالاستواء باعتبار المسافة وقال
ابن زيد أي مستو بالا يحجب شيئا بارتفاعه وانخفاضه ليسهل على كل الحاضرين ماجرى بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الآن قال القاضي الاظهر أن قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الأقرب أنه من كلام موسى ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب ولان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ماسيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا بالمبطل المزور وعلى أن موعدكم خطاب الجمع وليس هنالك الا موسى وهرون فاما أن يرتكب أن أقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح واما أن يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيد لهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم سوق لهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال (وأن يحشر) من غير تسمية الفاعل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم ويحتمل أن يحشر رفع أو جر عطفا على اليوم أو الزينة عين اليوم ثم الساعة وهي (ضحى) ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق
الباطل على رؤس الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع أمره العجيب في الاقطار والامصار والاطراف
والاكناف ففي ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم (فتولى فرعون) انصرف الى مقام تهيئة الأسباب
المعارضة فان صاحب السحر يحتاج في تدبير السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال مقاتل أعرض وثبت على اعراضه عن الحق
(فجمع كيده) أي أسباب الكيد وأدوات الحيلة والتمويه من مهرة السحر وغير ذلك (ثم أتى) الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع
كل واحد منهم حبل وعصا وقيل أربعمائة وقيل أكثر من ذلك فضرب لفرعون قبة طولها سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله

تعالى ﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾ يقول تعالى
ذكره مخبرا عن موسى قال موسى مجيبا له هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي يقول
أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها فترعاه غنمي يقال منه هش فلان الشجر يهش هشا اذا
اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها كما قال الراجز

أهش بالعصا على أغنامي * من ناعم الأراك والبشام

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال
أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأهش بها على غنمي قال أخبط بها الشجر
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأهش بها على غنمي قال كان نبي الله
موسى صلى الله عليه وسلم يهش على غنمه ورق الشجر حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا
أسباط عن السدي وأهش بها على غنمي يقول أضرب بها الشجر للغنم فيقع الورق حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي
قال يتوكأ عليها حين يمشي مع الغنم ويهش بها يحرك الشجر حتى يسقط الورق الحبلة وغيرها
حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسن عن عكرمة وأهش بها على
غنمي قال أضرب بها الشجر فيسقط من ورقها على حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال
ثنا علي بن الحسن قال ثنا حسين قال سمعت عكرمة يقول وأهش بها على غنمي قال
أضرب بها الشجر فيتساقط الورق على غنمي حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول
ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأهش بها على غنمي يقول أضرب بها الشجر حتى
يسقط منه ما تأكل غنمي وقوله ولي فيها مآرب أخرى يقول ولي في عصاي هذه حوائج أخرى
وهي جمع مأربة وفيها للعرب لغات ثلاث مأربة بضم الراء ومأربة بفتحها ومأربة بكسرها وهي
مفعلة من قولهم لا أرب لي في هذا الامر أي لا حاجة لي فيه وقيل أخرى وهي مآرب جمع ولم يقل
أخر كما قيل له الاسماء الحسنى وقد بينت العلة في توجيه ذلك هنالك * وبنحو الذي قلنا في معنى
المآرب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال ثنا حفص
ابن جميع قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولي فيها مآرب أخرى
قال حوائج أخرى قد علمتها حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي
عن ابن عباس قوله ولي فيها مآرب أخرى يقول حاجة أخرى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولي فيها مآرب أخرى قال حاجات

تعالى أن موسى قدم قبل كل شئ الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من أهل النصح والاشفاق ولاسيما الأنبياء المبعوثين رحمة للامم (ويلكم) نصب على المصدر الذى لافعل له أو على النداء (لاتفتروا على الله كذبا) بأن تدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحتكم) ألسحت لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ومعناه الاستئصال حذرهم أمرين أحدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم والآخر الخيبة والحرمان عن المقصود فان التمويه لابقاء له (فتنازعوا أمرهم بينهم) كقوله فى الكهف اذ يتنازعون بينهم أمرهم أى وقع التنازع بينهم (وأسروا النجوى) الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده (١١٨) ماروى عن ابن عباس أن نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ماهذا بقول ساحر والأكثرون على الاول وذلك أنهم تفاوضوا وتشاوروا حتى استقروا على شئ واحد وهو أنهم (قالوا ان هذان لساحران) الى آخر الآية لااشكال فى قراءة أبى عمرو وكذا فى قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيد لمنطلق واللام فارقة بين المخففة والنافية وأما من قرأ ان بالتشديد وهذان بالألف فأورد عليه أن ان لم يعمل فى المثنى وأجيب بأنه على لغة بلحرث بن كعب وخثعم وبعض بنى عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جنى الى بعض بنى ربيعة جعلوا التثنية كعصا وسعدى مما آخره ألف فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب وقيل ان بمعنى نعم واعترض أن ما بعده حينئذ يصير كقوله

* أم الحليس لعجوز شهربه *

ولا يجوز مثله الا فى ضرورة الشعر وانما موضع لام الابتداء فى السعة هو المبتدأ والجواب أن القرآن حجة على غيره وذكر الزجاج فى جوابه أن التقدير لهما ساحران فاللام داخلة على صدر الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلى اسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا أنه أجود ما سمعناه فى هذا الباب وضعفه ابن جنى بأن المبتدأ انما يجوز حذفه لو كان أمرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام وأيضا ان الحذف من باب الاختصار والتأكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما محال مع أن ذكر المؤكد وحذف التأكيد أحسن فى العكس وأيضا امتنع البصريون من جعل النفس فى قولك زيد ضرب نفسه تأكيد المستكن فدل ذلك على أن تأكيد المنوى مايوجب أن اقتلوا أنفسكم فى لا تخلفه عائدا يضا لو كان ماذهب اليه الزجاج جائزا لحمل النحويون قول الشاعر على ذلك ولم يحملوه على الاضطرار ولمن تبصر قول الزجاج أن

حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولى فيها مآرب أخرى قال حاجات ومنافع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولى فيها مآرب أخرى قال حاجات حدثنا موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى ولى فيها مآرب أخرى يقول حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولى فيها مآرب أخرى قال حوائج أخرى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مآرب أخرى قال حاجات منافع أخرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه ولى فيها مآرب أخرى أى منافع أخرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولى فيها مآرب أخرى قال حوائج أخرى سوى ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله مآرب أخرى قال حاجات أخرى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الاولى﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى ألق عصاك التى بيمينك ياموسى يقول الله جل جلاله فألقاها موسى فجعلها الله حية تسعى وكانت قبل ذلك خشبة يابسة وعصا يتوكأ عليها موسى ويهش بها على غنمه فصارت حية بأمر الله كما حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا حفص ابن جميع قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قيل لموسى ألقها ياموسى ألقاها فاذا هى حية تسعى ولم تكن قبل ذلك حية قال فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعتها قال فجعل موسى يسمع وقع الصخرة فى جوفها قال فولى مدبرا فنودى أن ياموسى خذها فلم يأخذها ثم نودى الثانية أن خذها ولاتخف فلم يأخذها فقيل له فى الثالثة انك من الآمنين فأخذها حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال له يعنى لموسى ربه ألقها ياموسى يعنى فألقاها فاذا هى حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب فنودى ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى تهتز لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون فرأى أمرا فظيعا فولى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه ياموسى أقبل ولاتخف سنعيدها سيرتها الاولى وقوله قال خذها ولاتخف يقول تعالى ذكره قال الله لموسى خذ الحية والهاء والالف من ذكر الحية ولاتخف يقول ولاتخف من هذه الحية سنعيدها سيرتها الاولى يقول فانا سنعيدها لهيئتها الاولى التى كانت عليها قبل أن نصيرها حية ونردها عصا كما كانت يقال لكل من

ويجيب عن الاول بأن التأكيد انما هو لنسبة الخبر الى المبتدا لا للمبتدا وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتدا المنوى وذكر المبتدا لا يدل على التأكيد فكان حذف المبتدا أولى وعن الثانى بأن الكلام قد يكون موجزا من وجه مطنبا من وجه آخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بأنهم امتنعوا من حمل النفس على التأكيد فى المثال المذكور لانهم رأوا أن اسناد الفعل الى المظهر أولى من اسناده الى المضمر لا لأن تأكيد المنوى ممتنع على أنا بينا أن المؤكد ليس بمحذوف فى الآية مطلقا فان أحد طرفى الكلام مذكور وعن الرابع بأن ذهول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضى كونه باطلا (١١٩) فكم ترك الاول للآخر * ولنرجع الى التفسير

كان على أمر فتركه وتحوّل عنه ثم راجعه عاد فلان سيرته الاولى وعاد لسيرته الاولى وعاد الى سيرته الاولى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سيرتها الاولى يقول حالتها الاولى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سيرتها الاولى قال هيئتها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه سنعيدها سيرتها الاولى أى سنردها عصا كما كانت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنعيدها سيرتها الاولى قال الى هيئتها الاولى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ يقول تعالى ذكره واضمم يا موسى يدك فضعها تحت عضدك والجناحان هما اليدان كذلك روى الخبر عن أبى هريرة وكعب الأحبار وأما أهل العربية فانهم يقولون هما الجنبان وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز * أضمه للصدر والجناح * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الى جناحك قال كفه تحت عضده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله تخرج بيضاء من غير سوء ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء من غير سوء من غير برص مثل الثلج ثم ردها فخرجت كما كانت على لونه حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى قال ثنا شريك عن يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس فى قوله تخرج بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من غير سوء قال من غير برص حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من غير سوء قال من غير برص (١) حدثنا الحسن قال أخبرنا

(١) سبق هذا الحديث قبل حديث القاسم فهو مكرر سندا ومتنا فتنبه كتبه مصححه

قال الفراء الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه فقبح أمر موسى فى أعين الحاضرين ونفرهم عنه بأنه ساحر والطباع نفور عن السحر وبأنه يقصد اخراجكم من دياركم وهذا أيضا مما يغض القاصد اليهم وبأنه يريد أن يذهب بأشراف قومكم وأكابركم قالوا وهم بنو اسرائيل لقول موسى أرسل معنا بنى اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف أى بأهل طريقتكم المثلى وسموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل حزب بما لديهم فرحون والمثلى تأنيث الامثل أى الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب والرياسة وكان الأمر على ما يقال به من قرأ فاجمعوا من الجمع فظاهر ومن قرأ من الاجماع فمعناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا نظيره ما مر فى سورة يونس فأجمعوا أمركم وشركاءكم سماه كيدا لانه علم أن السحر لا أصل له وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم أمرهم بأن يأتوا صفا أى مصطفين مجتمعين ليكون أهيب فى الصدور وأوقع فى النفوس

وعن أبى عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى أى مصلى من المصليات أو هو علم لمصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلواتهم (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب وهو اعتراض واعلم أن قصة السحرة أكثرها يشبه ما مر فى الاعراف وقد فسرناها هنالك فنحن الآن نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة (اما أن تلقى) أى اختر أحد الامرين القاءك أو القاءنا (فاذا حبالهم) هى اذا المفاجأة وأصلها الوقت أى فاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا عين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك وقيل أراد أنه شاهد شيأ لولا علمه بأنه لا حقيقة لذلك الشئ لظن فيها أنها تسعى فيكون تمثيلا (فأوجس) أضمر (فى نفسه خيفة) هو مفعول أوجس و (موسى) فاعله

أخر للفاصلة وذلك الخوف امامن جبلة البشرية حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه قاله مقاتل أو خاف أن يتأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت أو خاف أن يتفرق بعض القوم قبل أن يشاهد واغلبته أو خاف تمادي الامر عليه وتكرره فازال الله تعالى خوفه مجملا بقوله (انك أنت الاعلى) وفيه من أنواع التأكيد مالا يخفى وهى الاستئناف والتصدير بان والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا ولفظ العلو ومعناه الغلبة وصورة التفضيل ولا فضل لهم ومفصلا بقوله (وألق مافي يمينك) لم يقل عصاك لما علم في الاعراف والمسافي هذه السورة وماتلك بيمينك وقال (١٣٠) جارالله هو تصغير لشأن العصا وتهوين لامر السحرة أى ألق العويد الفرد الصغير الجرم الذى في يمينك فانه بقدرة الله يتلع (ماصنعوا) أى زوّروا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها أوهو تعظيم لشأنها أى لاتحفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة لان في يمينك شيأ أعظم شأنا من كلها (انما صنعوا) ان الذى افتعلوه (كيد سحر) أى ذى سحر أوذوى سحر أوهم في توغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه أو الاضافة للبيان أى كيد هو سحر كقولك علم فقه وانما وحد ساحر فيمن قرأ على الوصف ليعلم أن المقصود هو الجنس كما قال (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس ولو جمع لأوهم أن المراد هو العدد وانما نكر أولا لأن المراد تنكير الكيد كأنه قال هذا الذى أتوابه قسم واحد من أقسام السحر أومن أفعال السحرة وجميع أقسام السحر وأفراد السحرة لافلاح فيها ومن نظائره انى لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة ومعنى سبهللا أنه يجيء ويذهب في غير شئ ومعنى (حيث أتى) أينما كان وأية سلك (فألقى السحرة سجدا) قال جارالله سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر في السجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وروى أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها في الجنة واستبعده القاضي لانه كالالجاء الى الايمان وأنه ينافي التكليف قلت اذا كان الايمان مقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لعب لعب الجل وأنكر عليهم ايمانهم وألقى شبهته في البين أنه كبيرهم أى أسحرهم وأعلاهم درجة في الصناعة أو معلمهم وأستاذهم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري أى أستاذي في العلم أوغيره وأوعدهم بقطع الايدى والارجل (من خلاف) قال في الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لامن وفاقه اياه قلت الاولى

عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تخرج بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من غير سوء قال من غير برص حدثنا ابن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا قرة عن الحسن في قول الله بيضاء من غير سوء قال أخرجها الله من غير سوء من غير برص فعلم موسى أنه لقي ربه وقوله آية أخرى يقول وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التى أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك اليه ونصب آية على اتصالها بالفعل اذلم يظهر لها ما يرفعها من هذه أوهى وقوله لنريك من آياتنا الكبرى يقول تعالى ذكره واضمم يدك ياموسى الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء كى نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا وقال الكبرى فوحد وقد قال من آياتنا كما قال له الأسماء الحسنى وقد بينا ذلك هنالك وكان بعض أهل البصرة يقول انما قيل الكبرى لانه أريد بها التقديم كأن معناها عنده لنريك الكبرى من آياتنا

القول في تأويل قوله تعالى ﴿اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه اذهب ياموسى الى فرعون انه طغى يقول انه تجاوز قدره وتمرّد على ربه وقد بينا معنى الطغيان فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وفي الكلام محذوف استغنى بفهم السامع بما ذكر منه وهو قوله اذهب الى فرعون انه طغى فادعه الى توحيد الله وطاعته وارسال بنى اسرائيل معك قال رب اشرح لى صدرى يقول رب اشرح لى صدرى لأعى عنك ماتودعه من وحيك وأجترئ به على خطاب فرعون ويسر لى أمرى يقول وسهل علىّ القيام بما تكلفنى من الرسالة وتحملنى من الطاعة * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله رب اشرح لى صدرى قال جرأة لى وقوله واحلل عقدة من لسانى يقول وأطلق لسانى بالمنطق وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام للذى كان من القائه الجمرة الى فيه يوم هم فرعون بقتله ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن سعيد بن جبير في قوله عقدة من لسانى قال عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تردبه عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل فقال هذا عدو لى فقالت له انه لا يعقل حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح واحلل عقدة من لسانى لجمرة نار

أدخلها

أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل فقال هذا عدو لي فقالت له انه لا يعقل هذا قول سعيد بن جبير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واحلل عقدة من لساني قال عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تردّ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما تحرك الغلام يعني موسى أورته أمه آسية صبيا فبينما هي ترقصه وتلعب به اذ ناولته فرعون وقالت خذه فلما أخذه اليه أخذ موسى بلحيته فنتفها فقال فرعون عليّ الذباحين قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حليا من الياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمر فانما هو صبي فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم فطرح في يده جمرة فطرحها موسى في فيه فأحرقت لسانه فهو الذي يقول الله عز وجل واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي (1) فتوالت عن موسى من أجل ذلك وقوله يفقهوا قولي يقول يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام واجعل لي وزيرا من أهلي يقول واجعل لي عونا من أهل بيتي هرون أخي وفي نصب هرون وجهان أحدهما أن يكون هرون منصوبا بقوله اجعل ويكون الوزير اذا نصب على هذا الوجه فعلا لهرون والآخر أن يكون هرون منصوبا على الترجمة عن الوزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى

القول في تأويل قوله تعالى ﴿اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى انه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هرون وانما يعني بقوله اشدد به أزري قوّ ظهري وأعني به يقال منه قد أزر فلان فلانا اذا أعانه وشدّ ظهره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اشدد به أزري يقول اشدد به ظهري حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اشدد به أزري يقول اشدد به أمري وقوّني به فان لي به قوّة وقوله وأشركه في أمري يقول واجعله نبيا مثل ما جعلتني نبيا وأرسله معي الى فرعون كي نسبحك كثيرا يقول كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرا ونذكرك كثيرا فنحمدك انك كنت بنا بصيرا يقول انك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء وذكر عن عبد الله بن أبي اسحق أنه كان يقرأ أشدد به أزري بفتح الالف من أشدد وأشركه في أمري بضم الالف من أشركه بمعنى الخبر من موسى عن نفسه أنه يفعل ذلك لا على

(1) في نسخة الكتبخانه الخديوية فترالت ولعله فزالت وحرر كتبه مصححه

أن يقال الخلاف ههنا بمعنى الجهة المخالفة حتى يصح معنى الابتداء أي لأقطعن أيديكم وأرجلكم مبتدأ من الجهتين المتخالفتين يمينا وشمالا فيكون الجار والمجرور في موضع الحال أي لأقطعنها مختلفات الجهات قيل (في جذوع النخل) أي عليها والأصوب أن يقال هي على أصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف (أينا أشد) أراد نفسه وموسى وفيه صلف باقتداره وقهره وما ألفه من تعذيب الناس واستخفاف بموسى مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء قاله في الكشاف قلت يحتمل أن يريد بقوله أينا الله تعالى ونفسه لتقدم ذكر رب هرون وموسى وقد سبق عذاب الله في قوله ان العذاب على من كذب (١٣١) وتولى وفي قوله فيسحتكم بعذاب ويؤيده قول السحرة في جوابه والله خير وأبقى (لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا من البينات) المعجزات الظاهرات (و) على (الذي فطرنا) أو الواو للقسم وعلى هذا يجوز أن يكون على ما جاءنا بمعنى فيما جاءنا أي لن نميل اليك والحالة هذه وعلى الوجه الاول ففحوى الكلام لن نترك طاعة خالقنا والتصديق بمعجزات نبيه لأجل هوالك (فاقض ما أنت قاض) بما شئت من العذاب (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي في مدة الحياة العاجلة وقرئ تقضى مبنيا للمفعول هذه الحياة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صيم يوم الجمعة والحاصل أن قضاءك وحكمك منحصر في مدة حياتنا الفانية والايمان وثمرته باق لا يزول والعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني للفوز بالسعادة الباقية وللخلاص من العقاب الأبدي وذلك قولهم (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم أن قالوا في ذات الله تعالى فاقض ما أنت قاض والله ان أحدهم ليصحب القرآن ستين عاما ثم ليبيع دينه بثمن غبين ولما كان أقرب خطاياهم عهدا ما أظهروه من السحر قالوا (وما أكرهتنا عليه من السحر) وفي هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس أن الفراعنة كانوا يكرهون فتيانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فأبوا أن يعارضوه وعن الحسن أنهم حشروا من المدائن مكرهين وزعم عمر بن عبيد أن دعوة السلطان اكراه وليس بقوي فلا اكراه الامع الخوف فحيثما وجد حكم بالاكراه والا فلا وباقي الآيات ابتداء اخبار من الله أو هي من تتمة كلامهم فيه قولان ولعل الأول أولى (انه) أي الشأن (من يأت ربه) أي

حيث لا حكم الا هو فيسقط استدلال المجسمة حال كون الآتي (مجرما فان له جهنم لا يموت فيها) موتة مريحة (ولا يحيى) حياة ممتعة قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالآية لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع بوعيد أصحاب الكبائر أجابت الأشاعرة بأن المجرم كثيرا ما يجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين ولا ريب أن التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى آخر السورة فلم قلتم ان المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فتبطل المقدمة الاولى سلمنا (١٣٣) لكن المقدمة الثانية كليتها ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم العفو وحينئذ لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم يأته مؤمنا عندنا قلنا يصدق عليه المؤمن لان الايمان صدر عنه في الزمان الماضي كالضارب على من قد ضرب أمس وليس بين الحال والزمان الماضي منافاة كلية ولهذا صح جاءني زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات وأنه حال آخر فكأنه قيل ومن يأته قد آمن قد عمل ولئن قيل ان عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس أولى لان الدفع أسهل من الرفع واقامة الحد على التائب في بعض الصور لاجل المحنة لا لاجل التنكيل وقوله نكالا من الله في حق من لم يتب بعد من السرقة سلمنا أن قوله ومن يأته مؤمنا الايعم صاحب الكبيرة الا أن قوله فأولئك لهم الدرجات العلى من الجنة لمن أتى بالايمان والاعمال الصالحات أي الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فسائر الدرجات التي غير عالية لا بد أن تكون لغيرهم وما هم الا العصاة من أهل الايمان ثم عظم شأن المذكور بقوله (وذلك جزاء من تزكى) أي قال لا اله الا الله قاله ابن عباس وفيه دليل على أن قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة وقال آخرون تزكى أي تطهر من دنس الذنوب وعلى هذا يقع صاحب الكبيرة خارجا بل (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا

وجه الدعاء واذا قرئ ذلك كذلك جزم أشد وأشرك على الجزاء أو جواب الدعاء وذلك قراءة لا أرى القراءة بها وان كان لها وجه مفهوم لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك وحل عقدة لسانك وتصييره أخيك هرون وزيرا لك وشد أزرك به واشراكه في الرسالة معك ولقد مننا عليك مرة أخرى يقول تعالى ذكره ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرة أخرى وذلك حين أوحينا الى أمك اذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا اليها ثم فسر تعالى ذكره ما أوحى الى أمه فقال هو أن اقذفيه في التابوت فأن في موضع نصب ردا على ما التي في قوله ما يوحى وترجمة عنها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني﴾ يقول تعالى ذكره ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى حين أوحينا الى أمك أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت فاقذفيه في اليم يعني باليم النيل فليلقه اليم بالساحل يقول فاقذفيه في اليم يلقه اليم بالساحل وهو جزاء أخرج مخرج الامر كأن اليم هو المأمور كما قال جل ثناؤه اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يعني اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بمشرعة آل فرعون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما ولدت موسى أمه أرضعته حتى اذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت اليه فصنعت به ما أمرها الله تعالى جعلته في تابوت صغير ومهدت له فيه ثم عمدت الى النيل فقذفته فيه وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة فبينا هو جالس اذ مر النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مزاحم امرأته جالسة الى جنبه فقال ان هذا الشيء في البحر فأتوني به فخرج اليه أعوانه حتى جاؤا به ففتح التابوت فاذا فيه صبي في مهده فألقى الله عليه محبته وعطف عليه نفسه وعني جل ثناؤه بقوله يأخذه عدو لي وعدو له فرعون وهو العدو كان لله ولموسى حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فاقذفيه في اليم وهو البحر وهو النيل * واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جل ثناؤه وألقيت عليك محبة مني فقال بعضهم عنى بذلك أنه حببه الى عباده ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن علي الصدائي والعباس ابن محمد الدوري قالا ثنا حسين الجعفي عن موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل في قول الله وألقيت عليك محبة مني قال عباس حببتك الى عبادي وقال الصدائي حببتك الى خلقي * وقال آخرون

قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم
أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى
السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد
قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال
ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ (٣٣ ٤) بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين
بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال
فما خطبك ياسامري قال بصرت
بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من
أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت
لي نفسي قال فاذهب فان لك في
الحياة أن تقول لا مساس وان لك
موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم
لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله
الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما
كذلك نقص عليك من أنباء ما قد
سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من
أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة
وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة
حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون
بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما
يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان
لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
أمتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج
له وخشعت الاصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من أذن له الرحمن
ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت
الوجوه للحي القيوم وقد خاب من
حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا
هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من
قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ۞ القراآت لا تخف دركا بالجزم حمزة الباقون لا تخاف بالرفع أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم
على التوحيد حمزة وعلي وخلف ووعدناكم من الوعد أبو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما علي الآخرون بالكسر بملكنا
بفتح الميم أبو جعفر ونافع وعاصم غير المفضل بضمها حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحاء والميم مخففة أبو عمرو وسهل
ويعقوب وحمزة وعلي وخلف سوى حفص الآخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة تتبعني بالياء الساكنة في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب

بل معنى ذلك أي حسنت خلقك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني
ابراهيم بن مهدي عن رجل عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله وألقيت عليك محبة مني قال حسنا
وملاحة * قال أبو جعفر والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله ألقى محبته
على موسى كما قال جل ثناؤه وألقيت عليك محبة مني فحببه الى آسية امرأة فرعون حتى تبنته وغذته
وربته والى فرعون حتى كف عنه عاديته وشره وقد قيل انما قيل وألقيت عليك محبة مني لانه حببه
الى كل من رآه ومعنى ألقيت عليك محبة مني حببتك اليهم يقول الرجل لآخر اذا أحبه ألقيت
عليك رحمتي أي محبتي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولتصنع على عيني اذ تمشي أختك
فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى) اختلف أهل التأويل
في تأويل قوله ولتصنع على عيني فقال بعضهم معناه ولتغذى وتربى على محبتي وارادتي ذكر من قال
ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولتصنع على
عيني قال هو غذاؤه ولتغذى على عيني حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في
قوله ولتصنع على عيني قال جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة
* وقال آخرون بل معنى ذلك وأنت بعيني في أحوالك كلها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولتصنع على عيني قال أنت بعيني اذ جعلتك
أمك في التابوت ثم في البحر واذ تمشي أختك وقرأ ابن نهيك ولتصنع بفتح التاء وتأوله كما حدثنا
ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرأ ولتصنع
على عيني فسألته عن ذلك فقال ولتعمل على عيني * قال أبو جعفر والقراءة التي لا أستجيز القراءة
بغيرها ولتصنع بضم التاء لاجماع الحجة من القراء عليها واذا كان ذلك كذلك فأولى التأويلين به
التأويل الذي تأوله قتادة وهو وألقيت عليك محبة مني ولتغذى على عيني ألقيت عليك المحبة مني
وعنى بقوله على عيني بمرأى مني ومحبة وارادة وقوله اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من
يكفله يقول تعالى ذكره حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك ثم تأتي من يطلب المراضع لك
فتقول هل أدلكم على من يكفله وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله اذ تمشي أختك استغناء
بدلالة الكلام عليه وانما قالت أخت موسى ذلك لهم لما حدثنا موسى بن هرون قال ثنا
عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما ألقته أمه في اليم قالت لأخته قصيه فلما التقطه آل
فرعون وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند
فرعون في الرضاع فأبى أن يأخذ فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون

وافق أبو عمرو ونافع غير اسمعيل فى الوصل وقرأ يزيد واسمعيل بفتح الياء الباقون بحذفها يا ابن أم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص لم تبصر وا بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف الباقون على الغيبة فنبذتها مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف ويزيد وهشام وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الآخرون بفتحها لنحرقنه بفتح النون وضم الراء يزيد الآخرون من التحريق فلا يخف بالجزم على النهى ابن كثير أن نقضى بالنون مبنيا للفاعل وحيه بالنصب يعقوب الباقون بالياء مضمومة وبفتح الضاد وحيه بالرفع ۞ الوقوف يبسا ج لأن قوله لا تخاف يصلح (١٢٤) صفة للطريق مع حذف الضمير العائد أى لا تخاف فيه ويصلح مستأنفا ومن قرأ لا تخف فوقفه أجوز لعدم العاطف ووقوع الحائل مع تعقب النهى الامر الا أن يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا تخشى ○ ما غشيهم ط لأن التقدير وقد أضل من قبيل على الحال الماضية دون العطف لانه عند ما غشيهم لم يتفرغ للاضلال وما هدى ○ والسلوى ○ غضبى ج هوى ○ اهتدى ○ يا موسى ○ لترضى ○ السامرى ○ أسفا ج لانتساق الماضى على الماضى بلا ناسق حسنا ط موعدى ○ السامرى ○ لا فنسى ○ ط قولا لا للعطف ولا نفعا ○ ط فتنتم به ج للابتداء بان مع اتصال العطف أمرى ج موسى ○ أن لا تتبعن ط أمرى ○ برأسى ج للابتداء بان مع اتصال المعنى واتحاد القائل قولى ○ يا سامرى ○ نفسى ○ لا مساس ص لن تخلفه ج لاختلاف الجملتين عاكفا ط للقسم المحذوف نسفا ○ الا هو ط علما ○ سبق ج للاستئناف والحال ذكرا ج ○ لان الشرطية تصلح صفة للذكر وتصلح مبتدأ بها وزرا ○ لا لأن قوله خالدين حال من الضمير فى يحمل وهو عائد الى من ومن للجمع معنى فيه ط حملا ○ لا لأن يوم ينفخ بدل من يوم القيامة زرقا ○ ج لأن ما بعده يصلح للصفة والاستئناف عشرا ○ يوما ○ نسفا ○ لا صفصفا ○ لا أمتا ○ لا عوج له ج لاختلاف الجملتين همسا ○ قولا ○ علما ○ عن القيوم ط ظلما ○ هضما ○ ذكرا ○ الحق ج وحيه ز لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما أضيف اليه علما ○ ۞ التفسير هذا شروع فى قصة انجاء بنى اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم فى البقرة وفى الاعراف وفى يونس ومعنى (فاضرب لهم طريقا) اجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله أو أراد بين لهم طريقا (فى البحر) بالضرب بالعصا حتى ينفلق فعدى الضرب الى الطريق ثم بين أن جميع أسباب الامن حاصلة فى ذلك الطريق واليبس مصدر وصف به ومثله اليبس ونحوهما العدم والعدم ويوصف به المؤنث لذلك فيقال ناقتنا

فأخذوها وقالوا بل قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن انما قلت هم للملك ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت يعنى أم موسى لأخته قصيه فانظرى ماذا يفعلون به فخرجت فى ذلك فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وقد احتاج الى الرضاع والتمس الثدى وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيأ منهم فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون أى لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك وعنى بقوله هل أدلكم على من يكفله هل أدلكم على من يضمه اليه فيحفظه ويرضعه ويربيه وقيل معنى وكفلها زكريا ضمها وقوله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن يقول تعالى ذكره فرددناك الى أمك بعد ما صرت فى أيدى آل فرعون كيما تقر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق فى اليم وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قالت أخت موسى لهم ما قالت قالوا هات فأتت أمه فأخبرتها فانطلقت معها حتى أتتهم فناولوها اياه فلما وضعته فى حجرها أخذ ثديها وسروا بذلك منه ورده الله الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن فبلغ لطف الله لها وله أن رد عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمنة من القتل الذى يتخوف على غيره فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون فى الامان والسعة فكان على فرش فرعون وسرره وقوله وقتلت نفسا يعنى جل ثناؤه بذلك قتله القبطى الذى قتله حين استغاثه عليه الاسرائيلى فوكزه موسى وقوله فنجيناك من الغم يقول تعالى ذكره فنجيناك من غمك بقتلك النفس التى قتلت اذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم حتى هربت الى أهل مدين فلم يصلوا الى قتلك وقودك به وكان قتله اياه فيما ذكر خطأ كما حدثنى واصل بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن فضيل عن أبيه عن سالم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما قتل موسى الذى قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فنجيناك من الغم قال من قتل النفس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنجيناك من الغم النفس التى قتل * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وفتناك فتونا فقال بعضهم ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية

يبس اذا جف لبنها والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك وفى لا تخشى اذا قرئ لا تخف أوجه الاستئناف أى وأنت لا تخشى وجوز فى الكشاف أن يكون الالف للاطلاق من أجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وأن يكون كقول الشاعر كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا أراد لم تر لان ماقبله وتضحك منى شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز فى الضرورة ولا ضرورة فى الآية (فأتبعهم فرعون) ألحق بهم جنوده أو تبعهم ومعه جنوده كما مر فى يونس (فغشيهم) أى علاهم ورهقهم (من اليم ماغشيهم) وهذا من جملة ماعلم فى باب الايجاز لدلالته على أنه غشيهم مالا يعلم كنهه الا الله (١٣٥) وقد سلف منه فى السور المذكورة ماحكى فى الاخبار وروى فى الآثار ونسبة الاضلال الى فرعون لا تنافى انتهاء الكل الى ارادة الله ومشيئته وقوله (وما هدى) تأكيد للاضلال وفيه تهكم به فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما أنعم به على بنى اسرائيل ويجوز أن يكون خطابا لليهود المعاصرين لأن النعمة على الآباء نعمة فى حق الابناء ومثله قوله (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أى الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عادت اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فبكتب التوراة فى ألواح قام شرعهم واستقام أمر معاشهم ومعادهم (كلوا) من تتمة القول وطغيانهم فى الرزق هو شغلهم باللهو والتنعم عن القيام بشكرها وتعدى حدود الله فيها بالاسراف والتقتير والغصب ومن قرأ (فيحل) بالكسر فبمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب أداؤه ومن قرأ بالضم فبمعنى النزول ونزول الغضب نزول نتائجه من العقوبات والمثلات ومعنى (هوى) هلك وأصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى أى وقع فى الهاوية * سؤال كيف أثبت المغفرة فى حق من استجمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما تتصور فى حق من أذنب وأيضا مامعنى قوله (ثم اهتدى) بعد الامور المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها الا أقل من أن يكون معها الجواب أراد وانى لغفار لمن تاب من الكفر وآمن وعمل صالحا وفيه دليل لمن ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل أن الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز أن يراد أنه اذا تاب من الكفر وأقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التى تصدر عنه فى خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وأما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة

عن على عن ابن عباس قوله وفتناك فتونا يقول اختبرناك اختبارا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وفتناك فتونا قال ابتليت بلاء **حدثنى** العباس بن الوليد الآملى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا أصبغ بن زيد الجهنى قال أخبرنا القاسم بن أيوب قال ثنى سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى وفتناك فتونا فسألته عن الفتون ماهى فقال لى استأنف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا قال فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ماوعدنى قال فقال ابن عباس تذاكر فرعون وجلساؤه ماوعد الله ابراهيم أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم ان بنى اسرائيل ينتظرون ذلك ومايشكون ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان الله وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون قال فائتمروا بينهم وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون فى بنى اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا أن الكبار من بنى اسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قالوا يوشك أن تفنوا بنى اسرائيل فتصيرون الى أن تباشروا من الاعمال والخدمة التى كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فيقل أبناؤهم ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافون مكاثرتهم اياكم ولن يقلوا بمن تقتلون فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهرون فى العام المقبل الذى لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتى اذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع فى قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير مما دخل عليه فى بطن أمه مما يراد به فأوحى الله اليها ألا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وأمرها اذا ولدته أن تجعله فى تابوت ثم تلقيه فى اليم فلما ولدته فعلت ما أمرت به حتى اذا توارى عنها ابنها أتاها ابليس فقالت فى نفسها ما صنعت بابنى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب الى من أن ألقيه بيدى الى حيتان البحر ودوابه فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى آل فرعون فرأينه فأخذنه فهممن أن يفتحن الباب فقال بعضهن لبعض ان فى هذا مالا وانا ان فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه فحملنه كهيئته لم يحركن منه شيأ حتى دفعنه اليها فلما فتحته رأت فيه الغلام فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا الى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت للذباحين انصرفوا عنى فان هذا الواحد لا يزيد فى بنى اسرائيل فآتى فرعون فأستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم وان

على الخدمة أصعب من الشروع فيها كما قيل لكل الى شأو العلى حركات * ولكن عزيز فى الرجال ثبات ونظير هذا العطف قوله أهلكناها فجاءها بأسنا وقد مر البحث فيه ويروى أن موسى قد مضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب الى رضا الله فأنكر الله تعالى تقدمه قائلا (وما أعجلك عن قومك) أى شئ عجل بك عنهم فالمراد بالقوم النقباء لا جميع قومه على ما توهم بعضهم يؤكده قوله (هم أولاء على أثرى) ولم يكن جميع قومه على أثره قال جار الله قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب التقدم فكان أهم الامرين

الى موسى تمهيد العذر من العجلة نفسها فاعتل بأنه لم يوجد منى الا تقدم يسير وليس بينى وبينهم الا مسافة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال (وعجلت اليك رب لترضى) أى طلبت دوام رضاك عنى أو مزيد رضاك بناء على اجتهادى أن التعجيل الى مقام المكالمة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل لما أنكر عليه الاستعجال دهش خوفا من العقاب فتحير فى الجواب (قال فانا قد فتنا قومك) يعنى جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا روى أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فسئل انه تعالى كيف قال لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك وأجيب بأنه على عادة الله تعالى فى اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع أو أراد بدء الفتنة لأن السامرى افترص غيبة موسى فعزم على اضلال قومه عقيب انطلاقه ولقائل أن يمنع كون هذه الاخبار عند مقدم موسى عليه السلام بل لعله عند رجوعه بدليل فاء التعقيب فى قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وأوتى التوراة وسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز أن تنسب الى الله تعالى لانه يناقض قوله وأضلهم السامرى وانما الفتنة بمعنى الامتحان بتشديد التكليف ومنه فتنت الذهب بالنار وبيان ذلك أن السامرى لما أخرج لهم العجل صاروا مكلفين بأن يستدلوا بحدوث جملة الاجسام على أن العجل

أمر بذبحه لم أملكم فلما أتت به فرعون قالت قرة عين لى ولك قال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لى فيه فقال والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله حرمه ذلك فأرسلت الى من حولها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظئرا فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها فلم يقبل من أحد وأصبحت أم موسى فقالت لأخته قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى ابنى أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه ونسيت الذى كان الله وعدها فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤرات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا وما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا فى ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم فى ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت فلما وضعته فى حجرها نزا الى ثديها حتى امتلأ جنباه فانطلق البشراء الى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتيت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثى عندى حتى ترضعى ابنى هذا فانى لم أحب حبه شيئا قط قال فقالت لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به الى بيتى فيكون معى لا آلوه خيرا فعلت والا فانى غير تاركة بيتى وولدى وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من يومها فأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم مجتمعون فى ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التى كانت فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيرينى ابنى فوعدتها يوما تزيرها اياه فيه فقالت لخواصها وظؤرتها وقهارمتها لا يبقين أحد منكم الا استقبل ابنى بهدية وكرامة ليرى ذلك وأنا باعثة أمينة تحصى ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها نحلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه وقالت انطلقن به الى فرعون فلينحله وليكرمه فلما دخلوا به عليه جعلته فى حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى مدها فقال عدو من أعداء الله ألا ترى ما وعد الله ابراهيم أنه سيصرعك ويعلوك فأرسل الى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به وأريد به فجاءت امرأة فرعون تسعى الى فرعون فقالت ما بدا لك فى هذا الصبى الذى قد وهبته لى قال ألا ترين يزعم أنه سيصرعنى ويعلونى فقالت اجعل بينى وبينك أمرا تعرف فيه الحق ائت بجمرتين ولؤلؤتين

فقربهن

لا يصلح للالهية وقالت الأشاعرة الشبهة فى كون الشمس والقمر الها أعظم من العجل الذى له خوار وهو جسد من الذهب وحينئذ لا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا فى التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه فوجب حمله على خلق الضلال فيهم وأجابوا عن اضافة الضلال الى السامرى بأن جميع المسببات العادية تضاف الى أسبابها فى الظاهر وان كان الموجد لها فى الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الأسف المغتاظ وفرق بين الاغتياظ والغضب لان الغيظ تغير يلحق المغتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا صح اطلاقه على الله سبحانه ثم عاتب موسى عليه السلام قومه بأمور منها (١٣٧) قوله (ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) كأنهم كانوا معترفين بالرب الأكبر لكنهم عبدوا العجل على التأويل الذى تذكر عبدة الاصنام أو على تأويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التوراة التى فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات ومثله ما روى عن مجاهد ان العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك فرعون ووعدهم أرضهم وديارهم وقد فعل ومنها قوله (أفطال عليكم العهد) أى الزمان يريد مدة مفارقته لهم وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الايمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل وقيل أراد عهدهم بنعم الله تعالى من الانجاء وغيره والاكثرون على الاول لما روى أنه وعدهم ثلاثين كما أمر الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فجاء بعد الأربعين لقوله تعالى وأتممناها بعشر ولما روى أنهم حسبوا العشرين أربعين ومنها قوله (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) قالوا هذا لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان أحدا لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهو خلاف الموعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لأن مريد السبب مريد للمسبب بالعرض احتج العلماء بالآية وعامر من قوله فيحل عليكم غضبى أن الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله تعالى لا تنزل فى شئ من الأجسام وموعده موسى هو ما ذكرنا من أنهم وعدوه الاقامة على دينه الى أن يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق به والمجئ على أثره (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بالحركات الثلاث أى بأن ملكنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامرى وكيده والظاهر أن القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه فكأنهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم يقدروا على منعهم ولم يقدروا أيضا على مخالفتهم حذرا من التفرقة وزيادة الفتنة

فقربهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل وان تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب ذلك اليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعد ما قد هم به وكان الله بالغا فيه أمره فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل امتناع فبينما هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعونى فقتله وليس يراهما أحد الا الله والاسرائيلى فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم فأصبح فى المدينة خائفا يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال ابغونى قاتله ومن يشهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتا اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذى رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالأمس واليوم انك لغوى مبين فنظر الاسرائيلى موسى بعد ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له انك لغوى مبين أن يكون اياه أراد ولم يكن أراده وانما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى فحاجز الفرعونى فقال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس وانما قال ذلك مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتتاركا فانطلق الفرعونى الى قومه فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلى من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس فأرسل فرعون الذباحين فسلك موسى الطريق الأعظم فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم الى موسى فأخبره الخبر وذلك من الفتون يا ابن جبير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فتونا قال بلاء القاؤه فى التابوت ثم فى البحر ثم التقاط آل فرعون اياه ثم خروجه خائفا * قال محمد بن عمرو وقال أبو عاصم خائفا

أو جائعا شك أبو عاصم وقال الحرث خائفا يترقب ولم يشك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال خائفا يترقب ولم يشك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفتناك فتونا يقول ابتليناك بلاء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وفتناك فتونا هو البلاء على اثر البلاء * وقال آخرون معنى ذلك أخلصناك ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفتناك فتونا أخلصناك اخلاصا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم قال سمعت سعيد بن جبير يفسر هذا الحرف وفتناك فتونا قال أخلصناك اخلاصا * قال أبو جعفر وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المغنية عن الاعادة في هذا الموضع وقوله فلبثت سنين في أهل مدين وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف ومعنى الكلام وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى أهل مدين فلبثت سنين فيهم وقوله ثم جئت على قدر يا موسى يقول جل ثناؤه ثم جئت للوقت الذي أردنا ارسالك الى فرعون رسولا ولمقداره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم جئت على قدر يا موسى يقول لقد جئت لميقات يا موسى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال على قدر يا موسى قال موعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال على ذي موعد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله على قدر يا موسى قال قدر الرسالة والنبوة والعرب تقول جاء فلان على قدر اذا جاء لميقات الحاجة اليه ومنه قول الشاعر

نال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

القول في تأويل قوله تعالى ﴿واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى﴾ يقول تعالى ذكره واصطنعتك لنفسي أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن اجتباء مني لك واختيارا لرسالتي والبلاغ عني والقيام بأمري ونهيي اذهب أنت وأخوك هرون بآياتي يقول بأدلتي وحججي اذهبا الى فرعون بها انه تمرد في ضلاله وغيه فابلغاه رسالاتي ولا تنيا في ذكري يقول ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما

ثم ان القوم بينوا ذلك العذر المجمل فقالوا (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أي أثقالا من حلي القبط كما مر في الاعراف وقيل الأوزار الآثام وانها في الحقيقة أثقال مخصوصة معنوية (٣) سموا بذلك لان الغنائم لم تحل حينئذ أو لأنهم كانوا مستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي وقيل ان تلك الحلي كان القبط يتزينون بها في مجامع الكفر ومجالس المعاصي فلذلك وصفت بأنها أوزار كما يقال في آلات المعاصي (فقذفناها) أي في الحفرة كان هرون أمرهم بجمع الحلي انتظار العود موسى أو في موضع أمرهم السامري بذلك بعد أن أوقد النار (فكذلك ألقى السامري) مثل فعلنا أراهم أنه يلقي حليا في يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التي أخذها من موطئ حافر فرس جبريل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) قد مر في الأعراف (فقالوا) أي السامري ومن تبعه (هذا الهكم واله موسى فنسي) موسى أن يطلبه ههنا فذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أو نسي الاستدلال على أن العجل لا يجوز أن يكون الها بقوله (أفلا يرون أن لا يرجع) أن مخففة من الثقيلة ولهذا لم تعمل وقرئ بالنصب على أنها الناصبة قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعي الالهية جائز لانه لا يحصل الالتباس وههنا كذلك فوجب أن لا يمتنع خلق الحياة في صورة العجل وروى عكرمة عن ابن عباس أن هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم أعطه ما سألك فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني أسألك أن يخور فخار وعلى هذا التقدير يكون معجزا للنبي لا للسامري ثم انه سبحانه أخبر أن هرون لم يأل نصحا واشفاقا في شأن نفسه وفي شأن القوم قبل أن يقول لهم السامري ما قال أما شفقته على نفسه فهي أنه أدخلها في زمرة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر أما الامتثال فانه امتثل في نفسه وفي شأن القوم أمر أخيه حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة فتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بادرهم هرون فزجرهم عن الباطل أولا بأن هذا من جملة الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله (وان ربكم الرحمن) ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام أنهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم ثم بين أن الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبي وطاعته

فان

فقال (فاتبعوني وأطيعوا أمري) وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم أن الشفقة على خلق الله أصل عظيم في الدين وقاعدة متينة روى النعمان ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيناهو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال الهي وسيدي هذا رسولك يشهد علي بأني من أهل النار وأنا أعلم أنه صادق فاذا كان الامر كذلك فأسألك أن تجعلني فداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشعل النار بي حتى يبر يمينه (١٣٩) ولا تسفع النار أحدا فهبط جبريل وقال يا محمد بشر الشاب بأني قد أنقذته من النار بتصديقه اك وفداء أمتك بنفسه وشفقته على الخلق قال أهل السنة ههنا ان الشيعة تمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم أنت مني بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون ما منعته التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الخطأ لكان يجب على علي كرم الله وجهه أن يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف والشيعة أن يقولوا ان هرون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بأن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وهكذا علي رضي الله عنه امتنع أولا من البيعة فلما آل الامر الى ما آل أعطاهم ما سألوا اعاقلت هذا على سبيل البحث لا لأجل التعصب ثم ان القوم قابلوا حسن موعظة هرون بالتقليد والجحود قائلين (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) ولا يخفى ما في هذا الكلام من أنواع التوكيد من جهة النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الخبر ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله

(ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) قوله ما منعك ألا تسجد في أن لا هذه مزيدة أم لا وقد مر في الأعراف وفي هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس ما منعك من اتباعي عن أطاعك واللحوق بي وترك المقام بين أظهرهم وقال مقاتل أراد الاتباع في وصيته كأنه قال هلا قاتلت من كفر عن آمن ومالك لا تباشر الأمر كما كنت أباشره قال الاصوليون في قوله (أفعصيت أمري) دلالة على أن تارك المأمور به عاص والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه أن الامر للوجوب واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بأن موسى عليه السلام هل أمر هرون باتباعه أم لا وعلى التقدير من فهرون اتبعه أم لا

فان ذكركما اياي يقوي عزائمكما ويثبت أقدامكما لأنكما اذا ذكرتماني ذكرتما مني عليكما نعما جمة ومننا لا تحصى كثرة يقال منه وني فلان في هذا الأمر وعن هذا الأمر اذا ضعف وهو يني ونى كما قال العجاج

فما ونى محمد مذ أن غفر * له الاله ما مضى وما غبر

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تنيا يقول لا تبطئا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تنيا في ذكري يقول ولا تضعفا في ذكري حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا تنيا في ذكري قال لا تضعفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تنيا تضعفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنيا في ذكري يقول لا تضعفا في ذكري حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا تنيا في ذكري قال لا تضعفا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تنيا في ذكري يقول لا تضعفا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنيا في ذكري قال الواني هو الغافل المفرط ذاك الواني

القول في تأويل قوله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) يقول تعالى ذكره لموسى وهرون فقولا لفرعون قولا لينا ذكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له هو أن يكنياه حدثني جعفر ابن ابنة اسحق بن يوسف الازرق قال ثنا سعيد بن محمد الثقفي قال ثنا علي بن صالح عن السدي فقولا له قولا لينا قال كنياه وقوله لعله يتذكر أو يخشى اختلف في معنى قوله لعله في هذا الموضع فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام كأنهم وجهوا معنى الكلام الى فقولا له قولا لينا فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لعله يتذكر أو يخشى يقول هل يتذكر أو يخشى * وقال آخرون معنى لعل ههنا كي ووجهوا معنى الكلام الى اذهبا الى فرعون انه طغى فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى كما يقول القائل اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك بمعنى لتأخذ أجرك وافرغ من عملك لعلنا نتغدى بمعنى لنتغدى أو حتى نتغدى ولكلا هذين القولين وجه حسن ومذهب

فان لم يأمره أو أمره ولكن اتبعه فلامته لهرون من غير جرم تكون ذنبا وان أمره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وأيضا قوله أفعصيت استفهام بمعنى الانكار فاما أن يكون موسى كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما أن يكون هرون عاصيا وأيضا أخذه بلحية هرون وبرأسه ان كان بعد البحث والتفتيش فهرون عاص والا فموسى وأجيب بان كل ذلك أمور اجتهادية جائزة الخطا أوهي من باب ترك الاولى وقد مر في أوائل البقرة في قصة آدم ما يتعلق بهذه المسئلة قوله (ولم ترقب قولي) أي وصيتي لك بحفظ الدهماء واجتماع الشمل يؤيده قوله (اني خشيت أن تقول فرقت) قال الامام أبو القاسم الانصاري الهداية أنفع من الدلالة فان السحرة ماراوا الا آية واحدة فآمنوا وتحملوا في الدين ما تحملوا وأما قوم موسى فقد رأوا ذلك مع زيادة سائر الآيات التسع ومع ذلك اغتروا بصوت العجل وعكفوا على عبادته فعرفنا أن الغرض لا يحصل الا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى من عتاب هرون أقبل على السامري ويمكن أن يكون بعدما ثم حضر أو ذهب اليه موسى ليخاطبه قال جار الله الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه (قال) أي السامري (بصرت بما لم يبصروا به) قال ابن عباس ورواه أبو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصارة يعني العلم وقال الآخرون رأيت ما لم تروه فالباء للتعدية ورجح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبي صلى الله عليه وسلم والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على أن المراد بالرسول جبريل عليه السلام وأثره التراب الذي أخذه من موقع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحياة ومتى رآه الأكثرون على أنه رآه يوم فلق البحر وكان جبريل على الرمكة وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبريل فتبعه فرس فرعون وعن علي رضي الله عنه في ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور أبصره السامري من بين الناس وكان راكب حيزوم فقال ان لهذا شأنا فقبض من تربة موطئه فمعنى الآية فقبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ثم من المفسرين من جوز أن السامري لم يعرف أنه جبريل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس انما عرفه لانه رباه في صغره وحفظه من القتل حين أمر فرعون بقتل أولاد بني اسرائيل فكانت المرأة تلد ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة الولدان فيربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري أخذه بالمقام أتم

صحيح وقوله قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا يقول تعالى ذكره قال موسى وهرون ربنا اننا نخاف فرعون ان نحن دعوناه الى ما أمرتنا أن ندعوه اليه أن يعجل علينا بالعقوبة وهو من قولهم فرط مني الى فلان أمر اذا سبق منه ذلك اليه ومنه فارط القوم وهو المتعجل المتقدم أمامهم الى الماء أو المنزل كما قال الراجز * قد فرط العلج علينا وعجل * وأما الافراط فهو الاسراف والاشطاط والتعدي يقال منه أفرطت في قولك اذا أسرف فيه وتعدى وأما التفريط فانه التواني يقال منه فرطت في هذا الامر حتى فات اذا توانى فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن يفرط علينا قال عقوبة منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال نخاف أن يعجل علينا اذ نبلغه كلام ملك أو أمرك يفرط ويعجل وقرأ لا تخافا انني معكما أسمع وأرى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى وهرون لا تخافا فرعون انني معكما أعينكما عليه وأبصركما أسمع ما يجري بينكما وبينه فأفهمكما ما تحاورانه به وأرى ما تفعلان ويفعل لا يخفى علي من ذلك شئ فأتياه فقولا له انا رسولا ربك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى ما يحاوركما فأوحي اليكما فتجاوبانه وقوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك أرسلنا اليك يأمرك أن ترسل معنا بني اسرائيل فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الاعمال الرديئة قد جئناك بآية معجزة من ربك على أنه أرسلنا اليك بذلك ان أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أريناكها والسلام على من اتبع الهدى يقول والسلامة لمن اتبع هدى الله وهو بيانه يقال السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع بمعنى واحد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى﴾ يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهرون قولا لفرعون انا قد أوحي الينا ربك أن عذابه الذي لا نفاد له ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه اليه من توحيد الله وطاعته واجابة رسله وتولى يقول وأدبر معرضا عما جئناه به من الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أن العذاب على من كذب وتولى كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله وقوله قال فمن ربكما يا موسى

جبريل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال أبو مسلم اطلاق الرسول على جبريل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب وأيضا تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبريل وبمعرفة خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شئ آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى أن يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا به مكذبا وأراد بأثره سنته ورسمه من قولهم فلان يقفو أثر فلان أى عرفت أن الذى عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيأ من سنتك فطرحتها فعلى قول العامة يكون قوله (وكذلك سوّلت لى نفسى) اشارة الى ما أوحى اليه وليه الشيطان أن تلك التربة اذا نبذت على الجماد صار حيوانا وعلى قول أبى مسلم يشير الى أن اتباع أثرك كان من تسويلات النفس الأمارة فلذلك تركته ثم بين موسى أن له عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة يروى أنه أراد أن يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه سخىّ وفي قوله (لا مساس) وجوه الاوّل انه حرم عليه مماسة الناس لانه اذا اتفق أنّ هناك مماسة فأحدهم الماس والثانى الممسوس فلذلك اذا رأى أحدا صاح لا مساس ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى الآن الثانى أن المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى أخرجه من محلة بنى اسرائيل وقال له اخرج أنت وأهلك طريدا الى البرارى اعترض الواحدى عليه بأن الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس وانما يقال له ذلك وأجيب بأن هذا على الحكاية أى أجعلك يا سامرى بحيث اذا أخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس والثالث قول أبى مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بأنه لا يمكن له مماسة المرأة أى مجامعتها وأما حاله في الآخرة فذلك قوله (وان لك موعدا لن تخلفه) قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا ثم بين ما آل حال الهه فقال (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) أى ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا (لنحرقنه) من الاحراق ففيه دليل على أنه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار ونسفه في اليم قال السدى أمر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم أحرق ثم نسف والنسف النقض ومن جعله من الحرق أى لنبردنه بالمبرد ففيه دلالة على أنه لم ينقلب حيوانا الا اذا أريد برد عظامه ومن جعله من التحريق فانه يحتمل الوجهين والمراد اهدار السامرى وابطال كيده ومحق صنيعه والله خير الماكرين ثم ختم الكلام ببيان الدين الحق فقال (انما الهكم) أى المستحق للعبادة

في هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو قوله فأتياه فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته فقال فرعون لهما فمن ربكما يا موسى فخاطب موسى وحده بقوله يا موسى وقد وجه الكلام قبل ذلك الى موسى وأخيه وانما فعل ذلك كذلك لان المجاوبة انما تكون من الواحد وان كان الخطاب لجماعة لا من الجميع وذلك نظير قوله نسيا حوتهما وكان الذى يحمل الحوت واحدا وهو فتى موسى يدل على ذلك قوله انى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقوله قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يقول تعالى ذكره قال موسى له مجيبا ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه يعنى نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بنى آدم أعطاهم نظير خلقهم من الاناث أزواجا وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها وفي صورتها وهيئتها من الاناث أزواجا فلم يعط الانسان خلاف خلقه فيزوجه بالاناث من البهائم ولا البهائم بالاناث من الانس ثم هداهم للمأتى الذى منه النسل والنماء كيف يأتيه ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب وغير ذلك * وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يقول خلق لكل شئ زوجة ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يقول أعطى كل دابة خلقها زوجا ثم هدى للنكاح * وقال آخرون معنى قوله ثم هدى أنه هداهم الى الألفة والاجتماع والمناكحة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يعنى هدى بعضهم الى بعض ألف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوج بعضهم بعضا * وقال آخرون معنى ذلك أعطى كل شئ صورته وهى خلقه الذى خلقه به ثم هداه لما يصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد في قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال أعطى كل شئ صورته ثم هدى كل شئ الى معيشته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد في قول الله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال سوّى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها فعلمها اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال سوّى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها وعلمها اياه ولم يجعل

الناس فى خلق البهائم ولا خلق البهائم فى خلق الناس ولكن خلق كل شئ فقدره تقديرا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال هداه الى حيلته ومعيشته * وقال آخرون بل معنى ذلك أعطى كل شئ ما يصلحه ثم هداه له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله أعطى كل شئ خلقه قال أعطى كل شئ ما يصلحه ثم هداه له * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك لأنه جل ثناؤه أخبر أنه أعطى كل شئ خلقه ولا يعطى المعطى نفسه بل انما يعطى ما هو غيره لان العطية تقتضى المعطى والمعطى والعطية ولا تكون العطية هى المعطى واذا لم تكن هى هو وكانت غيره وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه كان معلوما أنه اذا قيل أعطى الانسان صورته أنه انما يعنى أنه أعطى بعض المعانى التى به مع غيره دعى انسانا فكأن قائله قال أعطى كل خلق نفسه وليس ذلك اذا وجه اليه الكلام بالمعروف من معانى العطية وان كان قد يحتمله الكلام فاذ كان ذلك كذلك فالأصوب من معانيه أن يكون موجها الى أن كل شئ أعطاه ربه مثل خلقه فزوجه به ثم هداه لما بينا ثم ترك ذكر مثل وقيل أعطى كل شئ خلقه كما يقال عبد الله مثل الاسد ثم يحذف مثل فيقول عبد الله الاسد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون لموسى اذ وصف موسى ربه جل جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان وكثرة الانعام على خلقه والافضال فما شأن الامم الخالية من قبلنا لم تقر بما تقول ولم تصدق بما تدعو اليه ولم تخلص له العبادة ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه ان كان الامر على ما تصف من أن الاشياء كلها خلقه وأنها فى نعمه تتقلب وفى مننه تتصرف فأجابه موسى فقال علم هذه الامم التى مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك عند ربى فى كتاب يعنى فى أم الكتاب لا علم لى بأمرها وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله لا يضل ربى يقول لا يخطئ ربى فى تدبيره وأفعاله فان كان عذب تلك القرون فى عاجل وعجل هلاكها فالصواب ما فعل وان كان أخر عقابها الى القيامة فالحق ما فعل هو أعلم بما يفعل لا يخطئ فى فعله ولا ينسى فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى يقول لا يخطئ ربى ولا ينسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما بال القرون الاولى يقول فما أعمى القرون الاولى فوكلها نبى الله موكلا فقال علمها عند ربى الآية يقول أى أعمارها وآجالها * وقال آخرون معنى قوله لا يضل ربى ولا ينسى واحد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا يضل ربى ولا ينسى قال هما شئ واحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والعرب تقول ضل فلان منزله اذا أخطأه يضله بغير ألف وكذلك ذلك فى كل ما كان من شئ ثابت لا يبرح فأخطأه مريده فانها تقول ضله ولا تقول أضله فاما اذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذى ينفلت منه فيذهب فانها تقول أضل فلان بعيره

والتعظيم (الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) قد مر مثله فى الانعام قال مقاتل أى يعلم من يعبده وحين فرغ من قصة موسى شرع فى تثبيت رسولنا صلى الله عليه وسلم فقال (كذلك) أى نحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامرى (نقص عليك من) سائر أخبار الرسل مع أممهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شأن القرآن بقوله (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى ما ذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف فى دينه وفى دنياه والوزر العقوبة الثقيلة التى تنقض ظهر صاحبها أو المراد جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين فيه) أى فى ذلك الوزر أو فى احتماله (وساء) فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف للقرينة أى ساء حملا وزرهم واللام فى (لهم) للبيان كما فى هيت لك ويجوز أن يكون ساء بمعنى قبح ويكون فيه ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز ولهم حال من حملا ولا أدرى لم أنكره صاحب الكشاف اللهم الا أن يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت الحمل بالفتح ما كان فى بطن أو على رأس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر أو رأس وفى الصور قولان أشهرهما أنه القرن يؤيده قوله فاذا نقر فى الناقور وانه تعالى يعرف أمور الآخرة بأمثال ما شوهد فى الدنيا ومن عادة الناس النفخ فى البوقات عند الأسفار وفى العساكر فجعل الله تعالى النفخ فى تلك الآلة علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وأقربهما من المعقول أن الصور جمع صورة يؤكده قراءة من قرأ بفتح الواو يقال صورة وصور كدرة ودرر والنفخ نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه أن النفخ يتكرر لقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى والاحياء لا يتكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو بمراد من النفخة الاولى بالاتفاق (ونحشر المجرمين) عن ابن عباس هم الذين اتخذوا مع الله الها آخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة وفى الزرق وجوه قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة أبغض شئ من ألوان أو

أوشاته أوناقته يضله بالألف وقد بينا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ اختلف أهل التأويل في قراءة قوله مهدا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة الذى جعل لكم الارض مهادا بكسر الميم من المهاد والحاق ألف فيه بعد الهاء وكذلك عملهم ذلك في كل القرآن وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك أنه انما اختاره من أجل أن المهاد اسم الموضع وأن المهد الفعل قال وهو مثل الفرش والفراش وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين مهدا بمعنى الذى مهد لكم الارض مهدا * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار مشهورتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيها وقوله وسلك لكم فيها سبلا يقول وأنهج لكم في الارض طرقا والهاء في قوله فيها من ذكر الارض كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلك لكم فيها سبلا أى طرقا وقوله وأنزل من السماء ماء يقول وأنزل من السماء مطرا فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن انعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذى ينزله من سمائه الى أرضه بعد تناهى خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله يقول جل ثناؤه فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا يعنى ألوانا من نبات شتى يعنى مختلفة الطعوم والأرايج والمنظر * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من نبات شتى يقول مختلف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهى﴾ يقول تعالى ذكره كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذى أنزلناه من السماء الى الأرض من ثمار ذلك وطعامه وما هو من أقواتكم وغذائكم وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ان في ذلك لآيات يقول ان فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم وعظيم سلطانه لآيات يعنى لدلالات وعلامات تدل على وحدانية ربكم وأن لا اله لكم غيره أولى النهى يعنى أهل الحجى والعقول والنهى جمع نهية كما الكشى جمع كشية «قال أبو جعفر» والكشى شحمة تكون في جوف الضب شبيهة بالسرة وخص تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولى النهى لانهم أهل التفكر والاعتبار وأهل التدبر والاتعاظ ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ يقول تعالى ذكره من الأرض خلقناكم أيها الناس فأنشأناكم أجساما ناطقة وفيها نعيدكم يقول وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم فنصيركم ترابا كما كنتم قبل انشائناكم بشرا سويا ومنها نخرجكم يقول ومن الارض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء فننشئكم منها كما أنشأناكم أول مرة وقوله تارة أخرى يقول مرة أخرى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنها نخرجكم تارة أخرى يقول مرة أخرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تارة أخرى قال مرة أخرى الخلق الآخر * قال أبو جعفر فتأويل الكلام اذا من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيأ خلقا سويا وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى كما أخرجناكم منها أول مرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها

العيون الى العرب لان الروم أعداؤهم وانهم زرق العيون ومن كلامهم في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين وقال الكلبي زرقا أى عميا قال الزجاج يخرجون بصراء في أول أمرهم لقوله ليوم تشخص فيه الابصار ولقوله اقرأ كتابك ثم يئول حالهم الى العمى وان حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل زرقا أى عطاشا لقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكأنهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حكاه ثعلب عن ابن الاعرابى (يتخافتون) يتسارون (بينهم) من شدة خوفهم أو لأن صدورهم امتلأت رعبا وهؤلاء يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لأنها أيام سرورهم وهن قصار واما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولاسيما بالنسبة الى الابد السرمدى كأن ظنهم يقول قدر لبثنا في الدنيا بالقياس الى لبثنا في الآخرة كعشرة أيام فقال أعقلهم بل كاليوم الواحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل أراد عشر ساعات أى بعض يوم وعلى هذا فأفضلهم رد عليهم استقصارهم وتقالهم وقيل المراد لبثهم في القبور قال أهل النظم كأن سائلا سأل كيف يصح التخافت بين المجرمين والجبال حائلة مانعة فلذلك قال (ويسألونك عن الجبال) وقال الضحاك ان مشركى مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال يوم القيامة فنزلت ويحتمل أن يكون هذا جواب شبهة تمسك بها منكر والبعث منهم جالينوس زعم أن الأفلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأت بالنقصان حتى تنتهى الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبين لهم هذه المسئلة الاصولية من غير تأخير ولهذا أدخل فاء التعقيب في الجواب والنسف القلع وقال الخليل التطيير والاذهاب كأنه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها وحاصل الجواب أن كل بطلان لا يلزم أن يكون ذبوليا بل قد يكون رفعيا والضمير في (فيذرها) للمضاف المحذوف أى فيدع مقارها ومراكزها

فكذب وأبى ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرينا فرعون آياتنا يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسى وهرون اليه كلها فكذب وأبى أن يقبل من موسى وهرون ما جاآ به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى ﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى أجئتنا ياموسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذى جئتنا به فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانتعداه لنجىء بسحر مثل الذى جئت به فننظر أينا يغلب صاحبه لانخلف ذلك الموعد نحن ولا أنت مكانا سوى يقول بمكان عدل بيننا وبينك ونصف وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين مكانا سوى بكسر السين وقرأته عامة قراء الكوفة مكانا سوى بضمها « قال أبو جعفر » والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما لغتان أعنى الكسر والضم فى السين من سوى مشهورتان فى العرب وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القراء مع اتفاق معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وللعرب فى ذلك اذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هى أشهر من الكسر والضم وهو الفتح كما قال جل ثناؤه تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم واذا فتحت السين منه مدّ واذا كسرت أو ضمت قصر كما قال الشاعر

فان أبانا كان حل ببلدة ٭ سوى بين قيس قيس عيلان والفزر

ونظير ذلك من الأسماء طوى وطوى وثنى وثنى وعدى وعدى ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مكانا سوى قال منصفا بينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مكانا سوى أى عادلا بيننا وبينك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله مكانا سوى قال نصفا بيننا وبينك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال يقول عدلا وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مكانا سوى قال مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه لا يكون صوب ولا شئ فيغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع موعدكم للاجتماع يوم الزينة يعنى يوم عيد كان لهم أو سوق كانوا يتزينون فيه وأن يحشر الناس يقول وأن يساق الناس من كل فج وناحية ضحى فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

وهو للارض للعلم بها كقوله ماترك على ظهرها والقاع المستوى من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء والصفصف الارض الملساء المستوية وقيل التى لانبات فيها والأمت النتوء اليسير وقيل التلال الصغار قالوا العوج بالكسر فى المعانى وكأنه سبحانه نفى العوج الذى يدق عن الاحساس ولا يدرك الا بالقياس الهندسى واذا كان هذا النوع من العوج الاعتبارى منتفيا فكيف بالعوج الحسى وقد يستدل بالآية على أن الارض يومئذ تكون كرة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مشتركة فيعوج الامتداد القائم عليها هنالك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق فيه (يتبعون الداعى) قيل هو النفخ فى الصور وقوله (لاعوج له) أى لايعدل عن أحد بدعائه بل يحشر الكل وقيل ان اسرافيل أو ملكا آخر يقوم على صخرة بيت المقدس ينادى أيها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى ربك للحساب والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون صوته من غير انحراف (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت من شدة الفزع (فلا تسمع) أيها السامع (الاهمسا) وهو الصوت الخفى وذلك أن الجن والانس علموا أن لا مالك لهم سواه وحق لمن كان الله محاسبه أن يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وابن زيد الهمس وطء الاقدام الى المحشر قوله (الا من أذن له الرحمن) يصلح أن يكون من منتصبا على المفعولية وأن يكون مرفوعا على البدلية بتقدير حذف المضاف أى لاتنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن (ورضى له) أى لأجله (قولا) قال الامام فخر الدين الرازى الاحتمال الاول أولى لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تصلح ولا تحصل الا لمن أذن له فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الآية على ذلك كان من ايضاح الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع وأقول الاحتمالان متقاربان متلازمان

قوله قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فانه يوم زينة يجتمع الناس اليه ويحشر الناس له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال موعدكم يوم الزينة قال يوم زينة لهم ويوم عيد لهم وأن يحشر الناس ضحى الى عيدلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد يوم الزينة قال يوم السوق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الزينة موعدهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال موسى موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى وذلك يوم عيد لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال موعدكم يوم الزينة يوم عيد كان لهم وقوله وأن يحشر الناس ضحى يجتمعون لذلك الميعاد الذى وعدوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قال موعدكم يوم الزينة قال يوم العيد يوم يتفرغ الناس من الأعمال ويشهدون ويحضرون ويرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال موعدكم يوم الزينة يوم عيد كان فرعون يخرج له وأن يحشر الناس ضحى حتى يحضروا أمرى وأمرك وأن من قوله وأن يحشر الناس ضحى رفع بالعطف على قوله يوم الزينة وذكر عن أبى نهيك فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقول وأن تحشر الناس ضحى يعنى فرعون يحشر قومه وقوله فتولى فرعون يقول تعالى ذكره فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحق فجمع كيده يقول فجمع مكره وذلك جمعه سحرته بعد أخذه اياهم بتعلمه ثم أتى يقول ثم جاء للوعد الذى وعده موسى وجاء بسحرته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون ويلكم لاتفتروا على الله كذبا يقول لاتختلقوا على الله كذبا ولا تتقولوه فيسحتكم بعذاب فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم والعرب فيه لغتان سحت وأسحت وسحت أكثر من أسحت يقال منه سحت الدهر (٣) وأسحت مال فلان اذا أهلكه فهو يسحته سحتا وأسحته يسحته اسحاتا ومن الاسحات قول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ۞ من المال الا مسحتا أو مجلف

ويروى الا مسحت أو مجلف ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فيسحتكم بعذاب يقول فيهلككم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيسحتكم بعذاب يقول يستأصلكم بعذاب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فيسحتكم بعذاب قال فيستأصلكم بعذاب فيهلككم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيسحتكم بعذاب قال يهلككم هلاكا ليس فيه بقية قال والذى يسحت ليس فيه بقية حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فيسحتكم بعذاب يقول يهلككم بعذاب ۞ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة

لان المشفوع لاتقبل الشفاعة فى حقه الا اذا أذن الرحمن لأجله فيعود الى الثانى قالت المعتزلة الفاسق غير مرضى عند الله تعالى فوجب أن لا ينتفع بشفاعة الرسول وأجيب بأنه قد رضى لأجله قولا واحدا من أقواله وهو كلمة الشهادة قالوا هب أن الفاسق قد رضى الله قولا لأجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع فى حقه والجواب أنا أيضا نمنع من أن الاذن غير حاصل فى حقه على أنه قال فى موضع آخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا أحد القيدين ثم أخبر عن نهاية علمه بقوله (يعلم ما بين أيديهم) الضمير للذين يتبعون الداعى أى يعلم ما يقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون) بمعلومه (علما) وقال الكلبى ومقاتل الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر فى آية الكرسى وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له أى يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان منهم بعد خلقهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيأ من ذلك فكيف يصلحون للعبودية ثم ذكر غاية قدرته فقال (وعنت الوجوه) أى ذلت رقاب الممكنات منقادين لأمره كالاسارى عنا يعنو عنوا اذا صار أسيرا وقيل أراد وجوه العصاة فى القيامة كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ولعله خص الوجوه بالذكر لان أثر الذل والانكسار فيها أبين وأظهر قال جار الله (وقد خاب) وما بعده اعتراض أى كل من ظلم فهو خائب خاسر ولأهل السنة أن يخصوا الظلم ههنا بالشرك أو يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد من قرأ فلا يخاف بالرفع فعلى الاستئناف أى فهو لا يخاف كقوله فينتقم الله منه ومن قرأ فلا يخف فمعناه فليأمن له لان النهى عن الخوف أمر بالامن من فسر الظلم بأنه الأخذ فوق حقه والهضم بالنقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مضاف محذوف أى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بأنه العقاب لا على جريمة والهضم بأنه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال أبو مسلم الظلم أن ينقص من

الثواب والهضم أن لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال جار الله (وكذلك) عطف على قوله كذلك نقص أي ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله عربيا لان العرب أصل وغيرهم تبع لأن النبي عربي (وصرفنا فيه من الوعيد) كررناه وفصلناه ويدخل في ضمنه الفرائض والمحارم لأن الوعيد يتعلق بترك أحدهما وبفعل الآخر (لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) حمل جار الله الأول على ارادة ترك المعاصي والثاني على فعل الخير والطاعة لأن الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة قلت لا ريب أن القرآن ينفر عن السيئات ويبعث على الطاعات من حيث ان فهم معانيه يؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل أن تكون التقوى عبارة عن فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان أي ان نسوا شيأ من التروك والافعال أحدث لهم ذكرا اذا تأملوا معانيه وكلمة أو على الاول للتخيير والاباحة لا للتنافي وعلى الثاني يجوز أن تكون للتنافي وقيل أراد أنزلنا القرآن ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا أقل من أن يوجب القرآن لهم ذكرا أي شرفا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقديرين يكون في انزال القرآن نفع ثم عظم شأن القرآن من وجه آخر وهو عظمة شأن منزله قائلا (فتعالى الله الملك الحق) ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين أنزل القرآن ليحترزوا عما لا ينبغي وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر في البسملة قال جار الله فيه استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك كما يجري عليه أمر ملكوته قال أبو مسلم ان من قوله ويسئلونك عن الجبال الى ههنا كلام تام وقوله (ولا تعجل) خطاب

مسلمون

وبعض أهل الكوفة فيسحتكم بفتح الياء من سحت يسحت وقرأته عامة قراء الكوفة فيسحتكم بضم الياء من أسحت يسحت * قال أبو جعفر والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الفتح فيها أعجب الي لانها لغة أهل العالية وهي أفصح والأخرى وهي الضم في نجد وقوله وقد خاب من افترى يقول ولم يظفر من يخلق كذبا ويقول بكذبه ذلك بحاجته التي طلبها به ورجا ادراكها به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) يقول تعالى ذكره فتنازع السحرة أمرهم بينهم وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قال السحرة بينهم ان كان هذا ساحرا فانا سنغلبه وان كان من السماء فله أمر * وقال آخرون بل هو أن بعضهم قال لبعض ما هذا القول بقول ساحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال جمع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى المجمع وفرعون في مجلسه معه أشراف أهل مملكته قد استكف له الناس فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتراد السحرة بينهم وقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر وقوله وأسروا النجوى يقول تعالى ذكره وأسروا السحرة المناجاة بينهم ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه فقال بعضهم هو قول بعضهم لبعض ان كان هذا ساحرا فانا سنغلبه وان كان من أمر السماء فانه سيغلبنا * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب ابن منبه قال أشار بعضهم الى بعض بتناج ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى من دون موسى وهرون قالوا في نجواهم ان هذين لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قالوا ان هذان لساحران يعنون بقولهم ان هذان موسى وهرون لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما موسى وهرون صلى الله عليهما * وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ان هذان لساحران فقرأته عامة قراء الأمصار ان هذان بتشديد إن وبالالف في هذان وقالوا قرأنا ذلك كذلك وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول ان خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما وقال بعض نحويي الكوفة ذلك على وجهين أحدهما على لغة بني الحرث بن كعب ومن جاورهم يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف وقد أنشدني رجل من الاسد عن بعض بني الحرث بن كعب

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما

قال وحكى عنه أيضا هذا خط يدا أخي أعرفه قال وذلك وان كان قليلا أقيس لأن العرب قالوا

مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة لانها لا تعرب ثم قالوا رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم قالوا فلما رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحا تركوا الالف تتبعه فقالوا رجلان في كل حال قال وقد اجتمعت العرب على اثبات الالف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان الا بنى كنانة فانهم يقولون رأيت كلى الرجلين ومررت بكلى الرجلين وهى قبيحة قليلة مضوا على القياس قال والوجه الآخر أن تقول وجدت الالف من هذا دعامة وليست بلام فعل فلما بنيت زدت عليها نونا ثم تركت الالف ثابتة على حالها لا تزول بكل حال كما قالت العرب الذى ثم زادوا نونا تدل على الجمع فقالوا الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه قال وكان القياس أن يقولوا الذون وقال آخر منهم ذلك من الجزم المرسل ولو نصب لخرج الى الانبساط وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال قال أبو عمرو وعيسى بن عمرو ويونس ان هذين لساحران في اللفظ وكتب هذان كما يريدون الكتاب واللفظ صواب قال وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بنى كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب قال وقال بشر بن هلال ان بمعنى الابتداء والايجاب ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ولا تعمل فيما بعد الذى بعدها فترفع الخبر ولا تنصبه كما نصبت الاسم فكان مجاز ان هذان لساحران مجاز كلام مخرجه انه اى نعم ثم قلت هذان ساحران ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابئ

فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

وقوله ان السيوف غدوها ورواحها * تركت هوازن مثل قرن الأعضب

قال ويقول بعضهم ان الله وملائكته يصلون على النبى فيرفعون على شركة الابتداء ولا يعملون فيه ان قال وقد سمعت الفصحاء من المحرمين يقولون ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال وقرأها قوم على تخفيف نون ان واسكانها قال ويجوز لانهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهى فصل قال * أم الحليس لعجوز شهر به * قال وزعم قوم أنه لا يجوز لانه اذا خفف نون ان فلا بد له من أن يدخل الا فيقول ان هذان الا ساحران * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا ان بتشديد نونها وهذان بالالف لاجماع الحجة من القراء عليه وأنه كذلك هو في خط المصحف ووجهه اذا قرئ كذلك مشابهته الذين اذ زادوا على الذى النون وأقر في جميع الاحوال الاعراب على حالة واحدة فكذلك ان هذان زيدت على هذا نون وأقر في جميع أحوال الاعراب على حال واحدة وهى لغة بلحرث بن كعب وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن وقوله ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم يقال هو طريقة قومه ونظورة قومه ونظيرتهم اذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور اليه يقال ذلك للواحد والجمع وربما جمعوا فقالوا هؤلاء طرائق قومهم ومنه قول الله تبارك وتعالى كنا طرائق قددا وهؤلاء نظائر قومهم وأما قوله المثلى فانها تأنيث الامثل يقال للمؤنث خذ المثلى منهما وفى المذكر خذ الأمثل منهما ووحدت المثلى وهى صفة ونعت للجماعة كما قيل له الاسماء الحسنى وقد يحتمل أن يكون المثلى أنثت لتأنيث الطريقة * وبنحو ما قلنا في معنى قوله بطريقتكم المثلى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى

مستأنف وقال آخر ولعله انه صلى الله عليه وآله كان يخاف أن يفوته شئ فيقرأ مع الملك فانه تعالى حين شرح كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين أنه سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصى وأنه موصوف بالملك الدائم والعز الباقى وكل من كان كذلك وجب أن يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحى وما يتعلق بصلاح العباد في المعاش والمعاد قال ولا تعجل بالقرآن لانه حصل لك الأمان من السهو والنسيان (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى من قبل أن تتم قراءة جبريل ونحوه قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قاله مقاتل والسدى وابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة أراد ولا تعجل بالقرآن فتقرأ على أصحابك من قبل أن يوحى اليك بيان معانيه أى لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك البيان وقال الضحاك ان أهل مكة وأسقف نجران قالوا يا محمد أخبرنا عن كذا وكذا وقد ضربنا لك أجلا ثلاثة أيام فأبطأ الوحى عليه وفشت المقالة أن اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الآية أى لا تعجل بنزول القرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبرائيل ومنه اليك وعن الحسن أن امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت زوجى لطم وجهى فقال بينكما القصاص فنزلت الآية فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص وانما نشأت هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقرآن يحتمل التعجيل بقراءته في نفسه أو في تأديته الى غيره أو في اعتقاد ظاهره أو في تعريف الغير ما يقتضيه الظاهر وقوله من قبل أن يقضى اليك وحيه احتمل أن يراد من قبل أن يقضى اليك تمامه أو من قبل أن يقضى اليك بيانه فقد يجوز أن يحصل عقيبه استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات والمبينات ويؤكد هذه المعانى قوله (وقل رب زدنى علما) لان معرفة البيان علم زائد على

معرفة الاجمال والظاهر أن هذا الاستعمال كان أمرا اجتهاديا وكان الأولى تركه فلذلك نهى عنه قال جار الله هذا الأمر متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم ومن

يقول أمثلكم وهم بنو اسرائيل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال أولى العقل والشرف والأنساب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال أولى العقول والاشراف والانساب حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن يد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وطريقتهم المثلى يومئذ كانت بنو اسرائيل وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا قال عدو الله انما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بطريقتكم المثلى قال ببني اسرائيل حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول يذهبا بأشراف قومكم * وقال آخرون معنى ذلك ويغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه من قولهم فلان حسن الطريقة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال يذهبا بالذي أنتم عليه يغيرا ما أنتم عليه وقرأ ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد قال هذا قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وقال يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة فاذا غيرت ذهبت هذه الطريقة * وروي عن علي في معنى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى ما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم عن علي بن أبي طالب قال يصرفان وجوه الناس اليهما * قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وان كان قولا له وجه يحتمله الكلام فان تأويل أهل التأويل خلافه فلا أستجيز لذلك القول به * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله فأجمعوا كيدكم فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة فأجمعوا كيدكم بهمز الألف من فأجمعوا ووجهوا معنى ذلك الى فأحكموا كيدكم واعزموا عليه من قولهم أجمع فلان الخروج وأجمع على الخروج كما يقال أزمع عليه ومنه قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع * هل أغدون يوما وأمري مجمع

يعني بقوله مجمع قد أحكم وعزم عليه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة فاجمعوا كيدكم بوصل الألف وترك همزها من جمعت الشيء كأنه وجهه الى معنى فلا تدعوا من كيدكم شيأ الا جئتم به وكان بعض قارئي هذه القراءة يعتل فيما ذكر لقراءته ذلك كذلك بقوله فتولى فرعون فجمع كيده * قال أبو جعفر والصواب في قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع لاجماع الحجة من القراء عليه وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين فلا وجه لأن يقال لهم اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون لأن المرء انما يجمع ما لم يكن عنده الى ما عنده ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر بل كان يوم اظهاره أو كان متفرقا فأما هو عنده بعضه الى بعض ولم يكن السحر متفرقا عندهم فيجمعونه وأما قوله فجمع كيده

فغير

فضائل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما أمر بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وفيه اشارة الى أن أسرار القرآن غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره ونقصانه فأسألك مما سألك به نبيك أن ترزقني بنعمته علما ينفعني في الدارين * التأويل ولقد أوحينا الى موسى القلب أن أسر بعبادي وهم صفات القلب من الأخلاق الحميدة سر بهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطين الصفات الحيوانية وباقي التأويل كما مر في يونس ونزلنا عليكم من صفاتنا وسلوى أخلاقنا فاتصفوا بطيبات أخلاقنا ولا تطغوا فيه بافشاء أسرار الربوبية الى غيرنا كمن قال أنا الحق وسبحاني فان الحالات لا تصلح للمقالات واني لغفار لمن رجع عن الطغيان وآمن بالربوبية وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق أن حضرة الربوبية منزهة عن دنس الوهم والخيال ومقام الوصال مباين للقيل والقال وعجلت اليك فيه أن الشوق اذا غلب انقطع العلائق وأن مطلوب السائل لا ينبغي أن يكون الا رضا الله قد فتناقومك من بعدك فيه أن فتنة الأمة والمريد مقرونة بالنبي والشيخ علمكنا أي بارادتنا ومشيئتنا ولكن بارادة الله ومشيئته فكذلك ألقى السامري من غير اختيار منه ولكن باضطرار من القدر يا ابن أم قيل خاطبه بذلك ليذكره قول الملائكة يا ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الأرباب فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها فيه أن الكرامة لأهل الكرامة كرامة ولأهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها في الباطل

فغير شبيه المعنى بقوله فأجمعوا كيدكم وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغالب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا فقيل فتولى فرعون فجمع كيده وقوله ثم ائتوا صفا يقول احضروا وجيئوا صفا والصف ههنا مصدر ولذلك وحد ومعناه ثم ائتوا مصطفين وللصف في كلام العرب موضع آخر وهو قول العرب أتيت الصف اليوم يعني به المصلى الذي يصلى فيه وقوله وقد أفلح اليوم من استعلى يقول قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال جمع فرعون الناس لذلك الجمع ثم أمر السحرة فقال ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى أي قد أفلح من أفلج اليوم على صاحبه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى﴾ يقول تعالى ذكره فأجمعت السحرة كيدهم ثم أتوا صفا فقالوا لموسى يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه واختلف في مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفا فقال بعضهم كانوا سبعين ألف ساحر مع كل ساحر منهم حبل وعصا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي قال ثنا القاسم بن أبي بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر فألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا فألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاغر به فاه فابتلع حبالهم وعصيهم فألقي السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ✻ وقال آخرون بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا ✻ وقال آخرون بل كانوا خمسة عشر ألفا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه ✻ وقال آخرون كانوا تسعمائة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كان السحرة ثلثمائة من العريش وثلثمائة من فيوم ويشكون في ثلثمائة من الاسكندرية فقالوا لموسى اما أن تلقي ما معك قبلنا واما أن نلقي ما معنا قبلك وذلك قوله واما أن نكون أول من ألقى وأن في قوله اما أن في موضع نصب وذلك أن معنى الكلام اختر يا موسى أحد هذين الامرين اما أن تلقي قبلنا واما أن نكون أول من ألقى ولو قال قائل هو رفع كان مذهبا كأنه وجهه الى أنه خبر كقول القائل

فسيرا فاما حاجة تقضيانها ✻ واما مقيل صالح وصديق

وقوله قال بل ألقوا يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة بل ألقوا أنتم ما معكم قبلي وقوله فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وفي هذا الكلام متروك وهو فألقوا ما معهم من الحبال والعصي فاذا حبالهم ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم فخيل حينئذ الى موسى أنها تسعى

والطبيعة لا في الحق والحقيقة قوله لا مساس فيه معارضة بنقيض مقصود من أراد الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعوقب بالتفرد والتوحش والنفار عن الخلق زرقا ان الوجه أشرف أعضاء الانسان والعين أشرف (١٣٩) أعضاء الوجه وزرق العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان أشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا الاخلاق التابعة للامزجة وعنت الوجوه أي كل جهة بها يستند الممكن الى الواجب يتبعون الداعي لان كل ناس تدعى بامامهم فيتبعونه البتة وأهل الله لا يفرون الا الى الله في قوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله المستعان ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة

كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما فى يده من العصى والحبال فاذا هى حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا * واختلفت القراء فى قراءة قوله يخيل اليه فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يخيل اليه بالياء بمعنى يخيل اليهم سعيها واذا قرئ ذلك كذلك كانت أن فى موضع رفع وروى عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه تخيل بالتاء بمعنى تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى ومن قرأ ذلك كذلك كانت أن فى موضع نصب لتعلق تخيل بها وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه تخيل اليه بمعنى تتخيل اليه واذا قرئ ذلك كذلك أيضا فأن فى موضع نصب بمعنى تتخيل بالسعى لهم والقراءة التى لا يجوز عندى فى ذلك غيرها يخيل بالياء لاجماع الحجة من القراء عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فأوجس فى نفسه خوفا موسى فوجده وقوله قلنا لا تخف انك أنت الأعلى يقول تعالى ذكره قلنا لموسى اذ أوجس فى نفسه خيفة لا تخف انك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنده والقاهر لهم وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا يقول وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التى سحروها حتى خيل اليك أنها تسعى وقوله انما صنعوا كيد ساحر اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة انما صنعوا كيد ساحر برفع كيد وبالألف فى ساحر بمعنى ان الذى صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة انما صنعوا كيد سحر برفع الكيد وبغير الالف فى السحر بمعنى ان الذى صنعوه كيد سحر والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحره ومكر السحر وخدعته تخيله الى المسحور على خلاف ما هو به فى حقيقته فالساحر كائد بالسحر والسحر كائد بالتخييل فالى أيهما أضفت الكيد فهو صواب وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ كيد سحر بنصب كيد ومن قرأ ذلك كذلك جعل انما حرفا واحدا وأعمل صنعوا فى كيد «قال أبو جعفر» وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافها وقوله ولا يفلح الساحر حيث أتى يقول ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول معنى ذلك أن الساحر يقتل حيث وجد وذكر بعض نحويى البصرة أن ذلك فى حرف ابن مسعود ولا يفلح الساحر أين أتى وقال العرب تقول جئتك من حيث لا تعلم ومن أين لا تعلم وقال غيره من أهل العربية الاول جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال أما قول العرب جئتك من حيث لا تعلم ومن أين لا تعلم فانما هو جواب لم يفهم فاستفهم كما قالوا أين الماء والعشب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ وفى هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو فألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فألقى السحرة سجدا قالوا

آمنا

الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى﴾ ۞ القراآت وانك بالكسر أبو بكر وحماد والخراز ونافع الباقون بالفتح عطفا على أن لا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز فى المعطوف ما لا يجوز فى المعطوف عليه أعمى بالامالة حمزة وعلى وخلف حشرتنى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير ترضى مبنيا للمفعول على وأبو بكر وحماد والمفضل زهرة بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب الآخرون بسكونها وقرأ حمزة وعلى وخلف هذه السورة وكل سورة آياتها على الياء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر ۞ الوقوف عزما ○ الا ابليس ط أبى ○ فتشقى ○ ولا تعرى ○ لمن قرأ وانك بالكسر ولا تضحى ○ لا يبلى ○ الجنة ز لنوع عدول عن ذكر حال الاثنين الى بيان فعل من هو المقصود فغوى ○ ص وهدى ○ عدو ج لابتداء الشرط مع الفاء ولا يشقى ○ يوم القيامة أعمى ○ بصيرا ○ فنسيتها ج لعطف المختلفتين تنسى ○ بآيات ربه ط وأبقى ○ مساكنهم ط النهى ○ مسمى ○ ط غروبها ج لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى ○ لنفتنهم فيه ط وأبقى ○ عليها ط رزقا ط نرزقك ط للتقوى ○ من ربه ط الاولى ○ ونخزى ○ فتربصوا ج لسين التهديد مع الفاء اهتدى ○ ۞ التفسير فى تعلق قصة آدم بما قبلها وجوه منها أنه لما قال كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ثم عظم شأن القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد ومنها أنه لما قال وصرفنا

آمنا برب هرون وموسى وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحول ثعبانا فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصى "ذكر الرواية عمن قال ذلك" حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر خيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال فتحت فالها مثل الدحل ثم وضعت مشفرها على الارض ورفعت بالآخر ثم استوعبت كل شئ ألقوه من السحر ثم جاء اليها فقبض عليها فاذا هي عصا فخر السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف قال فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ولأصلبنكم في جذوع النخل قال فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فأوجس في نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب هرون وموسى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه فأوجس في نفسه خيفة موسى لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصى "خيل اليه أنها تسعى وقال والله ان كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما تعدو عصاي هذه أو كما حدث نفسه فأوحى الله اليه أن ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى وفرح موسى فألقى عصاه من يده فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى فجعلت تلقفها تبتلعها حية حية حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى لو كان هذا سحرا ما غلبنا وقوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه وقال فرعون للسحرة أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم اليه من قبل أن أطلق ذلك لكم انه لكبيركم يقول ان موسى لعظيمكم الذي علمكم السحر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال لما قالت السحرة آمنا برب هرون وموسى قال لهم فرعون وأسف ورأى الغلبة البينة آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر أي لعظيم السحار الذي علمكم وقوله فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يقول فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين أو يسرى اليدين ويمنى الرجلين فيكون ذلك قطعا من خلاف وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون وقد ذكرنا الرواية بذلك وقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل يقول ولأصلبنكم على جذوع النخل كما قال الشاعر

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

يعني على جذع نخلة وانما قيل في جذوع لان المصلوب على الخشبة يرفع في طولها ثم يصير عليها فيقال صلب عليها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولأصلبنكم في جذوع النخل لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا وآمنوا عند ذلك قال

فيه من الوعيد أردفه بهذه القصة ليعلم أن طاعة بني آدم للشيطان أمر قديم وخلة موروثة وذلك أنه عهد الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرف لأجلهم الوعيد فنسي وترك العهد ومنها أن قوله ولا تعجل بالقرآن دليل على أنه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب في رعاية أمر الدين وكان مفرطا في أداء الرسالة وحفظ ما أمر به فناسب أن يعطف عليه قصة آدم لأنه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى واذا كان أول الأنبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فما ظنك بغيرهما ومن هنا يعرف أفضلية الخاتم فانه سعى في طلب الكمال الى أن عوتب بالخروج عن حد الاعتدال وآدم توسط في حيز النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها أن محمدا صلى الله عليه وآله أمر بأن يقول رب زدني علما ثم ذكر عقيبه قصة آدم تنبيها على أن بني آدم مفتقرون في جميع أحوالهم الى التضرع والالتجاء الى الله حتى ينفتح عليهم أبواب التيسير في العلم والعمل ومعنى (عهدنا الى آدم) أمرناه ووصيناه (من قبل) أي من قبل محمد والقرآن وفي النسيان قولان أحدهما أنه نقيض الذكر عن الحسن والله ما عصى قط الا بنسيان والثاني أن معناه الترك وعلى هذا يحتمل أن يقال أقدم على الأكل من غير تأويل وأن يقال أقدم عليه بتأويل قد مر في البقرة قال أهل الاشارة عهد اليه أن لا يعلق نوره فانقاد للشيطان وهو النسيان والعزم أيضا فيه أقوال أحدها عزما على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمد وثانيها عزما في العود الى الذنب ثانيا وثالثها رأيا وصبرا أي لم يكن من أهل العزيمة والثبات اذ كان من حقه أن يتصلب في الأمور تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون بمعنى نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما قوله (واذ قلنا للملائكة) سلف في البقرة مستقصى قوله (ان هذا عدو لك) ذكروا في سبب عداوته اياه أنه كان شابا عالما

لقوله وعلم آدم الأسماء كلها وإبليس كان شيخا جاهلا لانه أثبت فضله بفضيلة أصله والشيخ الجاهل أبدا يكون عدوا للشاب العالم وأيضا الماء والتراب مضادان للنار (فلا يخرجنكما) فلا يكون () سببا لاخراجكما لان الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه (فتشقى) فتتعب في طلب القوت وسائر ما يتعيش به الانسان أسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما في الخروج لان الرجل أصل في باب الانفاق والكسب والمرأة تابعة له ثم بين ذلك الشقاء بقوله (ان لك أن لا تجوع فيها) الى آخره والظمأ العطش وتقول ضحيت للشمس بالكسر أضحى ضحاء ممدودا اذا برزت لها والمراد به الكن مع أن الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها الضحاء نفي كون هذه الامور في الجنة ليثبت حصولها في غيرها ولا ريب أن أصول المتاعب في الدنيا هي الشبع والري والكسوة والكن وأما المنكوح فتركه الا أن مؤن النكاح تختص بالدنيا وأنها أيضا ترجع الى المذكورات يروى أنه كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع (فوسوس اليه الشيطان) أنهى اليه وسوسة كما مر في الاعراف بيان الوسوسة أنه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أضافها الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر أثره حي (وملك لا يبلى) أي لا ينقطع ولا يزول قال القاضي ليس في الظاهر أنه قبل ذلك منه لانه لا بد أن يحصل بين حال التكليف وحال المجازاة فصل بالموت والنبي يمتنع أن لا يعلم هذا القدر وأجيب بالمنع ولو سلم فلم لا يكفي الفصل بغشي أو نوم خفيف ولو سلم أنه لا يكفي فلم استحال أن يجهل النبي ذلك كما جهل عدم جواز الرؤية على زعمكم حين قال أرني أنظر اليك ومما يدل على أن آدم قبل وسوسته قوله تعالى (فأكلا) بالفاء والفاء مشعر بالعلية كقول الصحابي زنى ماعز فرجم وما في الآية قد مر تفسيره في الاعراف الا قوله (وعصى آدم ربه

عدو الله فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف الآية حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل فقتلهم وقطعهم كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء وقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى يقول ولتعلمن أيها السحرة أينا أشد عذابا لكم وأدوم أنا أو موسى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ يقول تعالى ذكره قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به لن نؤثرك فنتبعك ونكذب من أجلك موسى على ما جاءنا من البينات يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم اليه موسى والذي فطرنا يقول قالوا لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا ويعني بقوله فطرنا خلقنا فالذي من قوله والذي فطرنا خفض على قوله ما جاءنا وقد يحتمل أن يكون قوله والذي فطرنا خفضا على القسم فيكون معنى الكلام لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والله وقوله فاقض ما أنت قاض يقول فاصنع ما أنت صانع واعمل بنا ما بدا لك انما تقضي هذه الحياة الدنيا يقول انما تقدر أن تعذبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت انما حرفا واحدا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا أي على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة فاقض ما أنت قاض أي اصنع ما بدا لك انما تقضي هذه الحياة الدنيا أي ليس لك سلطان الا فيها ثم لا سلطان لك بعده وقوله انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا يقول تعالى ذكره انا أقررنا بتوحيد ربنا وصدقنا بوعده ووعيده وأن ما جاء به موسى حق ليغفر لنا خطايانا يقول ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا وما أكرهتنا عليه من السحر يقول ليغفر لنا ذنوبنا وتعلمنا ما تعلمناه من السحر وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به وذكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن سهل قال ثنا نعيم ابن حماد قال ثنا سفيان بن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى وما أكرهتنا عليه من السحر قال غلمان دفعهم فرعون الى السحرة تعلمهم السحر بالفرما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أكرهتنا عليه من السحر قال أمرهم بتعلم السحر قال تركوا كتاب الله وأمروا قومهم بتعليم السحر وما أكرهتنا عليه من السحر قال أمرتنا أن نتعلمه وقوله والله خير وأبقى يقول والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله خير وأبقى خير منك ثوابا وأبقى عذابا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس في قول الله والله خير وأبقى قالا خير منك ان أطيع وأبقى منك عذابا ان عصي ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ يقول تعالى ذكره

فغوى) قال بعض الناس إن آدم ذنبه كبيرة والا لم يوصف بالعصيان والغواية فان العاصي والغاوي اسمان مذمومان عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليهما وأجيب بأن المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون مندوبا وزيف بالمنع من أن المندوب غير مأمور به ثم من

ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون انه من يأت ربه من خلقه مجرما يقول مكتسبا الكفر به فان له جهنم يقول فان له جهنم مأوى ومسكنا جزاءله على كفره لا يموت فيها فتخرج نفسه ولا يحيا فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ومن يأته مؤمنا موحدا لا يشرك به قد عمل الصالحات يقول قد عمل ما أمره به ربه وانتهى عما نهاه عنه فأولئك لهم الدرجات العلى يقول فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يقول تعالى ذكره ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ثم بين تلك الدرجات العلى ماهي فقال هن جنات عدن يعني جنات اقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء تجري من تحتها الانهار يقول تجري من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير غاية محدودة فالجنات من قوله جنات عدن مرفوعة بالرد على الدرجات كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى قال عدن وقوله وذلك جزاء من تزكى يقول وهذه الدرجات العلى التي هي جنات عدن على ما وصف جل جلاله ثواب من تزكى يعني من تطهر من الذنوب فأطاع الله فيما أمره ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) يقول تعالى ذكره ولقد أوحينا الى نبينا موسى اذ تابعنا له الحجج على فرعون فأبى أن يستجيب لأمر ربه وطغى وتمادى في طغيانه أن أسر ليلا بعبادي يعني بعبادي من بني اسرائيل فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا يقول فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا واليبس واليبس يجمع أيباس تقول وقفوا في أيباس من الارض واليبس المخفف يجمع يبوس ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يبسا قال يابسا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله لا تخاف دركا ولا تخشى فانه يعني لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله لا تخاف دركا ولا تخشى يقول لا تخاف من آل فرعون دركا ولا تخشى من البحر غرقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تخاف دركا ولا تخشى يقول لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال أصحاب موسى هذا فرعون قد أدركنا وهذا البحر قد غشينا فأنزل الله لا تخاف دركا أصحاب فرعون ولا تخشى من البحر وحلا حدثني أحمد ابن الوليد الرملي قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن بعض أصحابه في قوله لا تخاف دركا ولا تخشى قال الوحل * واختلفت القراء في قراءة قوله لا تخاف دركا فقرأته عامة قراء الامصار غير الأعمش وحمزة لا تخاف دركا على الاستئناف بلا كما قال واصطبر عليها لا نسألك رزقا فرفع وأكثر

أن مخالفه عاص والا كان الأنبياء كلهم عصاة لانهم لا ينفكون عن ترك المندوب قالوا يقال أشرت اليه في أمر كذا فعصاني وأمرته بشرب الدواء فعصاني وأجيب بالمنع من أن هذا من مستعملات العرب العاربة ولو سلم فلعله انما يقال ذلك اذا عرف أن المستشير لا بد له أن يفعل ذلك وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك الايجاب لم يصدر عن الشارع ومنهم من زعم أنه ذنب صغير وهم عامة المعتزلة ورد بأن العاصي اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغيرة وأجاب أبو مسلم الاصفهاني بأنه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى أي خاب من نعيم الجنة لأن الرشد هو أن يتوصل بشئ الى شئ فيصل الى المقصود والغي ضده وأنه سعى في طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى أي بشم من كثرة الاكل وزيفه جار الله ورد قول أبي مسلم بأن مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت في هذا نظر والأحوط في هذا الباب أن يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة بدليل قوله (ثم اجتباه ربه) أي اختاره للرسالة (وهدى) لحفظ أسباب العصمة أصل الاجتباء هو الجمع كما مر في آخر الاعراف يروى عن أبي أمامة

لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء فيه دليل على أنه لا مرد لقضائه وما قدره كائن لا محالة واذا جاء القضاء عمي البصر والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على أعقل الناس كما خفي على آدم عداوة ابليس وأنه

ما جاء فى الامر الجواب مع لا بالرفع وقرأ ذلك الأعمش وحمزة لا تخف دركا بجزم لا تخاف على الجزاء ورفع ولا تخشى على الاستئناف كما قال جل ثناؤه يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون فاستأنف بثم ولو نوى بقوله ولا تخشى الجزم وفيه الياء كان جائزا كما قال الراجز * هزى اليك الجذع يجنيك الجنا *

وأعجب القراءتين الى أن أقرأ بها لا تخاف على وجه الرفع لان ذلك أفصح اللغتين وان كانت الاخرى جائزة وكان بعض نحويى البصرة يقول معنى قوله لا تخاف دركا اضرب لهم طريقا لا تخاف فيه دركا قال وحذف فيه كما تقول زيدا أكرمت وأنت تريد أكرمته وكما تقول واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ أى لا تجزى فيه وأما نحويو الكوفة فانهم ينكرون حذف فيه الا فى المواقيت لانه يصلح فيها أن يقال قمت اليوم وفى اليوم ولا يجيزون ذلك فى الاسماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ يقول تعالى ذكره فسرى موسى ببنى اسرائيل اذ أوحينا اليه أن أسر بهم فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر فغشى فرعون وجنده من اليم ما غشيهم فغرقوا جميعا فأضل فرعون قومه وما هدى يقول جل ثناؤه وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل وأخذ بهم على غير استقامة وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار بأمرهم بالكفر بالله وتكذيب رسله وما هدى يقول وما سلك بهم الطريق المستقيم وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى والتصديق به فأطاعوه فلم يهدهم بأمره اياهم بذلك ولم يهتدوا باتباعهم اياه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى﴾ يقول تعالى ذكره فلما نجا موسى بقومه من البحر وغشى فرعون وقومه من اليم ما غشيهم قلنا لقوم موسى يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن وقد بينا المن والسلوى باختلاف المختلفين فيهما وذكرنا الشواهد على الصواب من القول فى ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع * واختلفت القراء فى قراءة قوله قد أنجيناكم فكانت عامة قراء المدينة والبصرة يقرؤنه قد أنجيناكم بالنون والالف وسائر الحروف الأخر معه كذلك وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة قد أنجيتكم بالتاء وكذلك سائر الحروف الأخر الا قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى فانهم وافقوا الآخرين فى ذلك وقرؤه بالنون والالف والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يقول تعالى ذكره لهم كلوا يا بنى اسرائيل من شهيات رزقنا الذى رزقناكم وحلاله الذى طيبناه لكم ولا تطغوا فيه يقول ولا تعتدوا فيه ولا يظلم فيه بعضكم بعضا كما حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تطغوا فيه يقول ولا تظلموا وقوله فيحل عليكم غضبى يقول فينزل عليكم عقوبتى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فيحل عليكم غضبى يقول فينزل عليكم غضبى * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة فيحل عليكم بكسر الحاء ومن يحلل بكسر اللام ووجهوا معناه الى فيجب عليكم غضبى وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة فيحل عليكم بضم الحاء ووجهوا تأويله الى ما ذكرنا عن قتادة من أنه فيقع وينزل عليكم غضبى * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وقد حذر الله الذين قيل لهم هذا القول

تعرض لسخط الله فى شأنه حين امتنع من سجوده فكيف قبل منه وسوسة لولا كتاب من الله سبق قال المحققون الأولى أن لا يطلق لفظ العاصى والغاوى على آدم عليه السلام وان ورد فى القرآن وعصى آدم ربه فغوى لأنه لم تصدر عنه الزلة الامرة واحدة وصيغة اسم الفاعل تنبئ عن المزاولة ولان المسلم اذا تاب عن الشرب أو الزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز له أن يشتم عبده بما شاء وليس لغيره ذلك (قال اهبطا) قد مر تفسير مثله فى البقرة خاطبهما بالهبوط لانهما أصلا البشر ثم عم الخطاب لهما ولذريتهما فى قوله فاما يأتينكم أما قوله (بعضكم لبعض عدو) فقد قال القاضى يكفى فى توفية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس والناس أعداء لهم فاذا انضاف الى ذلك عداوة بعض الفريقين لبعض لم يمتنع دخوله فى الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى والسبب فيه أن العقاب فى الآخرة لأجل أنه قد ضل عن الدين فى مدة التكليف واتباع كتاب الله يستلزم عدم

من بنى اسرائيل ووقوع بأسه بهم ونزوله بعصيتهم اياه ان هم عصوه وخوفهم وجوبه لهم فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب لأنهم كانوا قد خوفوا المعنيين كليهما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ يقول تعالى ذكره ومن يجب عليه غضبى فينزل به فقد هوى يقول فقد تردى فشقى كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فقد هوى يقول فقد شقى وقوله وانى لغفار لمن تاب يقول وانى لذو غفر لمن تاب من شركه فرجع منه الى الايمان بى وآمن يقول وأخلص لى الالوهة ولم يشرك فى عبادته اياى غيرى وعمل صالحا يقول وأدى فرائضى التى افترضتها عليه واجتنب معاصى ثم اهتدى يقول ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيأ منه ٭ وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وانى لغفار لمن تاب من الشرك وآمن يقول وحد الله وعمل صالحا يقول أدى فرائضى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانى لغفار لمن تاب من ذنبه وآمن به وعمل صالحا فيما بينه وبين الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع وانى لغفار لمن تاب من الشرك وآمن يقول وأخلص لله وعمل فى اخلاصه واختلفوا فى معنى قوله ثم اهتدى فقال بعضهم معناه لم يشكك فى ايمانه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم اهتدى يقول لم يشكك ٭ وقال آخرون معنى ذلك ثم لزم الايمان والعمل الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم اهتدى يقول ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه ٭ وقال آخرون بل معنى ذلك ثم استقام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس ثم اهتدى قال أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ٭ وقال آخرون بل معناه أصاب العمل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعمل صالحا ثم اهتدى قال أصاب العمل ٭ وقال آخرون معنى ذلك عرف أمر مثيبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبى وانى لغفار لمن تاب من الذنب وآمن من الشرك وعمل صالحا أدى ما افترضت عليه ثم اهتدى عرف مثيبه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ٭ وقال آخرون بما حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى قال أخبرنا عمر بن شاكر قال سمعت ثابتا البنانى يقول فى قوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال الى ولاية أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ٭ قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى ذلك من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى ولا معنى للاستقامة عليه الا وقد جمعه الايمان والعمل الصالح والتوبة فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شك فى اهتدائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى﴾ يقول تعالى ذكره وما أعجلك وأى شئ أعجلك عن قومك ياموسى فتقدمتهم وخلفتهم وراءك ولم تكن معهم قال هم أولاء على أثرى يقول قومى على أثرى يلحقون بى وعجلت اليك رب لترضى يقول وعجلت أنا فسبقتهم رب كيما ترضى عنى وانما قال الله تعالى ذكره لموسى ما أعجلك عن قومك لانه جل ثناؤه فيما بلغنا حين نجاه وبنى اسرائيل من فرعون وقومه وقطع بهم البحر وعدهم جانب الطور الايمن فتعجل موسى الى ربه وأقام هرون فى بنى اسرائيل يسير بهم على أثر موسى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا

الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب فى الآخرة وأما الشقاء الذى قد يلحق المؤمن فى الدنيا فلا اعتداد به لقصر مدته على أن الرضا بالقضاء يهون عليه مصائب الدنيا وآفاتها ثم ذكر وعيد من أعرض عن ذكره ظاهر الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى المذكور لان قوله ومن أعرض عن ذكرى فى مقابلة قوله فمن اتبع هداى وقد مر فى أول البقرة أن المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر وصف به

سلمة عن ابن اسحق قال وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة تلقاه فيها بما شاء فاستخلف موسى هرون فى بنى اسرائيل ومعه السامرى يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به فلما كلم الله موسى قال له ما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعجلت اليك رب لترضى قال لأرضيك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى} يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى فانا ياموسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل وذلك كان فتنتهم من بعد موسى ويعنى بقوله من بعدك من بعد فراقك اياهم يقول الله تبارك وتعالى وأضلهم السامرى وكان اضلال السامرى اياهم دعاءه اياهم الى عبادة العجل وقوله فرجع موسى الى قومه يقول فانصرف موسى الى قومه من بنى اسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة غضبان أسفا متغيظا على قومه حزينا لما أحدثوا بعده من الكفر بالله كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله غضبان أسفا يقول حزينا وقال فى الزخرف فلما آسفونا يقول أغضبونا والأسف على وجهين الغضب والحزن حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى غضبان أسفا يقول حزينا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا أى حزينا على ما صنع قومه من بعده حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أسفا قال حزينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا يقول ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ويعدكم جانب الطور الايمن وينزل عليكم المن والسلوى فذلك وعد الله الحسن بنى اسرائيل الذى قال لهم موسى ألم يعدكموه ربكم وقوله أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم يقول أفطال عليكم العهد بى وبجميل نعم الله عندكم وأياديه لديكم أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم يقول أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل وكفركم بالله فأخلفتم موعدى وكان اخلافهم موعده عكوفهم على العجل وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذى كان الله وعدهم وقولهم لهرون اذ نهاهم عن عبادة العجل ودعاهم الى السير معه فى أثر موسى لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى} يقول تعالى ذكره قال قوم موسى لموسى ما أخلفنا موعدك يعنون بموعده عهده الذى كان عهده اليهم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله موعدى قال عهدى وذلك العهد والموعد هو ما بيناه قبل وقوله بملكنا يخبر جل ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطا وقالوا انا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب ولم نملك أمرنا حتى وقعنا فى الذى وقعنا فيه من الفتنة * وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء

المدينة

ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك كأنه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه وقصر مدته وكثرة شوائبه وانما العيش الواسع عيش الآخرة وهذا الضيق المتوعد به اما فى الدنيا أو فى القبر أو فى الآخرة مآل الى كل طائفة أما الأول فلأن المسلم الراضى بقضاء ربه معه من التسليم والتوكل والقناعة ما يعيش به عيشا رافغا والمعرض عن الدين متول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض والطموح ما ليس ينساله من الفراغ

المدينة بملكنا بفتح الميم وقرأته عامة قراء الكوفة بملكنا بضم الميم وقرأه بعض أهل البصرة بملكنا بالكسر فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد وهما بقدرتنا وطاقتنا غير أن أحدهما مصدر والآخر اسم وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشئ وكونه للمالك * واختلف أيضاً أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه ما أخلفنا موعدك بأمرنا ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا يقول بأمرنا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بملكنا قال بأمرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه بطاقتنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا أى بطاقتنا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا يقول بطاقتنا * وقال آخرون معناه ما أخلفنا موعدك بهوانا ولكنا لم نملك أنفسنا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا قال يقول بهوانا قال ولكنه جاءت ثلاثة قال ومعهم حلى استعاروه من آل فرعون وثياب * قال أبو جعفر وكل هذه الاقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى لان من لم يملك نفسه لغلبة هواه على ما أمر فانه لا يمتنع في اللغة أن يقول فعل فلان هذا الامر وهو لا يملك نفسه وفعله وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه فاذا كان ذلك كذلك فسواء بأى القرا آت الثلاث قرأ ذلك القارئ وذلك أن من كسر الميم من الملك فانما يوجه معنى الكلام الى ما أخلفنا موعدك ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا ايانا على خلافه وجعله من قول القائل هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات وأن من فتحها فانه يوجه معنى الكلام الى نحو ذلك غير أنه يجعله مصدراً من قول القائل ملكت الشئ أملكه ملكاً وملكة كما يقال غلبت فلاناً أغلبه غلباً وغلبة وأن من ضمها فانه وجه معناه الى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا أى ونحن نقدر أن نمتنع منه لأن كل من قهر شيأ فقد صار له السلطان عليه وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضم فقال أى ملك كان يومئذ لبنى اسرائيل وانما كانوا بمصر مستضعفين فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهاباً بعيداً وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذى ظنه هذا المنكر عليهم ذلك وانما قصدوا الى أن معناه ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت لأن هواها غلبنا على اخلافك الموعد وقوله ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم يقول ولكنا حملنا أثقالاً وأحمالاً من زينة القوم يعنون من حلى آل فرعون وذلك أن بنى اسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلاً من مصر بأمر الله اياه بذلك أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم وقال ان الله مغنمكم ذلك ففعلوا واستعاروا من حلى نسائهم وأمتعتهم فذلك قولهم لموسى حين قال لهم أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فهو ما كان مع بنى اسرائيل من حلى آل فرعون يقول خطؤنا بما أصبنا من حلى عدونا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني

والرفاغ الكلى فلا هم له الا هم الدنيا عن ابن عباس المعيشة الضنك هى أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشئ منها ومن الكفرة من ضربت عليه الذلة والمسكنة وسئل الشبلى عن قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال أهل البلاء هم أهل الغفلات عن الله تعالى فعقوبتهم أن يردهم الله تعالى الى أنفسهم وأى معيشة أضيق وأشد من أن يرد الانسان الى نفسه قلت التحقيق أن بعض البليات من العقوبات فطلب العافية منها لازم وبعضها المزيد

الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أوزارا قال أثقالا وقوله من زينة القوم قال هي الحلي التي استعاروا من آل فرعون فهي الأثقال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكنا حملنا أوزارا قال أثقالا من زينة القوم قال حليهم حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم يقول من حلي القبط حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم قال الحلي الذي استعاروه والثياب ليست من الذنوب في شيء لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها فليست من الذنوب في شيء * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض المكيين حملنا بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين حملنا بتخفيف الحاء والميم وفتحهما بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد * قال أبو جعفر والقول عندي في تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لأن القوم حملوا وأن موسى قد أمرهم بحمله فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وقوله فقذفناها يقول فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة فكذلك ألقى السامري يقول فكما قذفنا نحن تلك الأثقال فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فقذفناها قال فألقيناها فكذلك ألقى السامري كذلك صنع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقذفناها قال فألقيناها فكذلك ألقى السامري فكذلك صنع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقذفناها أي فنبذناها وقوله فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار يقول فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار ويعني بالخوار الصوت وهو صوت البقر ثم اختلف أهل العلم في كيفية اخراج السامري العجل فقال بعضهم صاغه صياغة ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فمه فخار ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فكذلك ألقى السامري قال كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري انما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم فهلموا وكانت حليا (١) تعيروها من آل فرعون فساروا وهي معهم فقذفوها اليه فصورها صورة بقرة وكان قد صر في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرئيل فقذفها مع الحلي والصورة فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فجعل يخور خوار البقر فقال هذا إلهكم وإله موسى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامري انما احتبس عليكم لاجل ما عندكم من الحلي وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامري فصاغ منه عجلا ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس فرس الملك فنبذها في جوفه فاذا هو عجل جسد له خوار قالوا هذا إلهكم وإله موسى ولكن موسى نسي ربه عندكم * وقال آخرون في ذلك بما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أخذ السامري من تربة الحافر حافر فرس جبرئيل فانطلق موسى واستخلف هرون على بني اسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة فأتمها الله بعشر قال لهم هرون يا بني

اسرائيل

الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا فكثيرا ما يؤول أمر المبتلى الى الجزع والفزع فيحرم الثواب فتطلب العافية من هذا القسم أيضا خوفا من المآل وأما الثاني فعن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري ورفعه أبو هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس أن الآية نزلت في الاسود ابن عبد الله المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيه أضلاعه وأما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبي أنه ضيق في الآخرة وفي جهنم وأن طعامهم فيها الضريع والزقوم والحميم والغسلين فلا يموتون فيها

(١) لعله تعوروها أي استعاروها كما أورده في اللسان في قصة العجل من حديث ابن عباس تأمل اه

كتبه مصححه

اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم وان حلى القبط انما هو غنيمة فاجمعوها جميعا فاحفروا لها حفرة فادفنوها فان جاء موسى فأحلها أخذتموها والا كان شيأ لم تأكلوه فجمعوا ذلك الحلى فى تلك الحفرة فجاء السامرى بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلى عجلا جسدا له خوار وعدت بنو اسرائيل موعد موسى فعدوا الليلة يوما واليوم يوما فلما كان لعشرين خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى فعكفوا عليه يعبدونه وكان يخور ويمشى فكذلك ألقى السامرى ذلك حين قال لهم هرون احفروا لهذا الحلى حفرة واطرحوه فيها فطرحوه فقذف السامرى تربته وقوله فقال هذا الهكم واله موسى يقول فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل هذا معبودكم ومعبود موسى وقوله فنسى يقول فضل وترك ثم اختلف أهل التأويل فى قوله فنسى من قائله ومن الذى وصف به وما معناه فقال بعضهم هذا من الله خبر عن السامرى والسامرى هو الموصوف به وقالوا معناه أنه ترك الدين الذى بعث الله به موسى وهو الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقول الله فنسى أى ترك ما كان عليه من الاسلام يعنى السامرى * وقال آخرون بل هذا خبر من الله عن السامرى أنه قال لبنى اسرائيل وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه فأضل موضعه وهو هذا العجل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فقذفناها يعنى زينة القوم حين أمرنا السامرى لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى الذى انطلق يطلبه فنسى يعنى نسى موسى ضل عنه فلم يهتد له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنسى يقول طلب هذا موسى فخالفه الطريق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فنسى يقول قال السامرى موسى نسى ربه عندكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فنسى موسى قال هم يقولونه أخطأ الرب العجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فنسى قال نسى موسى أخطأ الرب العجل قوم موسى يقولونه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فنسى يقول ترك موسى الهه ههنا وذهب يطلبه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا الهكم واله موسى فنسى قال يقول فنسى حيث وعده ربه ههنا ولكنه نسى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله هذا الهكم واله موسى فنسى يقول نسى موسى ربه فأخطأه وهذا العجل اله موسى * قال أبو جعفر والذى هو أولى بتأويل ذلك القول الذى ذكرناه عن هؤلاء وهو أن ذلك خبر من الله عز ذكره عن السامرى أنه وصف موسى بأنه نسى ربه وأن ربه الذى ذهب يريده هو العجل الذى أخرجه السامرى لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه وأنه عقيب ذكر موسى وهو أن يكون خبرا من السامرى عنه بذلك أشبه من غيره ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى﴾ يقول تعالى ذكره موبخا عبدة العجل والقائلين له هذا الهكم واله موسى فنسى وعابهم بذلك وسفه أحلامهم

ولا يحيون أما قوله (ونحشره يوم القيامة أعمى) كقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فمن فسر الزرق بالعمى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى قال الجبائى أراد أنه لا يهتدى يوم القيامة الى طريق ينال منه خيرا كالأعمى وعن مجاهد والضحاك ومقاتل أنه أراد أعمى عن الحجة وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضى هذا القول ضعيف لانه لا بد فى القيامة أن يعلمهم الله تعالى بطلان ما كانوا عليه بتمييزه لهم الحق من الباطل

عما فعلوا ونالوا منه أفلا يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلههم وإله موسى لا يكلمهم وإن كلموه
لم يرد عليهم جوابا ولا يقدر على ضر ولا نفع فكيف يكون ما كانت هذه صفته إلها كما حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ألا يرجع إليهم قولا العجل حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا
قال العجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله أفلا يرون ألا يرجع
إليهم ذلك العجل الذي اتخذوه قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله ولقد قال لهم هرون من
قبل يقول ولقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هرون من قبل رجوع موسى إليهم وقيله لهم
ما قال مما أخبر الله عنه إنما فتنتم به يقول إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا
العجل الذي أحدث فيه الخوار ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب الشاك في دينه
كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لهم هرون إنما فتنتم به يقول
إنما ابتليتم به يقول بالعجل وقوله وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري يقول وإن ربكم
الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه فاتبعوني على ما آمركم به من عبادة الله وترك عبادة العجل
وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله وإخلاص العبادة له وقوله قالوا لن نبرح عليه عاكفين
يقول قال عبدة العجل من قوم موسى لن نزال على العجل مقيمين نعبده حتى يرجع إلينا موسى
القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري
قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾
يقول تعالى ذكره قال موسى لأخيه هرون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان
من خطإ فعلهم يا هرون أي شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم فكفروا بالله وعبدوا العجل أن لا
تتبعني * واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه فقال
بعضهم عذله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد إليه ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال لما قال القوم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى أقام هرون فيمن تبعه من المسلمين
ممن لم يفتتن وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل وتخوف هرون إن سار بمن معه من المسلمين
أن يقول له موسى فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي وكان له هائبا مطيعا حدثني يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني قال تدعهم
* وقال آخرون بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم ذكر من قال ذلك حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني
قال أمر موسى هرون أن يصلح ولا يتبع سبيل المفسدين فذلك قوله أن لا تتبعني أفعصيت أمري
بذلك وقوله قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة
الكلام عليه وهو ثم أخذ موسى بلحية أخيه هرون ورأسه يجره إليه فقال هرون يا ابن أم لا تأخذ
بلحيتي ولا برأسي وقوله إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي فاختلف
أهل العلم في صفة التفريق بينهم الذي خشيه هرون فقال بعضهم كان هرون خاف أن يسير بمن
أطاعه وأقام على دينه في أثر موسى ويخلف عبدة العجل وقد قالوا له لن نبرح عليه عاكفين حتى
يرجع إلينا موسى فيقول له موسى فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي بسيرك بطائفة وتركك

ومن هذه حاله لا يوصف بذلك إلا
مجازا باعتبار ما كان لكن قوله وقد
كنت بصيرا ينافيه قال الإمام فخر
الدين الرازي رحمه الله ومما يؤكد
هذا الاعتراض أنه تعالى علل ذلك
العمى بما أن المكلف نسي الدلائل
في الدنيا فلو كان العمى الحاصل في
الآخرة عين ذلك النسيان لم يكن
للمكلف بسبب ذلك ضرر كما في
الدنيا قال والتحقيق في الجواب عن
الاعتراض هو أن النفوس الجاهلة
في الدنيا إذا فارقت أبدانها تبقى
على جهالتها في الآخرة فتصير
تلك الجهالة سببا لأعظم الآلام
الروحانية وأقول على القاضي

منهم طائفة وراءك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم * وقال آخرون بل معنى ذلك خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عذل أخاه هرون على تركه اتباع أمره عن اتبعه من أهل الايمان فقال له هرون اني خشيت أن تقول فرقت بين جماعتهم فتركت بعضهم وراءك وجئت ببعضهم وذلك بين في قول هرون للقوم يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري وفي جواب القوم له وقيلهم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وقوله ولم ترقب قولي يقول ولم تنظر قولي وتحفظه من مراقبة الرجل الشيء وهي مناظرته بحفظه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ولم ترقب قولي قال لم تحفظ قولي ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فما خطبك يا سامري قال موسى للسامري فما شأنك يا سامري وما الذي دعاك الى ما فعلته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما خطبك يا سامري قال ما أمرك ما شأنك ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ما خطبك يا سامري قال ما لك يا سامري وقوله قال بصرت بما لم يبصروا به يقول قال السامري علمت ما لم يعلموه وهو فعلت من البصيرة أي صرت بما عملت بصيرا عالما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما قتل فرعون الولدان قالت أم السامري لو نحيته عني حتى لا أراه ولا أدري قتله فجعلته في غار فأتى جبرئيل فجعل كف نفسه في فيه فجعل يرضعه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه فمن ثم معرفته اياه حين قال فقبضت قبضة من أثر الرسول * وقال آخرون هي بمعنى أبصرت ما لم يبصروه وقالوا يقال بصرت بالشيء وأبصرته كما يقال أسرعت وسرعت ما شئت ذكر من قال هو بمعنى أبصرت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بصرت بما لم يبصروا به يعني فرس جبرئيل عليه السلام وقوله فقبضت قبضة من أثر الرسول يقول قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قذفت بنو اسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار وتكسرت ورأى السامري أثر فرس جبرئيل عليه السلام فأخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل الى النار فقذفه فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان للبلاء والفتنة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قبض قبضة من أثر جبرئيل فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار فقال هذا الهكم واله موسى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها قال من

يحتمل أن يكون مجازا باعتبار الغاية فقد ينفى الشيء باعتبار عدم غايته وثمرته فلا ينافي كونه أعمى في الآخرة بهذا الاعتبار اعلام الله تعالى اياه الحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه أعمى في الآخرة بالاعتبار المذكور لأن المعرض عن الدليل يشبه أن يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ والالزام يؤيده قوله تعالى في جوابه (كذلك) أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر ذلك بقوله (أتتك آياتنا) أي دلائلنا واضحة مستنيرة (فنسيتها) أي تركت العمل بها والقيام بموجبها (وكذلك اليوم

في اليم قال في البحر وقوله انما الهكم الله الذي لا اله الا هو يقول ما لكم أيها القوم معبود الا الذي له
عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغي أن تكون الا له وسع كل شئ علما يقول أحاط
بكل شئ علما فعلمه فلا يخفى عليه منه شئ ولا يضيق عليه علم جميع ذلك يقال منه فلان يسع لهذا
الامر اذا أطاقه وقوى عليه ولا يسع له اذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه وكان قتادة يقول في ذلك
ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسع كل شئ علما يقول ملأ
كل شئ علما تبارك وتعالى * القول في تأويل قوله تعالى (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد
سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا) يقول تعالى ذكره
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني اسرائيل
مع موسى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقول كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي
قد سبقت من قبلك فلم تشاهدها ولم تعاينها وقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا يقول تعالى ذكره
لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به ويتعظ به أهل العقل
والفهم وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه فجعله ذكرى للعالمين وقوله من أعرض عنه يقول
تعالى ذكره من ولى عنه فأدبر فلم يصدق به ولم يقر فانه يحمل يوم القيامة وزرا يقول فانه يأتي ربه يوم
القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الاثم العظيم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قوله يوم القيامة وزرا قال اثما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج
عن ابن جريج عن مجاهد مثله * القول في تأويل قوله تعالى (خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة
حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا) يقول
تعالى ذكره خالدين في وزرهم فأخرج الخبر جل ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا
أنهم خالدون في أوزارهم والمعنى أنهم خالدون في النار بأوزارهم ولكن لما كان معلوما المراد
من الكلام اكتفى بما ذكر عما لم يذكر وقوله وساء لهم يوم القيامة حملا يقول تعالى ذكره وساء
ذلك الحمل والثقل من الاثم يوم القيامة حملا وحق لهم أن يسوءهم ذلك وقد أوردهم مهلكة
لا منجى منها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي
قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وساء لهم يوم القيامة حملا
يقول بئسما حملوا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن
أبيه عن ابن عباس قوله وساء لهم يوم القيامة حملا يعني بذلك ذنوبهم وقوله يوم ينفخ في الصور
يقول تعالى ذكره وساء لهم يوم القيامة يوم ينفخ في الصور فقوله يوم ينفخ في الصور رد على يوم
القيامة وقد بينا معنى النفخ في الصور وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور والصحيح في ذلك
من القول عندنا بشواهده المغنية عن اعادته في هذا الموضع قبل * واختلفت القراء في قراءة ذلك
فقرأته عامة قراء الامصار يوم ينفخ في الصور بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله بمعنى يوم يأمر الله
اسرافيل فينفخ في الصور وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك يوم ننفخ في الصور بالنون بمعنى يوم
ننفخ نحن في الصور وكأن الذي دعاه الى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله ونحشر
المجرمين اذ كان لا خلاف بين القراء في نحشر أنها بالنون * قال أبو جعفر والذي أختار في ذلك
من القراءة يوم ينفخ بالياء على وجه ما لم يسم فاعله لأن ذلك هو القراءة التي عليها قراء الامصار وان
كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد وقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يقول تعالى ذكره

بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام
ههنا كالمتصل بقوله ومن أعرض
عن ذكري وهنالك كالمنفصل عن
الاعراض لانه قال ومن أظلم ممن
ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها
وبعد ذلك أورد قصة موسى فناسب
الاستئناف بالواو وأما حذف من
ههنا واثباته هنالك فلما مر من أن
من تفيد الاستيعاب وهنالك قد زاد
في القرون بشرح قصة بني اسرائيل
وما فيهم من الملوك والانبياء قال
في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده
وأنكر البصريون مثل هذا لان

ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ الى موقف القيامة زرقا فقيل عنى بالزرق فى هذا الموضع ما يظهر فى أعينهم من شدة العطش الذى يكون بهم عند الحشر لرأى العين من الزرق وقيل أريد بذلك أنهم يحشرون عميا كالذى قال الله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا يقول تعالى ذكره يتهامسون بينهم ويسر بعضهم الى بعض ان لبثتم فى الدنيا يعنى أنهم يقول بعضهم لبعض ما لبثتم فى الدنيا الا عشرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يتخافتون بينهم يقول يتسارون بينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يتخافتون بينهم أى يتسارون بينهم ان لبثتم الا عشرا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما﴾ يقول تعالى ذكره نحن أعلم منهم عند اسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ان لبثتم الا عشرا بما يقولون لا يخفى علينا مما يتسارونه بينهم شئ اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا وأعلمهم فيهم ان لبثتم فى الدنيا الا يوما * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن شعبة فى قوله اذ يقول أمثلهم طريقة يقول أعلمهم فى أنفسهم ان لبثتم الا يوما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله أمثلهم طريقة أوفاهم عقلا وانما عنى جل ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ اعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة وشدة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه فى الدنيا من النعيم واللذات ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان حتى يخيل الى أعقلهم فيهم وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها الا يوما * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ يقول تعالى ذكره ويسألك يا محمد قومك عن الجبال فقل لهم يذريها ربى تذرية ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها ودك بعضها على بعض وتصييره اياها هباء منبثا فيذرها قاعا صفصفا يقول تعالى ذكره فيدع أماكنها من الارض اذا نسفها نسفا قاعا يعنى أرضا ملساء صفصفا يعنى مستويا لا نبات فيه ولا نشز ولا ارتفاع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قاعا صفصفا يقول مستويا لا نبات فيه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيذرها قاعا صفصفا قال مستويا الصفصف المستوى حدثنى يونس قال أخبرنا عبد الله بن يوسف قال ثنا عبد الله بن لهيعة قال ثنا أبو الاسود عن عروة قال كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب ان الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة فقال كذب كعب انما الصخرة جبل من الجبال ان الله يقول ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فسكت عبد الملك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله صفصفا قال مستويا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول القاع مستنقع الماء والصفصف الذى لا نبات فيه وقوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول لا ترى فى الارض عوجا ولا أمتا * واختلف أهل التأويل فى معنى العوج والأمت فقال بعضهم عنى بالعوج فى هذا

الجملة لا تقع فاعلا فلهذا قال يريد أولم يهد لهم هذا المعنى أو مضمون هذا الكلام قال القفال جعل كثرة ما أهلك من القرون مبينا لهم وقال الزجاج أراد أولم نبين لهم ما يهتدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله أو الرسول والجملة بعده تفسره يريد أن قريشا يتقلبون فى بلاد عاد وثمود ويمشون فى مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والنهى العقول وقد مر فى السورة قال بعض أهل اللغة ان النهية مزية على العقل فلا يقال الا لمن له عقل ينتهى به

الموضع الأودية وبالأمت الروابي والنشوز ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لاترى فيها عوجا ولا أمتا يقول واديا ولا أمتا يقول رابية حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا أبو عامر العقدي عن عبد الواحد ابن صفوان مولى عثمان قال سمعت عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله لاترى فيها عوجا ولا أمتا قال هي الارض البيضاء أو قال الملساء التي ليس فيها لبنة مرتفعة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لاترى فيها عوجا ولا أمتا قال ارتفاعا ولا انخفاضا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لاترى فيها عوجا ولا أمتا قال لا تعادي الأمت التعادي * وقال آخرون بل عنى بالعوج في هذا الموضع الصدوع وبالأمت الارتفاع من الآكام وأشباهها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لاترى فيها عوجا قال صدعا ولا أمتا يقول ولا أكمة * وقال آخرون عنى بالعوج الميل وبالأمت الاثر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لاترى فيها عوجا ولا أمتا يقول لاترى فيها ميلا والأمت الأثر مثل الشراك * وقال آخرون الأمت المحاني والاحداب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الأمت الحدب * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بالعوج الميل وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب فان قال قائل وهل في الارض اليوم من عوج فيقال لاترى فيها يومئذ عوجا قيل ان معنى ذلك ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها الى الاخذ أحيانا يمينا وأحيانا شمالا لما فيها من الجبال والأودية والبحار وأما الأمت فانه عند العرب الانثناء والضعف مسموع منهم مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا أي انثناء وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتا ومنه قول الراجز

* ما في انجذاب سيره من أمت * يعني من وهن وضعف فالواجب اذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض لان الانخفاض لم يكن الا عن ارتفاع فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام لاترى فيها ميلا عن الاستواء ولا ارتفاعا ولا انخفاضا ولكنها مستوية ملساء كما قال جل ثناؤه قاعا صفصفا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا﴾ يقول تعالى ذكره يومئذ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم الى موقف القيامة فيحشرهم اليه لاعوج له يقول لاعوج لهم عنه ولا انحراف ولكنهم سراعا اليه يحشرون وقيل لاعوج له والمعنى لاعوج لهم عنه لان معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه ولكنهم يؤمونه ويأتونه كما يقال في الكلام دعاني فلان دعوة لاعوج لي عنها أي لا أعوج عنها وقوله وخشعت الأصوات للرحمن يقول تعالى ذكره وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الاصوات بالخشوع والمعنى لاهلها انهم خضع جميعهم لربهم فلا تسمع لناطق منهم منطقا الا من أذن له الرحمن كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وخشعت الأصوات للرحمن يقول سكنت وقوله فلا تسمع الا همسا يقول انه وطء الاقدام الى المحشر وأصله الصوت الخفي يقال همس فلان الى فلان بحديثه اذا أسره اليه وأخفاه ومنه قول الراجز

عن القبائح فقوله أولي النهى كقوله أولي العزم والحزم ومن هذا فسره بعضهم بأهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال (ولولا كلمة) هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة كتبها في اللوح المحفوظ وأخبر بها ملائكته ورسله لأن فيهم أو في نسلهم من يؤمن أو لمصلحة أخرى خفية قال أهل السنة انه يحكم المالكية له أن يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

يعني بالهمس صوت أخفاف الابل في سيرها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا علي بن عابس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا قال وطء الأقدام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يعني همس الأقدام وهو الوطء حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا يقول الصوت الخفي حدثنا اسمعيل بن موسى السدي قال أخبرنا شريك عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن عكرمة فلا تسمع الا همسا قال وطء الأقدام حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن فلا تسمع الا همسا قال همس الأقدام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا تسمع الا همسا قال قتادة كان الحسن يقول وقع أقدام القوم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فلا تسمع الا همسا قال تهافتا وقال تخافت الكلام حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله همسا قال خفض الصوت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال خفض الصوت قال وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كلام الانسان لا تسمع تحرك شفتيه ولسانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تسمع الا همسا يقول لا تسمع الا مشيا قال المشي الهمس وطء الاقدام ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) يقول تعالى ذكره يومئذ لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع ورضي له قولا وأدخل في الكلام له دليلا على اضافة القول الى كناية من وذلك كقول القائل لآخر رضيت لك عملك ورضيته منك وموضع من من قوله الا من أذن له نصب لأنه خلاف الشفاعة وقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول تعالى ذكره يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة وما الذي يصيرون اليه من الثواب والعقاب وما خلفهم يقول ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يعلم ما بين أيديهم من أمر الساعة وما خلفهم من أمر الدنيا وقوله ولا يحيطون به علما يقول تعالى ذكره ولا يحيط خلقه به علما ومعنى الكلام أنه محيط بعباده علما ولا يحيط عباده به علما وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم وقال انما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها موبخهم بذلك ومقرعهم بأن من كان كذلك فكيف يعبد وأن العبادة انما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) يقول تعالى ذكره استأسرت وجوه الخلق واستسلمت للحي الذي لا يموت القيوم على خلقه بتدبيره اياهم وتصريفهم لما شاؤا وأصل العنو الذل يقال منه عنا وجهه لربه يعنو عنوا يعني خضع له وذل وكذلك قيل للاسير عان لذلة الاسر فأما قولهم أخذت الشيء عنوة فانه يكون وان كان معناه يؤل الى هذا أن يكون أخذه غلبة ويكون

فعال لما يفعل به فهو بمعنى ملزم كأنه آلة اللزوم أي (لكان) الاخذ العاجل (لزاما وأجل مسمى) وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف أن يكون معطوفا على الضمير في كان ولعله انما جوز ذلك للفصل أي لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الاخذ العاجل وحين بين أنه لا يهلكهم بعذاب الاستئصال أمره بالصبر على ما يقولون من التكذيب

أخذه عن تسليم وطاعة كما قال الشاعر

هل أنت مطيعي أيها القلب عنوة * ولم تلح نفس لم تلم في اختيالها

وقال آخر

فما أخذوها عنوة عن مودة * ولكن بضرب المشرفي استقالها

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وعنت الوجوه للحي القيوم يقول ذلت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعنت الوجوه للحي القيوم يعني بعنت استسلموا لي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وعنت الوجوه قال خشعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعنت الوجوه للحي القيوم أي ذلت الوجوه للحي القيوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال ذلت الوجوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال قال طلق إذا سجد الرجل فقد عنا وجهه أو قال عنا حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في هذه الآية وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو وضع الرجل رأسه ويديه وأطراف قدميه حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك في السجود حدثنا خلاد ابن أسلم قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال وضع الجبهة والأنف على الأرض حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو السجود على الجبهة والراحتين والركبتين والقدمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال استأسرت الوجوه للحي القيوم صاروا أسارى كلهم له قال والعاني الأسير وقد بينا معنى الحي القيوم فيما مضى بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله وقد خاب من حمل ظلما يقول تعالى ذكره ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيامة شركا بالله وكفرا به وعملا بمعصيته * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وقد خاب من حمل ظلما قال من حمل شركا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقد خاب من حمل ظلما قال من حمل شركا الظلم ههنا الشرك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) يقول تعالى ذكره وتقدست أسماؤه ومن يعمل من صالحات الأعمال وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده وهو مؤمن يقول وهو مصدق بالله وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم فلا يخاف ظلما يقول فلا يخاف من الله أن يظلمه فيحمل عليه سيئات غيره فيعاقبه عليها ولا هضما يقول لا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر

وسائر الأديان زعم الكلبي ومقاتل أنها منسوخة بآية القتال وليس بذلك فإن كلا منهما معمول بها في موضعها (وسبح بحمد ربك) أي متلبسا بحمده على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والأكثرون أنها بمعنى الصلاة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلاة ولأنه بين أوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر وقبل غروبها صلاة الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار (ومن آناء الليل فسبح) المغرب والعتمة

من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وانما يقبل الله من العمل ما كان فى ايمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن قال زعموا أنها الفرائض * ذكر من قال ماقلنا فى معنى قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما حدثنا أبو كريب وسليمن ابن عبد الجبار قالا ثنا ابن عطية عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس لا يخاف ظلما ولا هضما قال هضما غصبا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال لا يخاف ظلما ولا هضما قال لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزاد عليه فى سيئاته ولا يظلم فيهضم من حسناته حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما يقول أنا قاهر لكم اليوم آخذكم بقوتى وشدتى وأنا قادر على قهركم وهضمكم فانما بينى وبينكم العدل وذلك يوم القيامة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما أما هضما فهو أن يقهر الرجل الرجل بقوته يقول الله يوم القيامة لا آخذكم بقوتى وشدتى ولكن العدل بينى وبينكم ولا ظلم عليكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هضما قال انتقاص شئ من حق عمله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو أسامة عن مسعر قال سمعت حبيب بن أبى ثابت يقول فى قوله ولا هضما قال الهضم الانتقاص حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ظلما أن يزاد فى سيئاته ولا يهضم من حسناته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قال لا يخاف أن يظلم فلا يجزى بعمله ولا يخاف أن ينتقص من حقه فلا يوفى عمله حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا سلام بن مسكين عن ميمون بن سياه عن الحسن فى قول الله تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما قال لا ينتقص الله من حسناته شيأ ولا يحمل عليه ذنب مسئ * وأصل الهضم النقص يقال هضمنى فلان حقى ومنه امرأة هضيم أى ضامرة البطن ومنه قولهم قد هضم الطعام اذا ذهب وهضمت لك من حقك أى حططتك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ يقول تعالى ذكره كما رغبنا أهل الايمان فى صالحات الأعمال بوعدناهم ما وعدناهم كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا وكفرهم بآياتنا فأنزلنا هذا القرآن عربيا اذ كانوا عربا وصرفنا فيه من الوعيد فبيناه يقول وخوفناهم فيه بضروب من الوعيد لعلهم يتقون يقول كى يتقونا بتصريفنا ماصرفنا فيه من الوعيد أو يحدث لهم ذكرا يقول أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التى كذبت الرسل قبلها وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ما حذروا به من أمر الله وعقابه ووقائعه بالامم قبلهم أو يحدث لهم القرآن ذكرا أى جدا وورعا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله

وقوله (وأطراف النهار) أى فى طرفيه لجمع لمبالغة وأمن الالباس أولان أقل الجمع اثنان أو أراد طرفى كل نهار تكرار لصلاتى الفجر والعصر لا المغرب على ماظن اعتناء بشأنهما كقوله والصلاة الوسطى وآناء جمع انى وهو الساعة وقد مر فى آل عمران وانما قدم آناء الليل وأدخل الفاء فى فسبح المؤذنة بتلازم ماقبلها ومابعدها تنبيها على زيادة الاهتمام بشأن صلاة الليل لان الليل وقت السكون والراحة وهدو الاصوات

أو يحدث لهم ذكرا قال جدا وورعا وقد قال بعضهم فى أو يحدث لهم ذكرا ان معناه أو يحدث لهم شرفا بايمانهم به ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ﴾ يقول تعالى ذكره فارتفع الذى له العبادة من جميع خلقه الملك الذى قهر سلطانه كل ملك وجبار الحق عما يصفه به المشركون من خلقه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجل يا محمد بالقرآن فتقرئه أصحابك أو تقرأه عليهم من قبل أن يوحى اليك بيان معانيه فعوتب على اكتابه واملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه وقيل لا تتله على أحد ولا تمله عليه حتى نبينه لك ❁ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه قال لا تتله على أحد حتى نبينه لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال يقول لا تتله على أحد حتى نتمه لك هكذا قال القاسم حتى نتمه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه يعنى لا تعجل حتى نبينه لك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أى بيانه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه قال تبيانه حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة من قبل أن يقضى اليك وحيه من قبل أن يبين لك بيانه وقوله وقل رب زدنى علما يقول تعالى ذكره وقل يا محمد رب زدنى علما الى ما علمتنى أمره بمسئلته من فوائد العلم ما لا يعلم ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾ يقول تعالى ذكره وان يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرف لهم فى هذا القرآن من الوعيد عهدى ويخالفوا أمرى ويتركوا طاعتى ويتبعوا أمر عدوهم ابليس ويطيعوه فى خلاف أمرى فقد عما فعل ذلك أبوهم آدم ولقد عهدنا اليه يقول ولقد وصينا آدم وقلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فوسوس اليه الشيطان فأطاعه وخالف أمرى فحل به من عقوبتى ما حل وعنى جل ثناؤه بقوله من قبل هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد فى هذا القرآن وقوله فنسى يقول فترك عهدى كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى يقول فترك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فنسى قال ترك أمر ربه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال قال له يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فقرأ حتى بلغ لا تظمأ فيها ولا تضحى وقرأ حتى بلغ وملك لا يبلى قال فنسى ما عهد اليه فى ذلك قال وهذا عهد الله اليه قال ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذى حسده وأبى أن يسجد له مع من سجد له ابليس وعصى الله الذى كرمه وشرفه وأمر ملائكته فسجدوا له حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ومؤمل قالوا ثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما سمى الانسان لانه عهد اليه فنسى

قالصلاة فيه أشق على النفس وأدخل فى الاخلاص وأقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات وبعضهم أخرج من الآية صلاة الظهر لانه خصص قبل الغروب بصلاة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلاة فى الاوقات المذكورة تشملها والامر قد يكون للندب لا أقل من التغليب وقال أبو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كأنه لما أمره بالصبر على أذية القوم بعثه على الاشتغال بالتقديس والمواظبة

وقوله ولم نجد له عزما اختلف أهل التأويل فى معنى العزم ههنا فقال بعضهم معناه الصبر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم نجد له عزما أى صبرا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة ولم نجد له عزما قال صبرا حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ثنا أبو النضر قال ثنا شعبة عن قتادة مثله * وقال آخرون بل معناه الحفظ قالوا ومعناه ولم نجد له حفظا لما عهدنا اليه ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية ولم نجد له عزما قال حفظا لما أمرته حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم عن الأشجعى عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية فى قوله ولم نجد له عزما قال حفظا حدثنا عباد بن محمد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية فى قوله ولم نجد له عزما قال حفظا لما أمرته به حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولم نجد له عزما يقول لم نجد له حفظا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم نجد له عزما قال العزم المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولم نجد له عزما يقول لم نجعل له عزما حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الحجاج ابن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبى أمامة قال لو أن أحلام بنى آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم الى يوم الساعة ووضعت فى كفة ميزان ووضع حلم آدم فى الكفة الأخرى لرجح حلمه بأحلامهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما * قال أبو جعفر وأصل العزم اعتقاد القلب على الشئ يقال منه عزم فلان على كذا اذا اعتقد عليه ونواه ومن اعتقاد القلب حفظ الشئ ومنه الصبر على الشئ لانه لا يجزع جازع الا من خور قلبه وضعفه فاذا كان ذلك كذلك فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى وهو قوله ولم نجد له عزما فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب على الوفاء لله بعهده ولا على حفظ ما عهد اليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان من تضييع آدم عهده ومعرفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا فى ذلك على منهاجه الا من عصمه الله منهم واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى أن يسجد له فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك ولذلك من شنآنه لم يسجد لك وخالف أمرى فى ذلك وعصانى فلا تطيعاه فيما يأمركما به فيخرجكما بمعصيتكما ربكما وطاعتكما له من الجنة فتشقى يقول فيكون عيشك من كد يدك فذلك شقاؤه الذى حذره ربه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه فهو الذى قال الله تعالى ذكره فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فكان ذلك شقاءه وقال تعالى ذكره فتشقى ولم يقل فتشقيا وقد قال فلا يخرجنكما لان ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام فكان فى اعلامه العقوبة على معصيته اياه فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة اذ كان معلوما أن حكمها فى ذلك حكمه كما قال عن اليمين وعن الشمال قعيد اجتزئ بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ يقول

علیه فى كل الاوقات وقوله (لعلك ترضى) كقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا ريب أن الاطماع من الكريم واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته ولما حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى الزخارف الدنيوية فقال (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله استحسانا للمنظور اليه وفيه أن النظر الغير الممدود معفو عنه كما لو نظر فغض وقال أبو مسلم المنهى عنه فى الآية ليس هو التطويل وانما هو الأسف أى لا تأسف على ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قال أبو رافع

تعالى ذكره مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة ان لك يا آدم أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأن
فى قوله أن لا تجوع فيها فى موضع نصب بان التى فى قوله ان لك وقوله وأنك لا تظمأ فيها اختلفت
القراء فى قراءتها فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر وانك على العطف على قوله ان لك
وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة وأنك بفتح ألفها عطفا بها على أن التى
فى قوله أن لا تجوع فيها ووجهوا تأويل ذلك الى أن لك هذا وهذا فهذه القراءة أعجب القراءتين
الى لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة فكون ذلك بأن يكون عطفا
على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبرا مبتدأ وان كان الآخر غير بعيد من الصواب وعنى بقوله
لا تظمأ فيها لا تعطش فى الجنة مادمت فيها ولا تضحى يقول لا تظهر للشمس فيؤذيك حرها كما
قال ابن أبى ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيخصر

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى يقول لا يصيبك
فيها عطش ولا حر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس قوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى يقول لا يصيبك حر ولا أذى حدثنى أحمد
ابن عثمان بن حكيم الأودى قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنى أبى عن خصيف
عن سعيد بن جبير لا تظمأ فيها ولا تضحى قال لا تصيبك الشمس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة ولا تضحى قال لا تصيبك شمس وقوله فوسوس اليه الشيطان يقول فألقى الى
آدم الشيطان وحدثه فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد يقول قال له هل أدلك على شجرة
ان أكلت منها خلدت فلم تمت وملكت ملكا لا ينقضى فيبلى كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو
قال ثنا أسباط عن السدى قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ان أكلت منها
كنت ملكا مثل الله أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى وتقدس
﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم
ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ يقول تعالى ذكره فأكل آدم وحواء من الشجرة
التى نهيا عن الأكل منها وأطاعا أمر ابليس وخالفا أمر ربهما فبدت لهما سوآتهما يقول
فانكشفت لهما عوراتهما وكانت مستورة عن أعينهما كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال
ثنا أسباط عن السدى قال انما أراد يعنى ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
ليبدى لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ
من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظفر فأبى آدم أن يأكل منها فتقدمت
حواء فأكلت ثم قالت يا آدم كل فانى قد أكلت فلم يضرنى فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما وقوله
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة كما حدثنا
موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
يقول أقبلا يغطيان عليهما بورق التين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول يوصلان عليهما من ورق الجنة وقوله وعصى
آدم ربه فغوى يقول وخالف أمر ربه فتعدى الى مالم يكن له أن يتعدى اليه من الأكل من الشجرة
التى نهاه عن الأكل منها وقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى يقول اصطفاه ربه من بعد معصيته

نزل ضيف بالنبى صلى الله عليه وسلم فبعثنى الى يهودى يستقرضه فقال لا أقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأمين فى السماء وانى لأمين فى الارض احمل اليه درعى الحديد فنزلت والأزواج الاصناف وقيل أى أشكالا وأشباها من الكفار لأنهم أشكال فى الذهاب عن الصواب وقد مر فى آخر الحجر ولقد شدد العلماء المتقون فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم لأنهم اتخذوها العيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم على اتخاذها قال جار الله انتهى

اياه فرزقه الرجوع الى ما يرضى عنه والعمل بطاعته وذلك هو كانت توبته التى تابها عليه وقوله وهدى يقول وهداه للتوبة فوفقه لها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ يقول تعالى ذكره قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا جميعا الى الارض بعضكم لبعض عدو يقول أنتما عدو ابليس وذريته وابليس عدوكما وعدو ذريتكما وقوله فاما يأتينكم منى هدى يقول فان يأتكم يا آدم وحواء وابليس منى هدى يقول بيان لسبيلى وما أختاره لخلقى من دين فمن اتبع هداى يقول فمن اتبع بيانى ذلك وعمل به ولم يزغ عنه فلا يضل يقول فلا يزول عن محجة الحق ولكنه يرشد فى الدنيا ويهتدى ولا يشقى فى الآخرة بعقاب الله لان الله يدخله الجنة وينجيه من عذابه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس الملائى عن عكرمة عن ابن عباس قال تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا هذه الآية فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا حكام الرازى عن أيوب بن موسى عن عمرو الملائى عن ابن عباس أنه قال ان الله قد ضمن فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب (٣) بن يسار أبى عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس بنحوه حدثنا على بن سهل الرملى قال ثنا أحمد بن محمد النسائى عن أبى سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه أظنه أنا قال من هول يوم القيامة وذلك أنه قال فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ يقول تعالى ذكره ومن أعرض عن ذكرى الذى أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه فان له معيشة ضنكا يقول وان له معيشة ضيقة والضنك من المنازل والاماكن والمعايش الشديد يقال هذا منزل ضنك اذا كان ضيقا وعيش ضنك الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد ومنه قول عنترة * وان نزلوا بضنك فانزل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فان له معيشة ضنكا يقول الشقاء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ضنكا قال ضيقة حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله فان له معيشة ضنكا قال الضنك الضيق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله فان له معيشة ضنكا يقول ضيقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلف أهل التأويل فى الموضع الذى جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك والحال التى جعلهم فيها فقال بعضهم جعل ذلك لهم فى الآخرة فى جهنم وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو بن على بن مقدم قال ثنا يحيى ابن سعيد عن عوف عن الحسن فى قوله فان له معيشة ضنكا قال فى جهنم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا فقرأ حتى

زهرة على الذم أو على تضمين متعنا بمعنى خولنا وأعطينا أو على ابداله من محل به أو على ابداله من أزواجا والتقدير ذوى زهرة وهى الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فمعناه أيضا أو هى جمع زاهر كأنهم لصفاء ألوانهم وظهور آثار النعومة عليهم زاهرو هذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصلحاء من شحوب الألوان والتقشف فى الثياب وقوله (لنفتنهم) أى لنبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبى ومقاتل

بلغ ولم يؤمن بآيات ربه قال هؤلاء أهل الكفر قال ومعيشة ضنكا في النار شوك من نار وزقوم وغسلين والضريع شوك من نار وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة ما المعيشة والحياة الا في الآخرة وقرأ قول الله عز وجل يا ليتني قدمت لحياتي قال لمعيشتي قال والغسلين والزقوم شيء لا يعرفه أهل الدنيا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فان له معيشة ضنكا قال في النار * وقال آخرون بل عنى بذلك فان له معيشة في الدنيا حراما قال ووصف الله جل وعز معيشتهم بالضنك لان الحرام وان اتسع فهو ضنك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة في قوله معيشة ضنكا قال هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام حدثني داود بن سليمن بن يزيد المكتب من أهل البصرة قال ثنا عمرو بن جرير البجلي عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم في قول الله معيشة ضنكا قال رزقا في معصيته حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا أبو بسطام عن الضحاك فان له معيشة ضنكا قال الكسب الخبيث حدثني شعبان اسمعيل الصراري قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد عن هرون بن محمد التيمي عن الضحاك في قوله فان له معيشة ضنكا قال العمل الخبيث والرزق السيء * وقال آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا انما قيل لها ضنك وان كانت واسعة لانهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله واياس من فضل الله وسوء ظن منهم بربهم فتشتد لذلك عليهم معيشتهم وتضيق ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا يقول كل مال أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه لا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ويقال ان قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عز وجل ليس بمخلف لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب به فاذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك * وقال آخرون بل عنى بذلك أن ذلك لهم في البرزخ وهو عذاب القبر ذكر من قال ذلك حدثني يزيد بن مخلد الواسطي قال ثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن ابن اسحق عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري قال في قول الله معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الرحمن بن اسحق عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري قال ان المعيشة الضنك التي قال الله عذاب القبر حدثني حوثرة بن محمد المنقري قال ثنا سفيان عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري فان له معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث قال ثنا خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن أبي حازم عن أبي سعيد أنه كان يقول المعيشة الضنك عذاب القبر انه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يبعث وكان يقال لو أن تنينا منها نفخ الارض لم تنبت زرعا حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وهي المعيشة الضنك التي قال الله معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح والسدي في قوله معيشة

ضنكا

لتشدد عليهم في التكليف لان الاجتناب عن المعاصي مع القدرة يكون أشق على النفس (ورزق ربك) هو ثواب الآخرة أو ما رزقت من الاسلام والنبوة (خير وأبقى) وقيل أراد به الحلال الطيب الذي يحق أن ينسب الى ربك خير من أموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وأبقى بركة ونماء وحسن عاقبة (وأمر أهلك) في سورة مريم وكان يأمر أهله بالصلاة أي أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله ومن السلف من كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله

ضنكا قال عذاب القبر حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان
الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثني
عبد الرحمن بن الأسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا أبو عميس عن عبد الله بن مخارق
عن أبيه عن عبد الله في قوله معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثني عبد الرحيم البرقي قال ثنا
ابن أبي مريم قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبي حازم قالا ثنا أبو حازم عن النعمان بن أبي
عياش عن أبي سعيد الخدري معيشة ضنكا قال عذاب القبر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال
في ذلك بالصواب قول من قال هو عذاب القبر الذي حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال
ثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون فيم أنزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة أعمى أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي
نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية
سبعة رؤس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة وان الله تبارك وتعالى أتبع
ذلك بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل
عذاب الآخرة لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى معنى مفهوم
لأن ذلك ان لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه بطل معنى
قوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فاذ كان ذلك كذلك فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله
لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا أو في قبورهم قبل البعث اذ كان لا وجه لأن تكون في
الآخرة لما قد بينا فان كانت لهم في حياتهم الدنيا فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله
من الكفار فان معيشته فيها ضنك وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على
ذكر الله تبارك وتعالى القابلين له المؤمنين في ذلك ما يدل على أن ذلك ليس كذلك واذ خلا القول
في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث وهو أن ذلك في البرزخ وقوله ونحشره يوم القيامة
أعمى اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم
القيامة به فقال بعضهم ذلك عمى عن الحجة لا عمى البصر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن اسمعيل
الاحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح
في قوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال ليس له حجة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن
أبي نجيح عن مجاهد في قوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال عن الحجة حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل يحشر أعمى البصر * قال
أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية
الشيء كما أخبر جل ثناؤه فعم ولم يخصص وقوله قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا اختلف
أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم في ذلك ما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرزاق
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال رب لم حشرتني أعمى لا حجة لي وقوله وقد كنت بصيرا
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وقد كنت بصيرا بحجتي ذكر من
قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
وقد كنت بصيرا قال عالما بحجتي * وقال آخرون بل معناه وقد كنت ذا بصر أبصر به الاشياء

رسوله ثم يتلو هذه الآية وعن عروة
ابن الزبير أنه كان اذا رأى ما عند
السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك
الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة
رحمكم الله وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد نزول هذه الآية
يذهب الى فاطمة وعلي كل صباح
ويقول الصلاة وكان يفعل ذلك
شهرا وقوله (واصطبر عليها) أراد
أنك كما تأمرهم بها فحافظ عليها
فان الوعظ بلسان الفعل أتم منه
بلسان القول (لا نسألك رزقا) كما
يريد الملوك خراجا من رعيتهم
والسادة خراجا من عبيدهم (بل
نحن نرزقك) كقوله وما أريد أن

لزاما يقول موتا * وقال آخرون بل معناه لكان قتلا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لكان لزاما واللزام القتل وقوله فاصبر على ما يقولون يقول جل
ثناؤه لنبيه فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك انك ساحر وانك
مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول وسبح بحمد ربك يقول وصل بثنائك على ربك وقال بحمد
ربك والمعنى بحمدك ربك كما تقول أعجبني ضرب زيد والمعنى ضربي زيدا وقوله قبل طلوع
الشمس وذلك صلاة الصبح وقبل غروبها وهي العصر ومن آناء الليل وهي ساعات الليل واحدها
انى على تقدير حمل ومنه قول المنخل السعدي

حلو ومر كعطف القدح مرته * في كل انى قضاه الليل ينتعل

ويعني بقوله ومن آناء الليل فسبح صلاة العشاء الآخرة لانها تصلى بعد مضي آناء من الليل وقوله
وأطراف النهار يعني صلاة الظهر والمغرب وقيل أطراف النهار والمراد بذلك الصلاتان اللتان
ذكرنا لان صلاة الظهر في آخر طرف النهار الاول وفي أول طرف النهار الآخر فهي في طرفين منه
والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك تصلى المغرب فلذلك قيل أطراف وقد يحتمل أن
يقال أريد به طرفا النهار وقيل أطراف كما قيل صغت قلوبكما فجمع والمراد قلبان فيكون ذلك
أول طرف النهار الآخر وآخر طرفه الآخر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن ابن
أبي زيد عن ابن عباس فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال الصلاة المكتوبة
حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن
أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة
البدر فقال انكم راؤن ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم تلا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها قال ابن جريج العصر وأطراف النهار قال المكتوبة حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس قال هي صلاة الفجر
وقبل غروبها قال صلاة العصر ومن آناء الليل قال صلاة المغرب والعشاء وأطراف النهار قال صلاة
الظهر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن آناء الليل فسبح
وأطراف النهار قال من آناء الليل العتمة وأطراف النهار المغرب والصبح ونصب قوله وأطراف
النهار عطفا على قوله قبل طلوع الشمس لان معنى ذلك فسبح بحمد ربك آخر الليل وأطراف النهار
* وبنحو الذي قلنا في معنى آناء الليل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومن آناء الليل قال المصلى
من الليل كله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن
قرأ ومن آناء الليل قال من أوله وأوسطه وآخره حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني
عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ومن آناء الليل فسبح قال آناء الليل جوف
الليل وقوله لعلك ترضى يقول كي ترضى * وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء
المدينة والعراق لعلك ترضى بفتح التاء وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك لعلك ترضى بضم التاء
وروي ذلك عن أبي عبد الرحمن السلمي وكأن الذين قرؤا ذلك بالفتح ذهبوا الى معنى ان الله يعطيك

وصف القرآن بكونه بينة ما في
الصحف الاولى ثم بين الحكمة في
نزول القرآن فقال (ولو أنا
أهلكناهم بعذاب من قبله) أي
من قبل البرهان المذكور الدال
عليه البينة (لقالوا) أي في
القيامة لأن الهالك لا قول له في
الدنيا وعن أبي سعيد الخدري
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يحتج على الله تعالى يوم القيامة
ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني
رسول والا كنت أطوع خلقك
وتلا قوله لولا أرسلت الينا رسولا
والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي

حتى ترضى عطيته وثوابه اياك وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لعلك ترضى قال الثواب ترضى بما يثيبك الله على ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج لعلك ترضى قال بما تعطى وكأن الذين قرؤا ذلك بالضم وجهوا معنى الكلام الى لعل الله يرضيك من عبادتك اياه وطاعتك له والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك أن الله تعالى ذكره اذا أرضاه فلا شك أنه يرضى وأنه اذا رضى فقد أرضاه الله فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنظر الى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم متعة فى حياتهم الدنيا يتمتعون بها من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها لنفتنهم فيه يقول لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ونبتليهم فان ذلك فان زائل وغرور وخدع تضمحل ورزق ربك الذى وعدك أن يرزقكه فى الآخرة حتى ترضى وهو ثوابه اياه خير لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا وأبقى يقول وأدوم لانه لا انقطاع له ولا نفاد وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى يهودى يستسلف منه طعاما فأبى أن يسلفه الا برهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى ابن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى رافع قال أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودى يستسلفه فأبى أن يعطيه الا برهن فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن يعقوب بن يزيد عن أبى رافع قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فأرسلنى الى يهودى بالمدينة يستسلفه فأتيته فقال لا أسلفه الا برهن فأخبرته بذلك فقال انى لأمين فى أهل السماء وفى أهل الارض فاحمل درعى اليه فنزلت ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وقوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الى قوله والعاقبة للتقوى ويعنى بقوله أزواجا منهم رجالا منهم أشكالا وبزهرة الحياة الدنيا زينة الحياة الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله زهرة الحياة الدنيا أى زينة الحياة الدنيا ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الهاء التى فى قوله به من متعنا به كما يقال مررت به الشريف الكريم فنصب الشريف الكريم على فعل مررت وكذلك قوله الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا تنصب على الفعل بمعنى متعناهم به زهرة فى الحياة الدنيا وزينة لهم فيها وذكر الفراء أن بعض بنى فقعس أنشده

أبعد الذى بالسفح سفح كواكب ۞ رهينة رمس من تراب وجندل

فنصب رهينة على الفعل من قوله أبعد الذى بالسفح وهذا لاشك أنه أضعف فى العمل نصبا من قوله متعنا به أزواجا منهم لان العامل فى الاسم وهو رهينة حرف خافض لا ناصب ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لنفتنهم فيه قال لنبتليهم فيه ورزق ربك خير وأبقى مما متعنا به هؤلاء من هذه الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك

عقلا أنتفع به ويقول الصبى كنت صغيرا لا أعقل فيرفع لهم نار ويقال لهم ادخلوها فيدخلها من كان فى علم الله أنه سعيد ويتلكأ من كان فى علمه أنه شقى فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسولى لو أتاكم وطعن المعتزلة فى هذا الخبر قالوا لا يحسن العقاب على ما لم يفعل وقال الجبائى فى الآية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد أنه يجب أن يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان لهم أن يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال

والعاقبة للتقوى ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمر يا محمد أهلك بالصلاة واصطبر عليها يقول واصطبر على القيام بها وأدائها بحدودها أنت لا نسألك رزقا يقول لا نسألك مالا بل نكلفك عملا ببدنك نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا نحن نرزقك يقول نحن نعطيك المال ونكسبكه ولا نسألكه وقوله والعاقبة للتقوى يقول والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا ولا يرجو له ثوابا * وبنحو الذي قلنا في قوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة قال كان عروة اذا رأى ما عند السلاطين دخل داره فقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ثم ينادي الصلاة الصلاة يرحمكم الله حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان اذا رأى شيأ من الدنيا جاء الى أهله فقال الصلاة وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه انا ويرفا وكانت له من الليل ساعة يصليها فاذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياما وكان اذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم مثله

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى باحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص يقول الله جل ثناؤه أولم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب وأنزلنا بهم بأسنا بكفرهم بها يقول فماذا يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى قال التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى الكتب التي خلت من الامم التي يمشون في مساكنهم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم الى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله لقالوا يوم القيامة اذ وردوا علينا فأردنا عقابهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا يدعونا الى طاعتك فنتبع آياتك يقول فنتبع حججك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذل بتعذيبك ايانا ونخزى به كما حدثني الفضل ابن اسحق قال ثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة والمغلوب

الكعبي فيها أوضح دليل على أنه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لا يسئل عما يفعل أن الجور منه يكون عدلا بل تأويله أنه لا يقع منه الا العدل واذا ثبت أنه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما أمروا به لكان لهم فيه أعظم حجة واستدل أهل السنة بها على أن الوجوب لا يتحقق الا بالشرع والا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة بوعيد اجمالي فقال (قل كل) أي كل منا ومنكم

على عقله والصبي الصغير فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلا أنتفع به ويقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك لك وقرأ لولا أرسلت إلينا رسولا ويقول الصبي الصغير كنت صغيرا لا أعقل قال فترفع لهم نار ويقال لهم ردوها قال فيردها من كان في علم الله أنه سعيد ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي فيقول اياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول منتظر لمن يكون الفلاح والى ما يؤول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان فتربصوا يقول فترقبوا وانتظروا فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه اذا جاء أمر الله وقامت القيامة أنحن أم أنتم ومن اهتدى يقول وستعلمون حينئذ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم وفي من من قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوي والثانية من قوله ومن اهتدى وجهان الرفع وترك اعمال تعلمون فيهما كما قال جل ثناؤه لنعلم أي الحزبين أحصى والنصب على اعمال تعلمون فيهما كما قال جل ثناؤه والله يعلم المفسد من المصلح

(تم)

(متربص) عاقبة أمره وهذا الانتظار اما قبل الموت بسبب الأمر بالجهاد أو ظهور الدولة والغلبة أو بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت وهو ظهور أثر الثواب والعقاب وتمييز المحق والمبطل ويؤيده قوله (فستعلمون) الى آخره وهذا من كلام المصنف وبالله المستعان

(تم)

﴿تم الجزء السادس عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء السابع عشر أوله (سورة الانبياء)﴾

فهرست

الجزء السادس عشر

من تفسير الامام ابن جرير الطبرى

﴿ فهرست الجزء السادس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	تأويل قوله تعالى أما السفينة وبيان ان كلمة وراء من حروف الاضداد والشاهد عليه
٥	بيان المراد بالكنز الذى كان تحت جدار اليتيمين وأن الكنز كان فى شريعتهم حلالا
٧	بيان خبر ذى القرنين ومسيره وما لقى من العجائب والخلاف فيه هل هو ملك أو آدمى
١٣	ذكر بناء السد وايراد الاخبار عن يأجوج ومأجوج
٢٣	تأويل قوله تعالى وتركنا بعضهم الآية وبيان حقيقة الصور وما فى القيامة من الأهوال
٢٦	بيان الأخسرين أعمالا من هم
٢٩	تأويل قوله ان الذين آمنوا الآية وبيان الخلاف فى معنى الفردوس
٣٢	بيان أن الرياء من جملة الاشراك بالله
٣٣	﴿ تفسير سورة مريم ﴾
٣٥	ذكر خبر زكريا ودعائه وسبب سؤاله ربه الولد
٤٢	تأويل قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب وبيان ما أوتيه يحيى عليه السلام من معالى الاحوال وذكر الشواهد على معنى الحنان
٤٥	ذكر قصة مريم عليها السلام والمكان الذى اتخذته وارسال الملك اليها والسبب الذى من أجله اتخذ النصارى المشرق قبلة
٤٩	ذكر ما جرى بين مريم ويوسف النجار
٥١	ذكر الذى نادى مريم من تحتها وبعض فوائد التمر والعجوة
٥٦	تأويل قوله تعالى فكلى واشربى الآية وبيان ما دار بينها وبين قومها من المحاورة
٥٨	بيان وجه كون مريم أخت هرون
٦٢	بيان اختلاف الناس فى أمر عيسى عليه السلام
٦٦	تأويل قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة الآية وبيان ما رآه أهل الموقف من صورة الموت
٦٧	ذكر ابراهيم عليه السلام ومحاورته لأبيه
٧١	ذكر موسى عليه السلام وبيان المراد بتقريبه
٧٢	ذكر ادريس عليه السلام وما قيل فى رفعه
٧٤	بيان ما قيل فى معنى اضاعة الصلاة
٧٧	تأويل قوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك الآية وذكر ما جرى بين رسول الله وجبريل
٨١	ذكر ما ورد فى ورود الناس جهنم
٩١	تأويل قوله تعالى أفرأيت الذى كفر بآياتنا الآية وذكر أسباب نزولها
٩٦	ذكر ما ورد فى ركوب بعض أهل الموقف النوق
١٠٠	تأويل قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وبيان أنه ما يقبل أحد على الله بقلبه الا أقبل الله بقلوب الناس اليه
١٠٣	﴿ تفسير سورة طه ﴾
١٠٥	بيان ما هو أخفى من السر
١٠٧	ذكر خروج موسى بأهله وما لاقاه من الشدة
١٠٩	ذكر السبب فى كون موسى أمر بخلع نعليه
١١٢	تأويل قوله تعالى وأنا اخترتك وبيان أن الصلاة ذكر الله
١١٧	بيان فوائد عصا موسى
١١٩	بيان لون موسى وذكر بعض حلاه
١٢٤	ذكر امتناع موسى عليه السلام من المراضع وما تم لأمه معه
١٣١	ذكر ما حصل بين موسى وفرعون من المحاورة
١٣٤	بيان يوم الزينة
١٣٩	بيان ما حصل بين موسى والسحرة
١٤١	بيان ما حصل بين السحرة وفرعون

صحيفة

١٤٦ بيان فتنة السامرى لبنى اسرائيل
١٥٠ بيان مافعله موسى بأخيه هرون واعتذار هرون له
١٥١ بيان مارآه السامرى من أثر جبريل
١٥٣ بيان مافعله موسى بالسامرى وعجله
١٥٥ بيان ما يفعل بالجبال عند قيام الساعة

صحيفة

١٦٠ بيان العهد الذى عهد الى آدم عليه السلام
١٦٣ بيان معيشة الضنك التى تكون للكافر
١٦٧ تأويل قوله تعالى ولولا كلمة سبقت الآية وبيان معنى الأجل واللزام
١٦٩ بيان ما أمر به صلى الله عليه وسلم من اعراضه عن الدنيا وزهرتها

(تمت)

(فهرست الجزء السادس عشر من تفسير الامام النيسابورى الموضوع بالهامش)

صحيفة

٤ بيان أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران لا موسى بن ميشا كما يدعيه اليهود
٥ بيان المراد بالبحرين
٦ بيان أن سبب نسيان الفتى لأمر الحوت هو إلفه المعجزات
٨ بيان أنواع الأدب التى راعاها موسى مع الخضر
١٤ تأويل تلك الآيات
١٧ تفسير قوله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٨ ذكر خبر ذى القرنين
٢٠ بيان أن الأرض كروية وأن السماء محيطة بها وصغر الأرض عن الشمس
٢١ بيان موضع السدين
٢٢ بيان خبر يأجوج ومأجوج
٢٥ بيان ماذهب اليه الأشاعرة من أن كلام الله واحد والاعتراض عليهم والجواب عنه
٢٦ تأويل تلك الآيات
٢٨ (تفسير سورة مريم)
٢٩ بيان ما فى قوله رب انى وهن العظم منى الآية من اللطائف

صحيفة

٣٣ بيان معنى السمى المنفى عن يحيى عليه السلام
٣٥ تأويل تلك الآيات
٣٦ تفسير قوله تعالى واذكر فى الكتاب مريم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٤٠ بيان سن مريم عند حملها ومدة الحمل
٤٣ بيان أن نذر عدم الكلام يجوز فى شرعنا أولا
٤٦ بيان أن اليهود والنصارى أنكروا تكلم عيسى فى المهد والرد عليهم
٤٧ بيان ما احتج به بعض الاشاعرة على قدم كلام الله
٤٩ تأويل تلك الآيات
٥١ تفسير قوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٥٣ حاصل دليل منع العبادة لغيره تعالى
٥٦ بيان صدق الوعد الذى خص به اسمعيل عليه السلام
٦٠ ذكر سؤال قريش اليهود عن صفة رسول الله وتعليم اليهود لهم بعض أسئلة سألوه عنها
٦١ تأويل تلك الآيات
٦٢ تفسير قوله تعالى ويقول الانسان الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها

صحيفة

٦٦ ذكر فائدة ايراد المؤمنين النار مع كونهم لم يعذبوا بها
٦٧ بيان ما أجمعت عليه المعتزلة من أن العقاب واجب على الله وغير ذلك مما ذهبوا اليه
٧٠ بيان قصة العاصي بن وائل مع خباب بن الأرت
٧١ بيان ما استدل به الاشاعرة على أنه تعالى مريد لجميع الكائنات
٧٣ بيان الدليل على استحالة الولد على الله
٧٥ تأويل تلك الآيات
٧٦ ﴿ تفسير سورة طه ﴾
٧٩ بيان ما هو أخفى من السر
٨٠ بيان مراتب التوحيد
٨٠ بيان أن الموجودات على ثلاثة أقسام
٨٢ بيان أن النار على أربعة أقسام
٨٣ بيان ما قالته الاشاعرة في تكليم الله لموسى وما قالته المعتزلة
٨٤ بيان ما قيل في الطواف والصلاة بالنعل
٨٥ بيان حكم من فاتته صلوات وأراد قضاءها
٨٧ ﴿ أسئلة ﴾

صحيفة

٨٩ ذكر فوائد عصا موسى
٩٢ بيان ما قاله الله لموسى حين أمره بالذهاب الى فرعون
١٠٢ تأويل تلك الآيات
١٠٤ تفسير قوله تعالى ولقد مننا عليك مرة أخرى الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١١٠ بيان مقدار عمر فرعون
١١٢ بيان أن العلماء اختلفوا في أن فرعون كفر عنادا أو جهلا
١٢١ بيان ما رزقته السحرة من كمال الايمان
١٢٢ تفسير قوله تعالى ولقد أوحينا الى موسى الآيات وبيان القرا آت والوقوف
١٢٥ بيان أن التوبة من الكفر يجب تقديمها على الايمان
١٢٨ بيان ما قاله هرون للسامري وهو يصنع عجلا
١٣٠ بيان ما رآه السامري
١٣٨ تأويل تلك الآيات
١٣٩ تفسير قوله ولقد عهدنا الى آدم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٤٧ بيان أن أهل البلاء هم أهل الغفلة

﴿ تم فهرست الجزء السادس عشر من النيسابوري ﴾